



[t.me/somalikutub](https://t.me/somalikutub)

**تاريخ الصومال**  
**رؤية تحليلية جديدة**  
(المجلد الأول)

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

**الطبعة الأولى**

١٤٤٠هـ - ٢٠١٩م

يمنع طباعة هذا الكتاب أو ترجمته أو تصويره  
إلا بإذن خطي من المؤلف

مكتبة مركز العالم الحديث

اسطنبول - تركيا

# تاريخ الصومال رؤية تحليلية جديدة

(المجلد الأول)

**Making Sense of Somali History**  
(Volume One)

**د. عبد الرحمن معلم عبد الله**  
(باديو)

مكتبة مركز العمل الخيري

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة
فهرس الموضوعات .....	٥
إهداء .....	٨
شكر وامتنان .....	١٠
تقديم .....	١٢
تمهيد .....	١٦
الفصل الأول: مقدمة: إدراك التاريخ الصومالي .....	٢٠
ملاحظات مختصرة حول التأريخ الصومالي .....	٢٨
ملاحظات مختصرة حول فلسفة التاريخ .....	٣٤
تنظيم الكتاب .....	٣٧
الفصل الثاني: تاريخ شبه الجزيرة الصومالية من العصور القديمة حتى العصور الإسلامية الوسطى .....	٤٥
مراجعة الأدبيات .....	٥٢
التاريخ القديم لشبه الجزيرة الصومالية .....	٥٧
الفترة الإسلامية من العصور الوسطى .....	٦٨
الخلاصة .....	٨٥
الفصل الثالث: إعادة تشكيل المجتمع الصومالي: تأثير الطرق الصوفية والاستعمار .....	٨٨
«الإحياء الإسلامي» وإعادة تشكيل المجتمع .....	٩٠
دراسة حالات: دور الطرق الصوفية في التغيير الاجتماعي .....	١٠٢
الاستعمار وأثره في إعادة تشكيل المجتمع الصومالي .....	١١٠

الموضوع	الصفحة
تأثير الاستعمار على التعليم والسياسة .....	١٣٠
تأسيس التعليم الحديث .....	١٣٠
بروز العشائرية السياسية .....	١٤١
صحوة النخب الإسلامية .....	١٤٨
خلاصة .....	١٥١
الفصل الرابع: نهوض القومية الصومالية وسقوطها .....	١٥٤
البحث عن الوحدة بين الاعتدال والتطرف .....	١٥٤
صعود وسقوط القومية الصومالية .....	١٥٨
القومية الصومالية: بين الاعتدال والتطرف .....	١٨٢
المنهجيات القومية المعتدلة .....	١٨٣
المنهجيات القومية الراديكالية .....	١٩٣
المنهجيات القومية الراديكالية وانهيار الدولة .....	٢٠١
الخلاصة .....	٢٠٦
الفصل الخامس: انهيار الدولة الصومالية: سياقات وآراء .....	٢٠٩
نظرة عامة على قيام الدولة الصومالية وسقوطها .....	٢١٤
نظريات قدرات الدولة والصراع .....	٢٢٢
نظرية قدرات الدولة .....	٢٢٥
نظريات الصراع الاجتماعي .....	٢٢٩
نظرية العصية لابن خلدون .....	٢٣٢
نظرية العصية لابن خلدون .....	٢٣٦
آراء حول انهيار الدولة الصومالية .....	٢٣٧
أثر الحرب الباردة وشح المساعدات الخارجية .....	٢٣٨
سياسات الصومال الكبير والحرب مع أثيوبيا .....	٢٤٢
الثقافة السياسية البدائية .....	٢٤٤

الموضوع	الصفحة
قصور الموارد	٢٤٦
الظلم والانحلال الأخلاقي	٢٤٨
العوامل الانتقائية للانهيـار	٢٥١
القاسم المشترك بين الآراء التي حلّت انهيـار دولة الصومال	٢٥٣
الخلاصة	٢٥٦
المراجع	٢٥٨
المراجع الإنجليزية	٢٥٨
المراجع العربية	٢٧٩
قراءات إضافية	٢٨٠
مواضيع الفصل الأول	٢٨٠
مواضيع الفصل الثاني	٢٨٠
مواضيع الفصل الثالث	٢٨١
مواضيع الفصل الرابع	٢٨٢
مواضيع الفصل الخامس	٢٨٢
المصطلحات	٢٨٤

\*\*\*

## إهداء

أهدي هذا الكتاب إلى والديّ العزيزين: معلم عبد الله، الذي التحق برحمته تعالى، وزينب أفرح شذور امتناناً مني على ما غمراني به من رعاية وتربية وجهدٍ فاق وسعهما أملاً في أن أكون صالحاً في حياتي، ونافعاً لوطني. وقد غرسا فيّ أهمية التمسك والالتزام بالمبدء الخالد في ديننا الحنيف: «ادفع بالتي هي أحسن». وأهدي هذا الكتاب أيضاً إلى زوجتي وشريكة الحياة السيدة محبة حاج إيمان، وأولادنا السبعة الذين كانوا قرة عينٍ ملئت علينا حياتنا طوال أربعة عقود تنعمنا فيها بالعيش معاً، وذلك بفضل دعمهم واهتمامهم المستمرين، وكذلك وصبرهم وحبهم اللذين لم ينضبا طيلة حياتنا المفعمّة بالكثير من القصص والتحوّلات. وأهدي أيضاً كتابي هذا إلى أحفادنا الصغار راجياً من الله لهم حياةً سعيدةً ونصيباً أوفر في الحياة، وأن يلهمهم تقديم إسهامٍ ملموسٍ في إعادة بناء الوطن رغم تقادير معيشتهم التي أخذتهم إلى أقطارٍ مختلفةٍ من أصقاع العالم المتداخل.

وأهدي هذا الكتاب إلى الجيل الصومالي المتعلّم الذي تعلّم في بيئةٍ صعبةٍ ومعقّدةٍ للغاية وعاش في فتراتٍ مختلفةٍ تعدّدت فيها الولاءات وتوزّعت فيها مراكز القوى وتباعدت دوائر صنع القرار السياسي، ثم أدرك ونضج فاحتاج فهماً أعمق لمعرفة طبيعة العلاقة بين ماضيهم الملتبس وحاضرهم المقلق، ويسعى بإصرارٍ متزايدٍ استدراك تاريخه المليء بالعبر وتحقيق وحدته المهزوزة واستعادة كرامته الجائحة، وذلك رغم التحديات المتوالية والعوائق المتجدّدة. وإلى الرفقاء الساعين إلى إعادة بناء صومالٍ أفضل ومختلفةٍ قائمةٍ على مبادئ المواطنة المشتركة وقيم حكم القانون والالتزام بالدين الإسلامي والحكمة القيادية والذين يعيشون في داخل البلاد وخارجها ويشيّدون أسساً تقوم عليها من جديد أواصر الالتحام



والالتئام الوطني، وتبعث الأمل في نفوس المتطلعين والمتلهّفين لرؤية تلك اللحظة البادية في الأفق والإمساك بها، واللاحق بركب الأمم والمجتمعات التي تجاوزت كبواتها ببصيرة وحكمة يجدر الاحتذاء بها ودراستها أيضاً.

ولكل أولئك الباحثين عن رؤية أكثر واقعية في التعامل مع التحديات الحقيقية القائمة وتجاوز الوضع السياسي الجامد الذي عاشته البلاد في العقود الماضية وعن فهم أفضل لتاريخ الظروف السياسية السائدة في المحيط الدولي والإقليمي والتي عظم تأثيرها في ظلّ ذوبان الفوارق البينية بين المجتمعات وانعدام الحواجز والحدود بين الدول وتطور السيورة التاريخية في البلاد.

ولا أنسى في هذا الإهداء أولئك الذين لا تسع هذه السطور حصرهم والذين ساهموا بطريقة أو بأخرى في تأليف وإخراج هذا الكتاب وقاموا بأدوارٍ مختلفةٍ وفعّالةٍ شملت توفير المصادر والمراجع والإجابة على الاستيانات وتقديم المعلومات المتصلة بموضوع البحث والعمل على المراجعة الموضوعية والتحرير اللغوي في إعداد النسخة النهائية، وقدموا كذلك الدعم المادي والأراء السديدة والأفكار البناءة والتي كانت هامةً ومفيدةً في البناء الموضوعي لفصول الكتاب. ويوجد آخرون قدّموا دعماً معنوياً منحني دفعةً قويةً وملئني بالإصرار والاهتمام في مواصلة هذا المشوار، وشدّ عزيمتي على الاستمرار على الكتابة في هذا المجال. وأؤكد لهم أنني أكنّ لهم جميل التقدير والحب والاحترام آملاً أن أكون دائماً عند حسن ظنهم، ويكون هذا الكتاب عملاً يساهم في إعادة النظر على ماضيها بشكل أكثر حماسة، لتكون قادرين على فهم حاضرنّا الملتبس.

\*\*\*

## شكر وامتنان

لم يكن لنا أن نصدر هذا الكتاب بنسخته الأصلية الإنجليزية لولا دعم معهد الدراسات الصومالية [Institute for Somali Studies (ISOS)] التابع لجامعة مقديشو، والذي تلمست منه سمة الوفاء الذي تجاوز مجرد توفير الدعم، وتزامن ذلك الدعم مع احتفال الذكرى العشرين لافتتاح جامعة مقديشو بتاريخ ٢٢ سبتمبر ١٩٩٧، والتي أتشرف بأن كان لي دوراً فاعلاً في بلورة إنشائها وتأسيسها وتولي رئاسة مجلس أمنائها. ويرتكز الكتاب بشكل رئيسي على القضايا التي تركت دوراً مفصلياً في إصلاح وإعادة بناء الصومال. وأتقدم بالتعبير عن شكري وامتناني الخاص للسيد عبيد محمد عجلي على ماقدّمه من مساهمة مالية حيوية مكنتنا من ترجمة الكتاب من نسخة الأصلية الإنجليزية إلى العربية ومن ثم طباعته وذلك رغبةً منه في دعم اللغة العربية ونشر الثقافة العامة. والشكر موصول أيضاً إلى السيد حمزة عامر الذي قام بترجمة الكتاب كاملاً إلى العربية وكذلك السيدين سيد عمر معلم عبد الله وشاكر محمد عبد الله على مساهمتهما الفاعلة في تدقيق الترجمة العربية وتحريها، ولا بد أيضاً من شكر الدكتور محمد ديق إبراهيم عبيد الذي تكفل بتدقيق النسخة النهائية من الترجمة العربية، وكان لمساهماته طيب الأثر فيها. وأخيراً أتوجّه بالشكر للسيد محمد مرسل على عمله الحيوي وتنسيقه بين الترجمة والطباعة والمؤلف، وقد كانت له أيضاً مساهماتٌ مهمّةٌ جداً على هذا الصعيد. ويجدر التنبيه إلى أن الآراء والتفسيرات التاريخية الواردة في الكتاب تمثل رأي الكاتب أو المؤلف، ولا تعكس بالضرورة الموقف الرسمي للمعهد. وبالطبع هذه التفسيرات ليست منزّهة عن أي خطأ قد يرد، وهي دوماً قابلةٌ للتغير والمراجعة، أو يمكن أن يُعاد تقييمها أو التنقيح بها في الطباعات التالية.

معهد الدراسات الصومالية هو مركزٌ بحثيٌّ تابعٌ لجامعة مقديشو، ويهدف أساساً إلى بحث وتحليل الشؤون الصومالية في منطقة القرن الأفريقي والمغتربين الصوماليين ويركّز على القضايا التي تشكّل خطراً أو عائقاً في التعافي من الحرب المنيكة وإعادة بناء الصومال من جديد، كما يمثل المعهد منصةً لنشر وتقديم الأوراق البحثية في المجالات المختلفة والمتصلة برسالة المعهد وأهدافه الرئيسية. ويعقد المعهد ورشات عملٍ ومؤتمراتٍ ونقاشاتٍ وحواراتٍ بصورةٍ مستمرة، مستعرضاً حصيلة تلك الجهود المختلفة من خلال المنشورات والفعاليات الدورية. ويُصدر المعهد كذلك مجلة دراساتٍ صومالية، وهي مجلةٌ سنويةٌ مكتوبةٌ باللغات الصومالية والإنجليزية الرسمية في البلاد وذلك بنسختيها الورقية والإلكترونية، كما أن المعهد أيضاً هو مؤسسةٌ متعدّدة التخصصات ومعنيةٌ بالأساس بالدراسات الصومالية وامتداداتها.

\*\*\*

## تقديم

هذا التقديم خاصٌ بالترجمة العربية لكتاب (تاريخ الصومال: رؤية تحليلية جديدة) وذلك في جزئه الأول الذي صدرت نسخته الأصلية باللغة الإنجليزية في ٢٠١٧م في لندن. وبالطبع هذا الكتاب ليس الأول للمؤلف ولكنه ربما يكون الأول من نوعه في تقديمه للتاريخ الوطني. إذ بدأت فكرة كتابة هذا الكتاب في التسعينيات من القرن المنصرم وذلك أثناء انكباب المؤلف على إعداد رسالة الماجستير. وتمثل هذه الفكرة بدايةً طموحةً تسعى إلى كتابة تاريخ الصومال بطريقةٍ مختلفةٍ ومتميزةٍ عن المنهجية الكتابية المتبعة في الغالب سواءً من قبل الشخصيات الأجنبية التي كتبت عن الصومال وتاريخها أو غيرها من الشخصيات الصومالية المقلدة. وتقوم هذه الرؤية الطموحة بالانتقال من الطريقة الاجتزائية الانتقائية في قراءة الأحداث التاريخية وتجاوز طريقة المحاكاة في تفسير التاريخ والتحول إلى نظرة متوازنة تتمتع بسمتي التميز والاستقلالية في الكتابة عن الصومال بشكلٍ عامٍّ وتاريخه الوطني بشكلٍ خاصٍّ والتعامل مع المسلمات التاريخية على أنها دوماً قابلةٌ للتساؤل والنقد والمراجعة.

وينتقد المؤلف تلك الرؤية المتبعة من قبل الشخصيات غير الصومالية والصومالية المقلدة على ما فيه من انتقائية في الكتابة وإضفاء طابع الاستعمار للتاريخ الوطني وتهميش دور الفواعل المتغيرة وإخفاؤها في استيعاب أهمية الفواعل الثابتة في الحالة الصومالية مثل الإسلام والتجارة في فترة ما قبل الانهيار والحركات الإسلامية والمرأة والمجتمع المدني عموماً في فترة مابعد الانهيار، كما أن هذه الرؤية غير الشمولية تقلل من شرعية الحركات المقاومة للاستعمار وتصور الصوماليين على أنهم رعاةٌ رُحّل وتهمّش وجود مجتمعٍ قام على ضفاف الأنهار والأبحر واستقر عليها، فهو مجتمعٌ حضريٌّ مختلفٌ ثقافياً عن المجتمع

الرعوي ولديه حرفٌ أساسيةٌ وثقافةٌ متوحدةٌ مع الطبيعة التي يتأثر بها. ويؤخذ على تلك الرؤية أيضاً عدم مراعاتها بشكل كافٍ البعد الوطني في كتابة التاريخ وعدم اهتمامها بربط الحلقات المفقودة في تاريخنا الوطني ببعضها البعض، ولا بتقديم توضيحٍ وافٍ يفسّر التعقيم المكتنف والفجوات الزمنية الظاهرة على امتداد صيرورة البلاد التاريخية.

تبلورت فكرة كتابة هذا الكتاب أثناء تحضير المؤلف للدكتوراة خلال الألفية الجديدة، وذلك بعد أن أدرك أن معظم الكتابات التي كُتبت عن الصومال غير متحررة من الفكر الاستعماري الانتقائي ولم تول ما يكفي من الاعتبار للبعد السيوسولوجي في تفسير التاريخ الوطني وطبيعة العلاقة العضوية بين الصومال والإسلام، أو بمعنى آخر جعلت تاريخ الصومال تاريخاً استعمارياً يمجّد ويركّز فقط على الجانب الإيجابي من حكمه المحدود الأثر في الحياة العامة للسكان. والمؤلف من الشخصيات الوطنية البارزة التي استغرقت في الكتابة عن مجال تخصصه المدني وعمله الوظيفي واهتماماته بصفة عامة، وذلك في السنوات التي انشغل فيها في المجال العام سواءً في المجال الانساني أو التنموي، وأيضاً في العمل السياسي حيث كان له في ذلك مساهماتٌ حيويةٌ بما يتعلّق بقضايا المصالحة الوطنية، وكتابة الدستور (دستور عرته - جيبوتي)، وتشكيل المجالس الوطنية، وترسيخ مبدء الاعتدال الفكري، ومواجهة التطرف بأشكاله المختلفة، والتنظير للوحدة الوطنية ودعمها، وكذلك إنماء دور المجتمع المدني، وهندسة المفاوضات المتعثرة بين الشمال والجنوب، ومناصرة قضيتي المرأة والشباب.

ويتميّز هذا الكتاب عن غيره من الكتب التي ألفها المؤلف سابقاً بعمق تصوراتهِ وشمولية موضوعاته والترابط في جزئياته والتناسق في مكوناته والتبسيط في المفردات ذات الأهمية الخاصة في سياق الكتاب بالإضافة إلى الغنى والتنوع في مصادره الأولية والثانوية. والسبب في ذلك راجعٌ بالأساس إلى الفترة الزمنية الكافية التي بذلها المؤلف في إخراج الكتاب والتي اشتملت على جمع المادة العلمية الأولية والثانوية والقيام بدراساتٍ ميدانيةٍ وإجراء مقابلاتٍ متنوعة وكذلك الاطلاع على وثائق غير منشورة وأضابير متكدّسة في مختلف المكتبات وذلك حرصاً على التأكد من صحة المعلومة العملية. وهو جهدٌ استغرق سنواتٍ عديدةً

ومتتاليةً حاول فيها الدكتور العمل على إعادة اكتشاف تاريخ الصومال من جديد، وتفسيره بطريقة أكثر توازناً، وكتابه بشكل أكثر شمولية. ولذلك فإن هذا الكتاب هو كتابٌ تثقيفي يمسُّ موضوعاتٍ بالغة الأهمية على المستوى العام ويُمكن أن يستفيد منه طلبة المدارس والجامعات بشكل خاص، والمهتمين والعاملين في العمل السياسي بشكل عام.

ويتجلى هذا الجهد المتراكم في الجداول والخرائط التوضيحية والرسومات البيانية التي يحتويها الكتاب وكذلك الإحصائيات الدقيقة التي يقدمها الكتاب، والتي تشمل الإحصاء السكاني وعدد المدارس التعليمية والطلبة سواء في القطاع المدني أو الجيش وذلك في فترة ما قبل الاستقلال والوحدة أو ما بعدها بالإضافة إلى عدد الأحزاب السياسية والزعماء المتعاونين مع السلطات الاستعمارية والمراكز العلمية للطرق الصوفية. ويتمحور الكتاب حول التاريخ السياسي للصومال، ويتناول تحديداً موضوعاتٍ هامةً ومحددةً تدرج في إطار تاريخ الصومال في فترة ما قبل انهيار الدولة الصومالية عام ١٩٩١م بينما يتناول الجزء الثاني ما بعد الحرب الأهلية وانهيار الدولة الصومالية. ولما كان المؤلف شخصيةً مخضرمةً عايش التطورات المختلفة التي مرّت بها البلاد في فترة ما قبل الانهيار وما بعدها، يبدو أن ذلك ساعد في تقديم رؤيةٍ موضوعيةٍ للتفسير والإيضاح، حيث أنه عمل في فترة ما قبل انهيار الدولة الصومالية كعقيدٍ في الجيش الوطني ثم انفصل عنه عام ١٩٨٥م، وقضى فترةً في حياته في المهجر، ومن ثم عاد إلى البلاد بعد انهيار الدولة مباشرةً وعمل في العمل الإنساني والإغاثي وساهم في مساعي إعادة الدولة الصومالية وتحقيق الاستقرار والحفاظ على السلم الأهلي. ولذلك لم يكن هذا الكتاب مجرد عمليةٍ بحثيةٍ وتركيبيةٍ وتخريجيةٍ بقدر ما هو أيضاً تفسيرٌ لأحداثٍ تاريخيةٍ كان المؤلف شاهداً عليها ومتعاشياً مع تطوراتها، أو كان حتى جزءاً من صناعتها وهو مما يُضفي بلا شك بعداً إضافياً من الأهمية لهذا الكتاب.

يحتوي الكتاب معلوماتٍ قيمةٍ تؤكد أصالة الصوماليين في الإقليم وتسלט الضوء على قوة التحول الذي رافق وصول الإسلام إلى الصومال وكيف ساهمت الطرق الصوفية في صون الإسلام، كما أنه يمثل محاولةً جريئةً للخروج من الثنائيات والثلاثيات الجامدة

والتجاذبات الدائرة في محاور الاستعمار والقبلية والدين وتتخطى اختزال التاريخ الوطني كله على أنه نتاج لتفاعلات تلك الثلاثيات والثنائيات الجامدة. ويشيد الكتاب أهمية قيام تصالح هائل بين تلك التجاذبات التي صوّرت على أنها متناقضة بالرغم أن ذلك ليس صحيحاً بالضرورة. وبالإضافة إلى هذا كله، يحتوي الكتاب على إطلالة جيدة تقدّم وجهات نظر قيمة عن أسباب تبدد الحلم القومي للصوماليين وانهيار الدولة الصومالية المركزية ويفصل طبيعة التحديات الرئيسية التي واجهتها تلك النظم المختلفة على المدى الزمني الطويل. ويؤمن المؤلف على أن مسؤولية الانهيار وفشل الدولة الصومالية منحصرة في نظم الحكم وسلوك النخب السياسية ولا علاقة لها مطلقاً بالشعب ومؤسساته كونهما كانا مُهمّشان ومبعدان عن المساهمة في صناعة القرار، معتبراً أن الانهيار لم يكن من الممكن تفاديه وذلك في ظل السببية التراكمية التي جعلت الانهيار والفشل حتماً لا مفرّ منه.

وأعتبر نفسي محظوظاً بدعوة المؤلف لي بالمساهمة في الترجمة العربية للكتاب وتشريفه لي كتابة هذا التقديم كونه ربما كان يحسبني من الذين عاش معهم عن قرب في فترة العقدين والنصف الأخيرة التي شهدت معظم نتاجه العلمي، فكنت ممن يعرفون عن كثر قاطرة نشاطاته الأكاديمية، علماً أن الكتاب هو عبارة عن جمع وضمّ مشترك بين إحاطات تم عرضها سابقاً ومقالات وأوراق نُشرت لاحقاً في مختلف المجلات الأكاديمية والكتب، وعملٍ بحثيٍّ مشفوعٍ بالدراسة الميدانية وهو أمر يمكن رؤيته في الهوامش والمراجع الموضوعية في آخر الكتاب. وأرجو أن ينال هذا الكتاب إعجاب القراء. ويرحب المؤلف بكل تأكيد بأي ملاحظاتٍ مرصودةٍ أو أخطاءٍ مكتشفةٍ بين ثنايا الكتاب، على أمل أن يؤخذ ذلك في الحسبان في الطبعة القادمة.

### **سيد عمر معلم عبد الله**

١٣ رمضان ١٤٤٠هـ

١٨ مايو ٢٠١٩م

مقديشو - الصومال

## تمهيد

### Making Sense of Somali History

#### تاريخ الصومال: رؤية تحليلية جديدة

من العنوان الإنجليزي للكتاب، Making Sense of Somali History، يأتي مصطلح «Making Sense»، والذي ارتئنا تأويله بالعربية إلى «إدراك». فيأتي إذاً تعبير «إدراك التاريخ» عادةً بمعانٍ متعددةٍ ومختلفةٍ؛ تتضمن: الفهم، والتمييز، والشعور، والوعي، والتقدير، وأيضاً التفسير. وكانت غايتي من هذا الكتاب هي تأطير الفهم الواعي والفحص النقدي للتاريخ الصومالي من خلال التركيز على مواضيع مختلفة تتضمن إعادة بناء تاريخ الصومال وتمحيص الأحداث التاريخية التي جرت في الأوقات والأماكن المختلفة. والهدف الأساسي في هذا هو تقديم وجهة نظر صومالية من خلال التأكيد على الفعالية البشرية وتفاعلها مع الأفكار المترتبة والمؤسسات والإنتاج المادي المتداول في الدوائر الأكاديمية المختلفة. وهذا يقتضي اكتشاف ما صلح للصومال وما كان مقبولاً لدى المجتمع الصومالي وفي الوقت ذاته كان له تأثيره المستدام والمتراكم في المشهد السياسي. كما يعني أيضاً اكتشاف ما تم استيراده من الدول الأخرى ولكن ظلّ مع مرور الزمن أجنبياً وغير متوافقاً ما كان له أن يتكيف مع المجتمع والثقافة الصوماليتين، ومن ثمّ تمّ في نهاية المطاف تغييره أو الاستغناء عنه كليةً. وفي سبيل إنجاز هذا المشروع البحثي، قمت بمراجعة كثيرٍ من الدراسات السابقة التي كُتبت باللغات الصومالية والإنجليزية والعربية والتي تناولت التاريخ الصومالي من زوايا ومدارس مختلفة وترسّخ اقتناعي ترسخاً غير مسبوقاً بالحاجة الملحة لكتابة تاريخ الصومال من جديد،



وسيجد القارئ فيما يأتي من سطور بعضاً من تلك الاستنتاجات التي توصلت إليها ووضعتها في هذا الكتاب الذي سيكون على مجلدين.

يتناول المجلد الأول الفترات والمحطات التاريخية الرئيسية للصومال قبل انهيار الدولة المركزية، محللاً أربعة مواضيع رئيسية إلى جانب الفصل التمهيدي: تاريخ الصومال القديم مروراً أيضاً بالعصور الوسطى، ودور الطرق الصوفية والاستعمار الأوروبي وإعادة تشكيل المجتمع الصومالي الحديث، ونهوض القومية الصومالية وسقوطها، ويقدم الكتاب في فصله الأخير إطاراً نظرياً عاماً يهتم بانحيار الدولة الصومالية. ويبحث المجلد الثاني من جانبه في فترة ما بعد انهيار الدولة الصومالية، ويتناول أربعة مواضيع هامة، وذلك بعد تقديم نظرة عامة على الأحداث التي تلت انهيار الدولة، كانت في عمق هذه الفترة الانتقالية المتموجة: الدور المتغير للمرأة الصومالية في الثقافة والمجتمع، وإعادة تشكيل زعماء القبائل التقليديين، وتاريخ المجتمع المدني الصومالي، وإعادة تشكيل الهوية القومية الصومالية.

وكانت هذه الفصول الثمانية، المقسمة بالتساوي على مجلدين، جزءاً من مشروع طموح يهدف إلى تقديم رؤية شاملة لتاريخ الصومال المعاصر وإعادة بنائها بنظرة شمولية مبنية على نموذج الدولة - المجتمع. وتشتمل تلك الرؤية على الدور الحيوي الذي لعبه الإسلام والمرأة في الدراسات التاريخية المعاصرة في الصومال. أما النموذج القديم الذي قام على المعادلة الثنائية: الدولة مقابل القبيلة (Qaran iyo Qabiil)، فلربما نستطيع القول بأن الزمن قد عفا عليه ولم يعد مستساغاً في هذا الطرف الزمني الانتقالي. وإن فشل هذا النموذج هو نتيجة تجاهله المضلل لدور الإسلام والمرأة ضمن السياقات التاريخية للبلاد وغضه الطرف عن محاولتهما المستمرة للمساهمة في البناء في التاريخ المعاصر. ويمكن تلمس الاستمرارية والتغير في العملية الجدلية التاريخية دون إقصاء إمكانيات دورية التكرار لنهوض وانهيار الدولة في الموضوعات التاريخية والمرتبة في هذين المجلدين.

وهذا الكتاب هو عبارة عن محاولة لتفسير تاريخ الصومال، آخذين في الاعتبار أثر الانسان في صناعة التاريخ بشكل عام ومسؤولية القيادات ضمن سياق الدولة الصومالية بناءً

وتدميراً، علماً بأن الشعب الصومالي صنع تاريخه من خلال تفاعله مع الجغرافيا والبيئة، والاستعمار والاستقلال، ومع التجاذبات السياسية الإقليمية المتجددة وتنافس القوى العظمى في الحرب الباردة. وأمل في كل ذلك هو أن يقدم الكتاب نظرة موضوعية وملخصة للتاريخ الصومالي لأهل الفكر ولطلاب الجامعات بمستوياتهم المختلفة والمهتمين في الشأن التاريخي بشكل عام. والأهم مما سبق هو أن هذا الكتاب يهدف لتثقيف الأجيال الجديدة من الصوماليين، خصوصاً أولئك الذين يتطلعون إلى صعود سلم السلطة ويمنون أنفسهم بالوصول إلى مصاف القيادة السياسية في الوطن، وذلك لإدراك تاريخهم المعاصر وفهم قضايا وطنهم، بالإضافة إلى التحسس بالأحداث التاريخية السائدة التي شكّلت المنطقة بشكل عام ودول القرن الأفريقي بشكل خاص.

وبين ثنايا هذين المجلدين محاولة جادة تثبت مسار التحول الذي طرأ في الصيرورة التاريخية في البلاد والذي ينبغي أن يأخذنا نحو إعادة فهمنا للتاريخ، والتوقف عند الثقافة السائدة للنخب السياسية الصومالية، والتي دفعتها دائماً المصالح الشخصية، وتعززت من خلال ارتباط متجذر بالماضي ومتزواج بخطاب قومي وإسلامي منفصل عن الحقيقة الموضوعية والواقع القائم في محيطنا الخارجي. وهذه الثقافة السائدة بين النخب السياسية هي ثقافة متغولة وأصبحت سبباً أدّى إلى انهيار الدولة وصارت بعد ذلك جزءاً من دورة الحاضر، وتماهت في نسيج الحكم لتقوِّض أمل المعافاة السريعة من الانهيار الواسع وقيام علاقات سليمة بين المجتمع والدولة. ومع ذلك تكبر فسحة الأمل في قلبي يوماً بعد يوم بأن يستطيع شعب الصومال عمّا قريب إرساء دعائم دولته بصورة مبدعة وذلك من خلال العمل الجاد والمنظم واستخلاص الدروس والعبر من تاريخ الصومال ومساراتها المنعرجة، متجاوزاً الحوكمة السيئة والتعسف الذي لازم توظيف الإسلام والقبيلة. كما آمل أن تشرق شمس الصومال مرة أخرى لتكون من جديد مثلاً ناصعاً للاستقرار السياسي المشهود والسلام الخالد والازدهار المستمر.

وأخيراً، ربما يجدر الإشارة إلى إمكانية وجود شيء من التكرار في فصول هذا الكتاب

وهو تكرارٌ يمكن تبريره، إذ لا بد منه بعض الشيء لتغطية كل فصلٍ بشكلٍ مستقل، وكما أنه يمكن أيضاً إرجاع ذلك إلى الأسلوب المتبع في القرآن الكريم وسوره، حيث تظهر رواياتٌ مختلفةٌ لذات القصص في مناسباتٍ وسورٍ مختلفةٍ تأكيداً لأهميتها ولاستخلاص الدروس المرتبطة بظرفٍ تاريخيٍّ مختلف. وتمّ تطوير جميع فصول هذا الكتاب، باستثناء الأول والثاني، من أوراقٍ بحثيةٍ ومنشورةٍ سابقاً في مجلاتٍ مختلفةٍ أو تمّ إعدادها على شكل فصولٍ كُتبت في أعمالٍ بحثيةٍ أخرى تمّ نشرها في فترات تاريخية متفاوتة.

### **د. عبد الرحمن معلم عبد الله (باديو)**

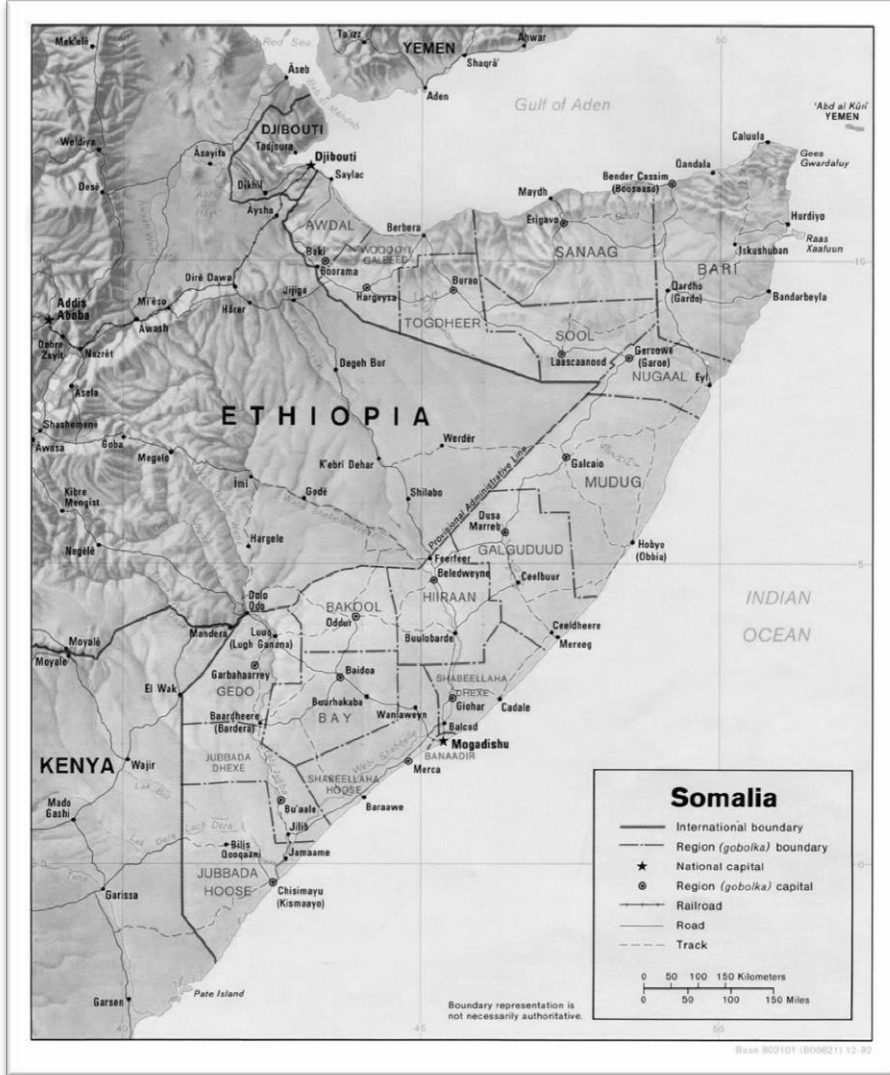
١٥ أبريل / نيسان ٢٠١٨

مقديشو - الصومال

\*\*\*

# الفصل الأول

## مقدمة: إدراك التاريخ الصومالي



خريطة رقم (١): الخريطة السياسية لجمهورية الصومال الفيدرالية

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١]

«إنَّ أفضل طريقة لتدمير شعبٍ ما هي نسف وإنكار فهم هذا الشعب لتاريخه»

George Orwell

لقد مرَّ الشعب الصومالي بمفارقات تاريخية هامة في سبيل استعادة دولته التي انهارت قبل ما يقارب لثلاثة عقود. وكان مما أطل أمد الأزمة الصومالية وبدد مشاعر الاعتزاز الوطني والكبرياء القومي هو تناحر النخبة على السلطة الذي تحوّل إلى حرب أهلية دارت باسم القبلية تارةً وباسم الإسلام تارةً أخرى. ويبدو أن الحنين إلى الماضي والعمل على إعادة بعث روح القومية الصومالية كانا عنصرين تناما مع صحوة جيلٍ جديدٍ تجرّعوا، أثناء الحرب الأهلية، معاناة اللجوء والنزوح والشتات، فضلاً عن آخرين ذاقوا مرارة غياب الدولة وعانوا من فقدان وجود الخدمات الأساسية في امتداد البلاد وعرضها. وصحيحٌ أن طبقة القوميين الصوماليين الصاعدة حملت الكثير من السمات المشتركة مع الآباء والمؤسسين القوميين القدامى لما اعتقد القوميون القدامى أن مهمة إعادة بعث دولة جمهورية الصومال ما بعد الاستعمار قد انتهت إليهم بعد سقوطها عام ١٩٩١ م. أصبح القوميون أكثر وعياً الآن بثقافة مجتمعهم وإدراكاً لطبيعة العلاقة الارتباطية بين القبيلة والإسلام وأهمية العمل الدؤوب على ضرورة التوفيق وعدم التعارض بينهما. ويعبّر هذا الإدراك أيضاً عن تحولٍ نوعيٍّ مختلف عن رؤية القوميين الصوماليين القدامى الذين، في ظلّ تقبلهم لرؤية الحداثة، حاولوا تقزيم دور التراث: القبيلة والإسلام، لتلتئم، إذًا، هوية قومية أكثر نضجاً وخبرة بصورة متسارعة.

وبنشوء رؤية جديدة ترافقت مع وفود هذه الموجة الجديدة من القومية، ما عاد إيجاد برامج للقضاء على القبلية هدفاً ملحاً ويلاحظ وجود شيءٍ من الإقرار والإيمان انتهى إلى أن القضاء على القبلية يتطلب تنمية اجتماعية - اقتصادية وعناية طويلة الأمد وتغذية أفكار أكثر كونيةً تحتاج كذلك إلى تكريس ثقافة أكثر إدراكاً لطبيعة العلاقة العضوية بين التقدم والتحول الثقافي. وبخصوص مشروع الصومال الكبير فإن هؤلاء القوميين الجدد أكثر وعياً لما يجمع الصوماليين في القرن الأفريقي وامتدادهم في الشتات من اللغة والعقيدة

ة والتطلعات والمصير المشترك، فضلاً عن ارتباط عاطفي حي، وشعور بالانتماء الجمعي وهو شعورٌ سيبقى للأبد مغروساً في قلوب الصوماليين. وبحسب هذا المفهوم السائد من قبل القوميين القدامى، واجه مفهوم «الصومال الكبير»، تغيرات ملحوظة بالانتقال من مشروع وحدة سياسية إلى مشروع تكاملي ذو طابع ثقافي واقتصادي. وكان هذا الانتقال تدريجياً بسبب فشل المشروع في اختبار سنة التاريخ. وليس هناك الآن مساحة متسعة لأولئك الذين يعملون على مزيد من التقسيم للدولة المقسمة دفاعاً عن كيان منفصل، وتبريرها فقط على أساس التقسيم الاستعماري التاريخي للأمة الصومالية.

وتمتد رؤية القوميين الجدد إلى مطالب محددة تستهدف بالأساس بناء موضوعياً أكثر اتساقاً مع الحقائق الراسخة في السنن الاجتماعية والعمل على التئام وحدتهم التاريخية وتجاوز الأفكار القديمة وغير البناءة التي فشلت بالصمود في اختبار التاريخ، وتسيط الضوء على الأخطاء الظاهرة في مسيرة العملية السياسية في الصومال، وذلك سعياً إلى تصحيحها مع التركيز على العوامل التي أدت إلى النجاح في بعض الميادين البارزة في المشهد التاريخي المتغير. ويضاف إلى ذلك أن مشروع إعادة البناء للتاريخ السياسي يجب أن يتنبه إلى أن سقوط الدولة الصومالية لم يكن سببه فقط خطأ القيادات السياسية والعامل الخارجي بأشكاله المختلفة بل كان هناك، فضلاً عن هذا وذاك، أكاديميون أساءوا تفسير التاريخ وقدموا مفاهيم خاطئة لبناء الدولة وتطوير الأمم، وغرسوا أيديولوجيات فككت فكرة الصومالية نفسها. بل إن بعض أولئك المدعين بحملهم شهادات أكاديمية من مؤسسات علمية قديرة على المستوى الدولي برّروا الصراعات الداخلية وشاركوا في الحروب الأهلية المدمرة التي استديمت ودامت على مدى العقود الماضية. فبرزت، في ظل ذلك، وجود حاجة ملحة لمراجعة تاريخ الصومال، بمفهومها العريض، مراجعة نقدية وتحقيقاً واسعاً لغربلة المنتجات المعرفية التي برّرت، بل وعمقت، انقساماً مؤلماً مرّ به المجتمع الصومالي.

وهذه المهمة العظيمة هي ما يحاول هذا الكتاب، بحجمه المحدود، أن يؤسس لها علّه يكون باباً يفتح الطريق لأولئك القادرين على العمل على ذلك سعياً لإدراك تاريخنا غير

المتماسك. وآمل أنني لا أجنب الصواب بقولي أن هذا الكتاب هو بمثابة منجز هام جداً في سبيل تطوير حسّ من الارتباط بالوطن، وفهم تحديات الماضي ومعضلاته، والحفاظ على الذاكرة الجمعية، وإثراء الخيال التاريخي المفتقد والمساهمة في إحياء مفهوم الأمة التاريخية. ومن هنا لا بد من طرح عددٍ من الأسئلة المهمة التي يجب علينا المرور عليها سريعاً لرسم أساسٍ لهذا الموضوع وهذه الأسئلة هي: ما معنى التاريخ؟ من هم المؤرّخون؟ ما هو تعريف ودور التّاريخ؟ وما هو معنى فلسفة التاريخ؟ فمن المهم جداً التنبّه إلى أن التوقف عند هذه المفاهيم معيّنٌ على فهم فكرة الموضوع العام للكتاب.

دخلت كلمة «التاريخ» [History] اللغة الإنجليزية من المصطلح الفرنسي: *historie*، والكلمة اللاتينية *historia*، والبناء اليوناني: *historie*.<sup>(١)</sup> ويرتبط المصطلح اليوناني الأصلي بمعنى: «أن ترى»، و«أن تعلم»، وبالتالي فهو ينطوي على معنى الاستفسار والمعرفة. وحمل معنى «التاريخ» ذات المعنى التي تحمله «القصة» حتى القرن السادس عشر، وكان يدلّ على أي روايةٍ للماضي، سواءً أكانت واقعيةً أم مُتخيّلة. وأخذت كلّ من هاتين الكلمتين بعد ذلك سماتٍ متميزة، واتجهت كلمة «القصة» لتفيد معنى السرديات المُتخيّلة فقط، سواءً أكانت واقعاً متخيّلاً أو خيالاً صرفاً، أما كلمة «التاريخ» فقد ارتبطت بدراسة الروايات الواقعية والماضي المتماسك. وهكذا أخذ مفهوم التاريخ شكله النهائي تدريجياً، واقتصر معناه الأساسي على استنتاجاتٍ ثلاثٍ مترابطةٍ ببعضها البعض.

الأول، جميع سرديات الماضي البشري، أو التاريخ المسجّل للحضارات البشرية. وفي حالة بناء سرديات كهذه، ينبغي استخدام أدلّة تاريخية محدّدة مثل القصص الشعبية والذكريات والمصنوعات اليدوية القديمة والمواد المكتوبة. وبذلك، فالأحداث التي وقعت قبل التسجيل المكتوب يُشار لها عادةً بـ «ما قبل التاريخ».<sup>(٢)</sup> ويدلّ هذا المصطلح على عدم

---

(١) <http://www.etymonline.com/index.php?term=history>

(تمّ الوصول بتاريخ ٦ فبراير ٢٠١٧).

(٢) J. De laet (ed.), History of Humanity: Prehistory and the beginning of Civilization,

وجود تاريخٍ لحقيةٍ ما لم يكن هناك سجل معين. إلا أن هذا المصطلح استبعد، واعتبر أنه ازدرايٌّ على الرغم من عدم صياغة بديلٍ له أو استنباط مصطلح آخر متداول بين المهتمين بهذا الشأن، لأنه يُقصي ٨, ٩٩٪ من التاريخ الكلي للبشرية على الأرض.<sup>(١)</sup>

ويشير الاستنتاج الثاني لما كتبه المؤرخون على شكل سردياتٍ حول الماضي مع رصدتهم، وتحليلهم، ومراجعتهم لسجلات وتأويلات سابقهم.

أما الاستنتاج الثالث فهو المصطلح المكتوب الذي يُكتب أوله بـ «كايتال» [History]، وهو أيضاً موضوعٌ أكاديميٌّ يفحص ويحلل توالي الأحداث الماضية ويحدد أنماط السبب والنتيجة. ويُضاف إلى ذلك أن التاريخ هو مختبر البشرية، الذي تقدّم مستنتاجاته أساساً دلائلياً للاستبصار وتحليلاً لوظائف المجتمعات وقوانين تطورها، فضلاً عن العوامل التي شكّلت التاريخ والتغيرات التي وقعت على مدى السنين الماضية. ويقدم التاريخ أيضاً استبصاراتٍ للتجربة البشرية في الأزمنة الغابرة والأماكن المختلفة وفي الوقت ذاته تعطي الدول والمجتمعات فرص استنباط الدروس والعوامل المؤدية إلى التقدم والتخلف والنجاح والفشل والتحويلات والعثرات على مدى الأزمنة المتعاقبة في ظرفٍ زمنيٍّ قد يكون مشابهاً أو مختلفاً في الوقت الحاضر، مما يعني أنه يحتلّ بذلك مكانةً مهمةً للغاية، فالحاضر هو ناتج الماضي الذي تركز عليه صيرورات المستقبل.

والمفهوم الثاني الذي يلزم فهمه واستيعابه بصورةٍ كاملة هو سؤال ماهية المؤرّخ، فمن هم المؤرّخون، وماذا يفعلون لإنتاج التاريخ؟ وللإجابة على ذلك يمكن القول بأن المؤرّخون هم مهندسو التاريخ الذين يعملون بلا كللٍ على تتبع أثر حياة أسلافنا، وذلك بغية فهم الظروف التي عملوا من خلالها بكدٍّ مع دراسة الأحداث الفاجعة التي ألمّت بهم، إضافة إلى متابعة منحني أفراسهم وأتراسهم واعتقاداتهم ورؤيتهم للعالم القائم في ذلك الوقت. وبعد ذلك، يضعون تلك المواد والمصادر في قالبٍ لبناء سرديةٍ تاريخيةٍ محدّدةٍ منظّمة، أي أن عملهم لا

---

Vol.1, first edition (Routledge, 1994), 94-95.

(١) المصدر السابق، صفحة ٩٤.



يختلف أبداً عن نظرائهم من المهندسين الذين يبنون المنازل أو الجسور بموادٍ خامّةٍ أو مصنّعةٍ والتي تشكّل قوالب ذات أشكالٍ مختلفة من البنى والأشكال. ويبنى المؤرخون التاريخ من هذه المواد الخامّة التي تُسمّى «المصادر الأساسية»، والمصادر المُصنّعة تُسمّى «المصادر الثانوية»<sup>(١)</sup>.

ويتعامل التاريخ مع حقلٍ واسعٍ من المعرفة والدراسة وهو مُقسّمٌ إلى حقولٍ فرعيةٍ تؤسّس بدورها حقولاً أكاديميةً أكثر تركيزاً. ورغم أن تقسيماً فرعياً كهذا ليس له حدود معيّنة ملموسة، إلا أنه يمكن الرجوع إلى تصنيف جامعة كينتاكى المفصلي إلى وجود ستة أنواعٍ من التاريخ: التاريخ السياسي، والتاريخ الدبلوماسي، والتاريخ الاجتماعي، والتاريخ الثقافي، والتاريخ الاقتصادي، والتاريخ الفكري.<sup>(٢)</sup> ويُركّز المؤرخون أكثر ما يركّزون على التاريخ السياسي، مثل تاريخ الحضارات البشرية، ونهوض وسقوط الإمبراطوريات، والأنواع المختلفة من الحكومات والتجارب التاريخية المحددة لأُممٍ بعينها. ويرسم التاريخ من ناحيةٍ ما، تفسيراً ذاتياً للمؤرخين يرتكز على قاعدةٍ من السجلات الحقيقية. ومن ناحيةٍ أخرى ينطوي هذا التاريخ على حواراتٍ ونقاشاتٍ مذهلةٍ وثريةٍ تدور بين المؤرخين والتي تعكس اختلاف مدارسهم الفكرية وتنوع منطلقاتهم الرئيسية. المؤرخون هم أناسٌ تنصّب مصالحهم في مجرى البحث في تاريخ النشاطات البشرية ودراستها وذلك لتحقيق فهمٍ أعمق يتحلّى بموضوعيةٍ عالية. ويتصدّد المؤرخون إضفاء طابع النقد على عملهم في سبيل تجنّب الأخطاء، وفكّ رموز الحقائق التاريخية. ولا حاجة للقول أن وقائع التاريخ البشري لم تُسجّل

---

(١) للاطلاع على مقدمة للمصادر التاريخية، انظر:

<http://archives.govt.nz/exhibitions/currentexhibitions/chch/downloads/RHS-201-Introduction-to-Historical-Sources.pdf>

(تم الوصول بتاريخ ٧ فبراير ٢٠١٧).

(٢) انظر أنواع التاريخ بحسب الحقل، كما صنفته جامعة كينتاكى على الرابط:

<http://www.uky.edu/~dolp/HIS316/handouts/types.html>

(تم الوصول في فبراير ٢٠١٧).

بأكملها، وكلما عاد الإنسان بنظره للوراء في عجلة الزمن، باتت المصادر التاريخية المسجلة أكثر شحاً، إلى أن نصل إلى نقطة أو حقبة يمكن وصفها بأنها بلا تاريخ. وإنه لمن البديهي أن ندرك بأن المؤرخين لا يستطيعون أن يُحيطوا بكل شيء ولا هم يستطيعون أن يجدوا كل المصادر المرتبطة بمواضيع كتاباتهم التاريخية. لذلك، فالمؤرخون ينتقون من المصادر المتاحة ما يعتبرونه مهماً ومتصلاً بموضوعاتهم، وقد يُضطّرون إلى إعادة خلق أجزاء من الماضي وقد يُضطّرون إلى أن «يخترعوا» ويملأوا الفراغات، وذلك بناءً على تخيلاتٍ إبداعية مبنية على أدلة قليلة أو بلا أدلة على الإطلاق.

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن معظم المؤرخين لا يقدمون كل الحقائق الموجودة عندهم، بل يركزون على الحقائق التي تدعم رؤيتهم للعالم ومدرستهم الفكرية، ويستصغرون أو ينتقصون حقائق واضحة ويعتبرونها غير مرتبطة بالحقائق ويصفونها أنها حقائق تافهة أو لا تستحق الذكر. فتراهم أحياناً يُضخّمون ما يناسب مجتمعاتهم واعتقاداتهم، وينتقصون ما يعتبرونه معادياً لأفكارهم. وهذه هي العقلية التي تكلف بعضاً ممن يدعون أنهم مؤرخون موضوعيتهم ويتصفون بأنهم «مؤرخون ضميريون».<sup>(١)</sup> ويُعرف عن هذا النوع من المؤرخين بأنهم مسيوّن للتاريخ ويحتكرون الأدلة التاريخية، عن قصد، لدعم آرائهم السياسية. وهذا هو السبب الذي يجعل التاريخ موضوعاً لإعادة خلق أحداث الماضي وتفسيرها بما يتوافق مع رؤى متنوعة وبناءً على نظرياتٍ مختلفةٍ معنية بالسلوك البشري. ويمكن الاستشفاء من ذلك بأن اختصاص المؤرخين لا يقتصر فقط على اكتشاف ما حدث بالماضي، بل هم معنيون كذلك بمعركة الأيديولوجيات وصراع الاعتقادات، وبذلك يمكن أن تصبح الموضوعية المطلوبة ضحيةً وأحياناً قيمةً نادرةً في هذا المسار.

---

(١) William H. McNeill, Mythistory, or Truth, Myth, History and Historians

عبر الرابط:

<https://www2.southeastern.edu/Academics/Faculty/jbell/mcneill.pdf>

(تم الوصول بتاريخ ٧ فبراير ٢٠١٧).

والمفهوم الثالث الذي يجب توضيحه هو تعريف «علم التاريخ» [historiography]، ويُعرّف ببساطة بأنه دراسة تاريخ الكتابات التاريخية، أو بنية الأدبيات التاريخية، وكشف المناهج التي يتبعها المؤرخون بتطوير علم التاريخ، أو أي بنية أو جسد للعمل التاريخي الذي يتناول موضوعاً معيناً، وتفسيراته المختلفة.<sup>(١)</sup> وعلى خلاف الدراسات التاريخية، لا يُعنى علم التاريخ بدراسة أحداث الماضي، بل يهتم ويفصل في تفسيرات تلك الأحداث بأعمال مؤرخين بعينهم.<sup>(٢)</sup> ودراسة التاريخ هو أمرٌ هامٌ جداً للأمم المستعمرة، فيُعدّ ذلك جزءاً من التحرير والاستقلال، إذ يُعين ذلك تلك الأمة على إعادة النظر واكتشاف التفسيرات التاريخية المختلفة لإنتاج السرديات التاريخية لبلدانهم قبل فترة التحرر والاستقلال. كما أن دراسة التاريخ تساهم في غربة وتحليل الأدبيات التاريخية التي يُتّجهها الأنثروبولوجيون المستعمرون والمؤرخون المبتدئون. وبالنظر إلى السياق الصومالي، فهذه الدراسة مهمة للغاية لفحص وتحليل الأدبيات التاريخية التي نُظمت في حقبة ما بعد الاستعمار رغم أنها كُتبت بروح الدولة المستعمرة ويظهر فيها الانحياز باتجاه الالتفاف حول القبيلة.

أما حقبة ما بعد الفترة الاستعمارية، فيمكن تشخيصها بمعركة أيديولوجياتٍ مستعرة بين الليبرالية والاشتراكية والإسلاموية، وقدّمت كلّ من تلك الأيديولوجيات تفسيراتٍ مختلفة للأحداث التاريخية الماضية. ولهذا فإن دراسات التاريخ تكشف رؤى مختلفة مستخدمة في التحليل التاريخي وتستنبط تفسيراتٍ مستمرة، وتؤكد وجود فجواتٍ تاريخية، وقضايا مفقودة لم تنل بعد حقها من المعالجة في سياق حدثٍ تاريخيٍّ محدّد. وتشتمل الأسئلة الشائعة في دراسات علم التاريخ على موثوقية المصادر، ومصادقية الكتاب، وأصالة النصوص أو عللها، والتفسيرات المختلفة وما وراء السرديات التاريخية كما يُغطّي تأريخ أي موضوع محدّد كيف

---

(١) Conal Furay and Michael Salevouris, The Methods and Skills of History: A Practical Guide (Harlan Davidson Incorporated, 1988), 223. Moreover, consult, Tej Ram Sharma, Historiography: A History of Historical Writing (Concept Publishing Company, 2005).

(٢) Fury and Salevouris, The Methods, 223.

درس المؤرخون هذا الموضوع، وما هي المصادر المستخدمة، والطرق النظرية المتبعة.<sup>(١)</sup> ويمكن دراسة علم التأريخ من خلال مواضيع محدّدة مثل كتابة تأريخ أفريقيا، وكتابة تأريخ التطور الحديث للإسلام، وكتابة تأريخ انهيار الدولة الصومالية، وهكذا.

## ملاحظات مختصرة حول التأريخ الصومالي

هيمنت رؤية استشراقية وأنثروبولوجية توجّهت إلى التركيز على البدائية والطبيعة الاستاتيكية التي تجلّت في البنى الاجتماعية التقليدية على تاريخ الصومال المعاصر. وتلحق وجهة النظر هذه عامل القبيلة بالجوانب الأخرى من صورة التاريخ الصومالي وينتمي علماء هذه النظرية إلى مدرسة التحديث، والتي تركّز على الانتقال من التقليدي إلى الحداثي. ويقوم اعتقاد رواد نظرية التحديث على أن المجتمعات التقليدية يمكن تنميتها، بمساعدة الدول المتقدمة، وبنفس المنحى الذي سلكته الدول الأكثر تقدماً. ويقوم جوهر هذه النظرية على أن التراث يحتضر ويتلاشى مع مرور الزمن والتقدم الحضاري، وتحديدًا الإسلام والقبيلة في الحالة الصومالية.

واتبع معظم قادة الحركات القومية في الدول ما بعد الاستعمارية نظرية التحديث، وذلك في فترة التحول النوعي التي سادت في خمسينات وستينات القرن المنصرم بما في

---

(١) Patrick Manning, —African and World Historiography.‖ The Journal of African History / Volume 54 / Issue 03 / November 2013, 319 – 330.

انظر أيضاً:

Bathwel A. Ogot, —African Historiography: From Colonial Historiography to UNESCO's General History of Africa.‖

متاح على الرابط:

<http://rjh.ub.rug.nl/index.php/groniek/article/viewFile16429/13919/>

(تم الوصول بتاريخ ٧ فبراير ٢٠١٧).

انظر أيضاً:

Lidwien Kapteijns, —The Disintegration of Somalia: A Historiographical Essay.‖ Bildhaan: An International Journal of Somali Studies, Vol. 1, 2008.

ذلك القوميين الصوماليين. ويبرز هذا النمط من التعليم المدرسي بشكلٍ جليٍّ في كتابات المستشرق Richard Burton والأثروبولوجيين Enrico Cerulli و I.M. Lewis الذين قاموا بتمرير مضمون تلك النظرية ونقله إلى طلابهم اللاحقين مثل Berhard Halnder و Virginia Lulling، وسعيد سمتر. وانتقد باحثو ما بعد حقبة الاستعمار مثل إدوارد سعيد وآخرون تلك النظرية، وشمل هذا النقد منهجية بحث رواد هؤلاء النظرية وأيديولوجياتهم وخطاباتهم الاستشراقية. وبالعودة إلى رؤية إدوارد سعيد، فقد رأى أن النموذج الاستشراقي سمح للباحثين الأوروبيين بتمثيل العالم الشرقي وتصويره على أنه عالمٌ أدنى ومتخلف وغير عقلاني ووحشي على عكس أوروبا الغربية المتفوّقة والمتقدمة والتي تتمتع بالعقلانية والمدنية الغائبة عن الشرق؛ أي أنه يوجد عالمان: الشرق والغرب، ويعيش هذان العالمان على طرفي النقيض من بعضهما البعض.

وتأثر القوميون الصوماليون، إلى حدٍّ بعيد، بنظرية التحديث وتبنوا برامج وطنية، ورفعوا شعاراتٍ متعدّدة واستمروا في اعتماد سياسات تهدف إلى القضاء على التراث القبلي Qabyaaladda Dabargoynta. بل ووصل بهم الأمر إلى قيام النظام العسكري بتبني سياسةٍ عدائيةٍ للقضاء على التراث القبلي المنتشر، والتعامل مع الإسلام على أنه جزءٌ من الثقافة الاجتماعية المتخلفة وليس منهاجاً شاملاً يمسّ جوهر حياة المسلم، وشريعةً تقدّم حلولاً عمليةً، ومعالجاتٍ حقيقيةً لمعتنقيه.

وطالت الأدبيات الكثيرة التي نظمها أنصار هذه الرؤية انتقاداتٍ تمحورت حول محدودية نطاقها والعيوب السائدة في تفسيراتها فضلاً عن إهمال «الخصوصية التاريخية عند استخدام المفاهيم الرئيسية».<sup>(١)</sup> وتحدّت وجهة النظر الأخرى، التي نافستها، افتراضات رؤية التحديث، وتبنّت رؤيةً نقديةً تتمحور حول صون الخصوصية والتاريخية في تحليلاتهم.

---

(١) Abdi I. Samatar, —Destruction of State and Society in Somalia: Beyond the Tribal Convention,|| The Journal of the Modern African Studies 30 (1992): 625-641.

وظهر من الباحثين الذين اقترحوا تلك الرؤية التحويلية والتحويرية تأثرهم بالفكر الماركسي، وأبرز أولئك المتأثرين هم Kapteijns Lidwien، وأحمد سمتر وعبدى سمتر. وغير أحمد سمتر وعبدى سمتر فرضيتهما نحو رؤية أكثر شمولية تقوم على تحليل المجتمع الصومالي التقليدي، وذلك ضمن نموذج ثلاثي يجمع الارتباط بالقبيلة (tol)، والقانون التقليدي الصومالي «خير» (xeer)، والشريعة الإسلامية معاً. كما نظر أحمد سمتر لأهمية رسم تآلف ناجح وعملي بين رابطة الدم الصومالية، والتعاليم الإسلامية، والنظرية السياسية العلمانية.<sup>(١)</sup> وبحسب هذه الرؤية، فإن الديناميكيات والتفاعلات الداخلية بين عناصر هذا النموذج (القبيلة، القانون التقليدي، الإسلام) مترابطة ديكالكتيكياً، ويجب أن تتصالح مع الحداثة المنتشرة والممثلة بالدولة وسياقها المعولم. ويقرّ أحمد سمتر كذلك بأن «تحدي الانتقال هو تحدي التأليف والتوليف» وأن بداية «تغيير المواقف والاتجاهات يجب أن يُتبع بالأخذ بقوة بأعباء بناء المنظمات والهيئات الضرورية.»<sup>(٢)</sup>

وبعد انهيار الدولة المركزية في تسعينيات القرن المنصرم، ظهرت نزعةٌ تعديلية، وانطوت هذه النزعة على نقد الرؤيتين المشار إليهما أعلاه، لقبولهما بالأساطير القائمة واستغلال السرديات الرسمية التي ساهمت بوضع مفاهيم الصومال القديمة. وينطلق العلماء الذين تبنا هذه الرؤية من ضرورة إزالة الغموض ونزع صفة الأسطورة عن الصورة الشائعة التي وضعها القوميون الصوماليون المثاليون، والمؤرخون الاستعماريون، والمتأثرون بالمصالح

---

(١) Ahmed Samatar, —The Curse of Allah: Civic Disembowelment and the Collapse of the State in Somalial in Ahmed Samatar (ed.), The Somali Challenge: From Catastrophe to Renewal? (Lynne Rienner, 1994), 138

(٢) للاطلاع على آراء أحمد سمتر حول دور الإسلام في إعادة بناء الدولة الصومالية، عُد إلى الحاشية، المصدر السابق، حيث يُشير إلى أطروحة المؤلف:

Abdurahman Abdullahi, Tribalism, Nationalism and Islam: The Crisis of Political Loyalties in Somalia. MA thesis submitted to the Institute of the Islamic Studies, McGill University, 1992.

القبلية في فترة ما بعد الاستعمارية التي كانت لها الهيمنة. وبالإضافة إلى ذلك، فهم ينتقدون التاريخ القائم بوصفه تاريخاً شوفانياً، يركز على متابعة سير البدو الذي كانوا يسكنون في المحافظات الشمالية والوسطى في سعيهم لإقصاء السكان المزارعين الجنوبيين. وتدعو تلك النظرة التعديلية الانطوائية إلى إعادة دراسة الرموز والأساطير الوطنية التقليدية مثل التجانس العرقي، والوحدة اللسانية، والتجربة التاريخية المشتركة. وضّم هذا الطيف عدداً من العلماء أبرزهم: محمد مختار، وعلي جمعالي، وعبدي كوسو، وحسن مهدي، وكذلك Catherine Besteman.

ويمكن إرجاع الموضوعات الرئيسية لرؤى هؤلاء إلى كتابين تمّ تأليفهما مؤخراً، وجمعا جملة أوراقهما تحت عنوان كتابين منشورين هما: The Invention of Somalia [اختراع الصومال]، من تحرير البروفيسور علي جمعالي، وPutting the Cart Before the Horse [وضع العربة قبل الحصان]، من تحرير البروفيسور عبدي كوسو. وتبرز في أعمال هؤلاء الباحثين التعديلين الفوارق المناطقية والقبائلية في التفسيرات التاريخية، والمظالم التي أثيرت حول أحادية الجانب التي كانت نتاج تحييز الدراسات الصومالية المعمولة إلى أهل الشمال. إلا أنه، وبحسب نقد Alpers Edward، فإن المؤرخين التعديليين وقعوا في نفس الشرك والنسق الذين كانوا يسعون لاستبداله بتطويرهم «نسقاً جنوبياً ورعويّاً - زراعياً يُخشى منه بنفس الدرجة، على الأقل، من أن يفضي إلى الانطواء الإقليمي على الذات».<sup>(١)</sup> فهم، بهذا، يخلقون ثنائيةً من الشمال البدوي مقابل الجنوب الرعوي - الزراعي، وهو ما يعمّق انقسام المجتمع الصومالي غير المتماسك أصلاً.

أما المنظور التاريخي الرابع فقد تصدّره مؤلّف هذه السطور. وينتقد هذا المنظور وجهات النظر الثلاثة الأخرى لتجاهلهم وإقصاءهم المرأة والإسلام في بحثهم وتحليلهم التاريخي غير المتوازن. وتبدأ وجهة النظر هذه دراسة الأزمات المتماهية في أنساق الولاءات

---

(١) Edward Elper, —On Critique of the Somali Invention in Ali Jumale (ed.), The Invention of Somalia (The Red Sea Press, 1995), 223-232.

السياسية القبلية، والوطنية، ودين الإسلام، الذي يعتنقه معظم الصوماليين.<sup>(١)</sup> وتقتضي هذه الانتماءات التعددية في مستوى الولاءات وتتوقف عند الصراعات الداخلية القائمة في داخل الأفراد، وتطرح هذه الرؤية طرقاتاً حسيمة للتصالح والتوليف. وتؤسس وجهة النظر هذه إلى أن الإسلام والمرأة كانا عناصر مفقودة من ترابط التاريخ الصومالي الاستعماري وما بعد الاستعماري.<sup>(٢)</sup> ويقترح هذا المنظور الشامل إعادة النظر بالدراسات الثنائية الشائعة التي تدور حول فكرة القبيلة مقابل الدولة (Qabiil iyo Qaran)، وتحويله إلى مفهوم أوسع، المجتمع مقابل الدولة (Bulsho iyo Qaran) وبهذه الحالة؛ وبينما يتم التصالح مع الدولة بكونها نتاج الاستعمار، فإن التغير البنيوي يمكن تبنيه بسهولة، ويجب النظر إلى

---

(١) Abdullahi, Tribalism, Nationalism and Islam

(٢) تزايد عدد الدراسات التي تناولت المرأة الصومالية، ويُلاحظ وجود تأريخ جديد في هذا الجانب. انظر:

Lidwien Kapteijns, —Women and Crisis of Communal Identity: The Cultural Construction of Gender in Somali History, in The Somali Challenge: From Catastrophe to Renewal? ed. Ahmed Samatar (Colorado: Lynne Rienner Publishers, 1994), 212, Mohamed Haji Ingiriis, —Sisters; was this what we struggled for?: The Gendered Rivalry in Power and Politics. Journal of International Women's Studies Vol. 16, No. 2 January 2015, 382; Christine Choi Ahmed. —Finely Etched Chattel: The Invention of Somali Women in The Invention of Somalia, edited by Jumale Ahmed. (Lawrenceville: The Red Sea Press, 1995); Judith Garner, and Judy Al-Bushra, Somalia: The Untold Story, the War Though the Eyes of Somali Women (London: Pluto Press, 2004). Kapteijns, Lidwien, and Maryan Omar Ali. Women's voices in a man's world: women and the pastoral tradition in Northern Somali Orature, c.1899-1980 (Portsmouth, NH: Heinemann, 1999); Hamdi Mohamed, Gender and the Politics of Nation Building: (Re) Constructing Somali Women's History (Lambert Academic Publishing, 2014).

وهناك أيضاً عددٌ من أطروحات الماجستير والدكتوراة.



طبيعة المجتمع على أنها متغيرة أو متحوّلة وهذا في جوهرها، فهي لا تتمحور حول العشيرة من منظور أنثروبولوجي. وينبغي الأخذ بعين الاعتبار أن الهيمنة الذكورية، ضمن ديناميكيات القبيلة، التي همّشت النساء في عملية صناعة القرار ضمن المجتمع، قد تغيّرت بشكلٍ بارزٍ ولافتٍ بعد انهيار الدولة، ويجب أيضاً عدم إهمال الحركة الإسلامية التي تطوّرت بشكلٍ متميّزٍ بعد انهيار الدولة، في إطار تحليلٍ تاريخيٍّ شاملٍ للموضوع.<sup>(١)</sup>

وتحتاج وجهة النظر هذه بأن أي بناء دولةٍ صالحةٍ توافقيّةٍ يتوقّف على التصالح بين الوطنية والإسلام من ناحية، وتكييف الارتباطات القبلية من الناحية الأخرى. وإحقاقاً لهذا الهدف يقترح مؤلّف هذا الكتاب ما أسماه تصالحاً «واسعاً»، أو بمعنى آخر «التصالح بين الدولة والمجتمع»، والذي يتلاقى مع «التأليف الثلاثي»، المقترح مؤخراً من قبل البرفيسور أحمد سمر ولكن بطريقةٍ أكثر تطوراً وثراءً.<sup>(٢)</sup>

---

(١) Abdurahman Abdullahi, *The Islamic Movement in Somalia: A Case Study of Islah Movement (1950-2000)* (Adonis & Abbey, 2015).

انظر أيضاً:

Abdurahman Abdullahi, *Recovering the Somali State: Islam, Islamism and Transitional Justice* (Adonis & Abbey, 2016).

بدأت الفكرة التي قامت عليها وجهة النظر هذه مع أطروحة الماجستير:

Abdullahi, *Tribalism, Nationalism and Islam*.

(٢) Abdurahman Abdullahi (Baadiyow) and Ibrahim Farah, *Reconciling the State and Society in Somalia*

متاح على الرابط:

<https://www.scribd.com/document/15327358/Reconciling-the-State-and-Society-in-Somalia>

(تم الوصول بتاريخ ٢٠ فبراير ٢٠١٧).

## ملاحظات مختصرة حول فلسفة التاريخ

تقدّم فلسفة التاريخ تأسيساً مفاهيمياً لدوافع التاريخ، مثل دور الله (الإله)، والدور البشري، ودور الظروف المادية. وهي تبدأ بتحديد الوحدة المناسبة لدراسة الماضي الإنساني، فهل هو الفرد بحد ذاته؟ أم البوليس («المدينة - الدولة») [polis]، أم الإقليم السيادي، أم الحضارة، أم الثقافة، أم الجنس البشري بحاله؟<sup>(١)</sup> فهي تسعى، إذاً، لاكتشاف «أي أنماطٍ واسعةٍ يمكن تمييزها من خلال دراسة التاريخ، فضلاً عن مناقشة العوامل التي تحدّد مسار التاريخ، والهدف والقوة الدافعة للتاريخ، إن وجدت.»<sup>(٢)</sup> وفلسفة التاريخ مختلفة عن التأريخ وتاريخ الفلسفة حيث أن التأريخ معنيّ بالمناهج وتطور التاريخ، فيما يُعنى تاريخ الفلسفة بدراسة تطور الأفكار الفلسفية عبر الزمن. ويمكن القول بأن هناك ثلاثة أفكار رئيسية، بصورة عامة، ضمن أنساق التقليد الغربي، وهي دورية التكرار، والربوبية، والحتمية.<sup>(٣)</sup>

وكان اليونانيون هم أول من أرسى المفاهيم التكوينية لدورية التكرار، وذهبوا إلى أن التاريخ ليس له بداية ولا نهاية ولا هدف، لكنه يكرّر ذاته بحركة دورانية، تماماً مثل دورة الفصول الأربعة: الربيع والصيف والخريف والشتاء والتي تتكرّر عاماً بعد عام كما هي. وتنظر هذه الفكرة إلى أن التاريخ خالٍ من المعنى ولا يوجد إله أو مغزى من الأحداث. وتطوّرت فكرة دورية التكرار لاحقاً في الصين وفي العالم الإسلامي على يد ابن خلدون، وتم إسقاطها على نهوض وسقوط الدول والإمبراطوريات المتوالية أو المتزامنة.<sup>(٤)</sup> وتمّ استخدام تلك

---

(١) [http://www.newworldencyclopedia.org/entry/Philosophy\\_of\\_history](http://www.newworldencyclopedia.org/entry/Philosophy_of_history)

(٢) المصدر السابق.

(٣) للاطلاع على وصفٍ وتحليلٍ لمنهجيات كتابة التاريخ، وفلسفة التاريخ، والتأريخ، انظر:

Andrew Szanajda, Making Sense in History: Historical Writing in Practice (Bitng-duck Press LLC, 2007).

(٤) Ibn Khaldun, An Arab Philosophy of History: Selections from the Prolegomena of Ibn Khaldun of Tunis (1332-1406) (Darwin Press, 1987).

النظرة في الغرب لتفسير نهوض وسقوط الإمبراطوريات، بالنظر للماضي الإنساني على أنه سلسلة من النهوض والسقوط المتكرر.<sup>(١)</sup>

والنظرة الفلسفية الثانية هي النظرة اللاهوتية للتاريخ (النظرة المسيحية للتاريخ)، التي تؤكد، بعكس النظرية الأولى، أن التاريخ لديه نقطة بداية ويسير في خطٍّ مستقيم وباتجاه هدفٍ محدّد. وبالأخذ بهذه النظرة، فإن التاريخ يقتضي الاسترشاد من الإله وكلّ شيءٍ محدّدٍ سلفاً، والبشرية لا تستطيع فعل شيء لتغيير ما كان، فهي ليست أكثر من أداة تحرّكها «الجبرية التاريخية». <sup>(٢)</sup> وأخذ التقليد الفلسفي الغربي منحىً معاكساً لهذه النظرية ليعتبر أن المخلوق البشري، وليس الإله، هو القوة الدافعة للضرورة التاريخية. وتصدّرت هذه النظرية بدايات النظرة العلمانية للتاريخ وانبثاق النظريات الحتمية العلمانية للتاريخ. <sup>(٣)</sup> فعلى سبيل المثال؛ ناقش هيجل أن التاريخ عمليةٌ ثابتةٌ من الصراع الديالكتيكي، تواجه به كل فكرةٍ مضادةٍ أو واقعةٍ مضادة وتتمخض حالةٌ من التوافق من هذه العملية. ولكن جاءت أفكار كارل ماركس معارضةً لفكرة هيجل، الذي دافع عن فكرة روحانية للتاريخ، وأكد أنها الفكرة التي تقوده؛ فأكد، بل وشدد، ماركس على أن العوامل المادية هي التي تقود التاريخ، وقدم نظريته المعروفة بـ «المادية التاريخية». <sup>(٤)</sup> وتخلص هذه الأفكار الثلاثة، في النهاية، إلى أن كل شيءٍ يحدث في هذا العالم بشكل مستقلٍّ عن الإرادة الحرة للإنسان، أو دون أي تدخلٍ منه، مبددةً فكرة

---

(١) Shigeru Nakayama, —The Chinese —Cyclical View of History versus Japanese — Progress, in The Idea of Progress (ed.) by Jurgen Mittelstrass, Peter McLaughlin, Arnold Burgen (Berlin: Walter de Gruyter & Co., 1977), 65-76.

(٢) C.A. Patrides, The Grand Design of God: The Literary Form of the Christian View of History (Routledge Library Edition, 2016).

(٣) G. W. F. Hegel, and Leo Rauch, Introduction to The Philosophy of History: With Selections from The Philosophy of Right (Hackett Publishing, 1988).

(٤) T. Borodulina, On Historical Materialism (Progress Publishers in the Union of Soviet Socialist Republics, 1972).

الإرادة الحرة للإنسان، حيث تختفي فكرة الإنسان الحر الذي يستطيع الاختيار الحر وتحمل الأعباء الأخلاقية في حياته الطبيعية.<sup>(١)</sup>

وبعد رؤية بعض اللوحات من تلك النظرة الغربية لفلسفة التاريخ؛ لا بد لنا من الرجوع إلى الفكرة الإسلامية. وتقوم فلسفة التاريخ الإسلامية على أساس أن الله أعطى الإنسان الاستقلالية والعقل للحكم بشكل منطقي وعقلاني. وقد اختصه بالرسالة من خلال الأنبياء الذين يقدمون إرشادات عامة لكل جوانب الحياة. وجعل الإنسان «خليفة الله» في إدارة الكون طبقاً لإرشاداته العامة، وحثّ الناس على استخدام فكرهم الحر لاكتشاف القوانين الطبيعية. وكما أسبغ الله على الإنسان بحرية الاختيار، فقد كفل لهم أيضاً حرية طاعة الأنبياء وقبول إرشاداتهم أو رفضها والانحراف عنها. وتتحقق بذلك مسؤولية الناس عن أفعالهم وتصرفاتهم في هذا العالم والتي يترتب عليها حسابهم في الآخرة، لأنهم كانوا يملكون الفكر والحرية للاختيار. ويؤشّر القرآن في كثير من المواقف إلى سقوط ونهوض الأمم، ويحثّ الناس على التعلم من دروس الأمم السالفة.<sup>(٢)</sup>

وترتبط الأسباب الرئيسية لسقوط ودمار الحضارات بالانحراف عن الإرشاد الأخلاقي الذي وضعه الله سبحانه وتعالى على المستويين الشخصي والمجتمعي. ويشتمل المفهوم الإسلامي للتاريخ على عنصر ربوبي، ولكنه ليس جبرياً، ولا يتجاهل الإرادة البشرية ودور الأفكار والعوامل الاقتصادية كدوافع للتاريخ.<sup>(٣)</sup> وما يرفضه الإسلام في مفهومه للتاريخ هو

---

(١) للاطلاع على سردية رصينة عن فلسفات التاريخ الغربية والشرقية باستقناء الفلسفة الإسلامية، انظر:

David Bebbington, Patterns in History: A Christian Perspective on Historical Thought (England: Inter \_ Varsity Press, 1979).

(٢) انظر الآية القرآنية: ﴿لَقَدْ كُنَّا فِي فَصَصِهِمْ عِبْرَةً لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [يوسف: ١١١].

(٣) يعرف معجم The American Heritage Dictionary الجبرية بأنها: «المعتقد القائل بأن جميع الأحداث قد حُدِّثَتْ مسبقاً، وبهذا فلا يمكن تغييرها»، وعكسها الحتمية التي تقول بأن كل حدث له سببٌ أنتج هذا الحدث بالضرورة. وكلا المبدأين، الجبرية والحتمية، يعطّلان دور الإرادة الإنسانية الحرة.

استثناء دور ومسؤولية البشر وإعفاء مسؤولية الفاعل في صناعة الفعل والحدث أو الإشارة فقط إلى سنن الله العظمى والتي تتم بمعزلٍ عن مسؤولية الإنسان.<sup>(١)</sup> وبحسب هذه النظرة للتاريخ، يتحمل الصوماليون مسؤولية كل ما جرى لهم في تاريخهم الممتد وتحديداً زعمائهم وتحميل العوامل الخارجية وحدها غير متوافق مع النظرة الإسلامية للتاريخ. وهناك الكثير من الآيات في القرآن التي تصرّح بكل وضوح المفهوم الإسلامي للتاريخ. على سبيل المثال:

﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].  
﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الروم: ٤١].

﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣].

وهذه الآيات كلها، وغيرها مما زخر بها القرآن الكريم، توضّح بشكل لافت، منح الإنسان هامشاً واسعاً من الاختيار الحر وتبين العلاقة الارتباطية بين الفعل والإرادة الإنسانية، سواءً كان هذا الفعل فعل شرٍّ أو فعل خير.

## تنظيم الكتاب

هذا الكتاب هو الأول من بين سلسلة تهدف لرسم نظرات عامة للتاريخ الصومالي من منظورٍ شامل. وتأتي هذه الكتب المتتابعة بغية إنتاج خطة عملية، ورؤية طموحة قادرة على التصديّ للأسئلة التاريخية الكبرى، وذلك عن طريق استخدام لغة ميسرة تجمع بين المقاربات المواضيعية والتسلسل الزمني.

ويتألّف الكتاب الأول من أربعة فصول ونُشرَ بعضُها جزئياً كأوراقٍ أكاديمية في مجلاتٍ

---

(١) Zaid Ahmed, —Muslim Philosophy of History, in edited by Aviezer Tucker, A Companion to the Philosophy of History and Historiography (Published Online, 2009), 437- 445.

أكاديمية متنوعة أو كفصول في كتب أخرى. ولقد تمّ مراجعة هذه الأوراق وتعديلها وإضافة عليها، لتتلائم مع إعادة البناء التاريخي الموضوعاتي للصومال، كما يوضح عنوان الكتاب، ويخوض الكتاب في التاريخ الممتد لشبه جزيرة الصومال، والتاريخ القديم، وحقبة القرون الوسطى، ودور الطرق الصوفية، وتأثير الاستعمار، ونهوض وسقوط الوطنية الصومالية، وانهيار الدولة الصومالية. أي أن الكتاب يعالج التاريخ الصومالي بشكل موضوعي حتى انهيار الدولة، وتحديدًا التي تتناول الخلفيات التاريخية، وقد تبدو بعض فصول الكتاب متكررة وذلك بهدف تغطية كل موضوع بشكل مستقل، وربما يمكن القول بأن بعض هذه التكرار كان مبرراً ولا بد منه في موضعه كما أشرت سالفاً. وتقدّم هذه الفصول نظرةً بانوراميةً ولا تهدف أساساً إلى إعطاء تحليل تاريخي معمّق، فهي تقدم مادة إضافة لأولئك المهتمين بالدراسات المعرفية عوضاً عن ذلك.

وسيناقش الكتاب الثاني من هذه السلسلة الأحداث التي تلت انهيار الدولة، وسيركّز بالتحديد على إعادة تشكيل الدولة والمجتمع بأربعة مجالاتٍ مختلفة تتضمن إعادة تشكيل دور المرأة الصومالية، والدور المتغيّر للزعماء التقليديين، وإعادة تشكيل الهوية الوطنية، وتاريخ المجتمع المدني الصومالي. وأخيراً، سيتمّ استنباط خلاصاتٍ وتوصياتٍ عامة. وقد تطرّق هذا الفصل إلى تعريف بعض المفاهيم الهامة التي لا بد منها لدراسة التاريخ كمعنى التاريخ، والمؤرّخين ودورهم، وتعريف التأريخ مع إبداء بعض الملاحظات الموضوعية حول الدراسات التأريخية الصومالية، وفلسفة التاريخ وتناول كذلك التمييز بين الفلسفة الغربية للتاريخ والفلسفة الإسلامية للتاريخ وإزالة الالتباس المكتنف في كثيرٍ من الأحيان بينهما. ولا بد من القول بأن التمسك بمعاني هذه المفاهيم المختلفة هو أمرٌ جوهريٌّ لفهم الفكرة والموضوعات العامة لهذا الكتاب. وتلخّص الفقرات التالية سريعاً الفصول الأربعة الأخرى لهذا الكتاب.

يؤسّس الفصل الثاني من هذا الكتاب لتاريخ شبه الجزيرة الصومالية من العصور القديمة حتى العصور الوسطى. ويقدم وعياً تاريخياً عميقاً يصوّر شبه الجزيرة الصومالية

على أنها نواة للحضارات القديمة وعمقاً جغرافياً للدول المستقلة في فترة العصور الإسلامية الوسطى. وتلغي هذه الدراسة وجودية التخيلات التي تحصر جملة التأريخ العام لشبه الجزيرة الصومالية بأنها بدأت مع الفترة الاستعمارية، إذ لم يحظَ تأريخها القديم وتاريخها الإسلامي خلال العصور الوسطى بذات القدر من الدراسة والاهتمام.<sup>(١)</sup> ويقلّص هذا النقص حسَّ الفخر والوعي التاريخي للصوماليين ويقلّل قيمة وأهمية الحضارات الإنسانية الفريدة والغنية التي ازدهرت ذات مرة في هذه المنطقة بالرغم من أن إدراك التاريخ أمرٌ أساسيٌّ إذا ما أراد المرء استشعار الارتباط بالوطن وفهم تحدياته وأزمات ماضيه فضلاً عن صون الذاكرة الجمعية، وإحياء مفهوم الأمة التاريخية. ويهدف هذا الفصل إلى تقديم نظرة عامة للفترة التاريخية التي همّشت بعض الشيء في تاريخ شعب شبه الجزيرة الصومالية، ويهدف هذا الفصل أيضاً لإعادة بناء تاريخه القديم والإسلامي في العصور الوسطى بصورة مختصرة، فضلاً عن التطرق للدراسات السابقة في هذا الموضوع، والتي تناول انبثاق السلطنات المسلمة في الأراضي الصومالية. فيشكّل الفصل، باختصار، خلاصةً حول السمات التاريخية العامة للفترة محل الدراسة، ويضع سردياتٍ متصارعةٍ تحتاج إلى مزيدٍ من التمهيد والدراسة.

ويبحث الفصل الثالث من الكتاب في إعادة التشكيل المبكر للمجتمع الصومالي الذي تكفّلت به كلٌّ من الطرق الصوفية والاستعمار ويسلّط الضوء على تلك الفترة التي تبدأ من الحقبة ما قبل الاستعمارية، والمقسّمة إلى ثلاث فتراتٍ أساسيةٍ متداخلةٍ ومتفاعلة فيما بينها. وتبحث الفترة الأولى في التأثير الاجتماعي لإحياء الإسلام متجسداً في دور الطرق الصوفية، بينما تبحث الفترة الثانية بشكل مركّز في الغزو الاستعماري المتعدّد الأولوية والممتد في شبه

---

(١) نظم البروفيسور محمد شمس الدين ميغالوماتيس مؤخراً مساراً دراسياً عن «تاريخ الصومال قبل الإسلام»، ويمكن إيجاداه على الرابط:

[https://www.academia.edu/23220147/HISTORY\\_OF\\_PRE-ISLAMIC\\_SOMALIA\\_-\\_COURSE\\_DESCRIPTION\\_Muhammad\\_Shamsaddin\\_Megalommatis](https://www.academia.edu/23220147/HISTORY_OF_PRE-ISLAMIC_SOMALIA_-_COURSE_DESCRIPTION_Muhammad_Shamsaddin_Megalommatis).

(تم الوصول بتاريخ ١٧ يناير ٢٠١٧).

الجزيرة الصومالية، وتجدر الإشارة إلى أن هذا الغزو هو ما استثار مقاومةً صوماليةً سواءً بصورتها المسلحة أو بكفاحها السلمي. وفي ظل تلك الحقبة، تعلّم الصوماليون أمور الحرب الحديثة وتقنيات الانتاج المادي والطرق الحديثة لممارسة العمل السياسي، وذلك كنتيجة مباشرة للتفاعل مع الإدارات الاستعمارية المختلفة.

وتتناول الفترة الثالثة من تلك الحقبة تأثير الاستعمار على قسمي التعليم والثقافة وإنتاج النخب المغرّبة. وتطورت القبلية السياسية في ذلك الوقت مع ظهور الأحزاب السياسية، كما ظهر انقسام النخب إلى إسلامية، وغير إسلامية، وغربية وشرقية، وبدأ التوتر المتنامي بين الحداثة والتراث في ميدان الكفاح الوطني والاستقلال السياسي والتحرر من رواسته.<sup>(١)</sup> ومن المهم التنبيه إلى أن تأجج هذا المشهد والصراع بين النخب والقبائل المسيّسة هو ما أدى إلى صحوّة إسلامية. ومن هنا يتبلور فهم التدهور الجذري الذي صاحب العلاقة بين الدولة والمجتمع، وأدّى إلى نتائج كارثية تسببت أخيراً بانحيار الدولة الصومالية عام ١٩٩١ م.

ويبحث الفصل الرابع من هذا الكتاب في تاريخ نهوض القومية الصومالية، وأسباب سقوطها عن طريق دراسة مشروعين قوميين: إنهاء القبلية، والسعي نحو الصومال الكبير، كما يبحث سياسات الدولة الصومالية في الفترات المدنية والعسكرية بمساعيها المعتدلة والرايكانية نحو تحقيق أهدافٍ قوميةٍ محضة. وشهدت المستعمرة الإيطالية الصومالية أثناء الحقبة الفاشية (١٩٢٣ - ١٩٤١ م) نكسةً للوعي السياسي والتجسد المؤسّساتي للقومية، إذ شهدت تلك الفترة حظر النشاطات السياسية والاجتماعية، إلا أنّ ذلك تغيّر بعد هزيمة إيطاليا

---

(١) يتسق تصنيف النخب إلى إسلامية، وغير إسلامية، ومغرّبة مع التصنيف القرآني للمسلمين كما تبين الآية القرآنية التالية: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ. وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنُ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]. ويتحاشى هذا التصنيف عن وصف النخب المسلمة التي لا تلتزم بالإسلام على أنها علمانية. وهناك بعض النخب المغرّبة التي تدعي العلمانية، وهذا أيضاً فيه شيءٌ من الأخذ والرد.



في الحرب العالمية الثانية في القرن الأفريقي عام ١٩٤١. ومن ثمّ آلت الصومال إلى إدارة عسكرية بريطانية منحت حرية التعبير والتنظيم.<sup>(١)</sup>

وهكذا بدأت عملية التحرّر الصومالي من الاستعمار والتي تزامنت مع ظهور الحركة الوطنية الأولى «نادي الشباب الصومالي» يوم ١٥ مايو عام ١٩٤٣. وكانت عملية نهوض الوطنية وبناء الدولة مخاضاً طويلاً لم يكن فشله مجرد نهايةٍ اعتباطية، بل مرّ بعدة مراحل من الصعود والهبوط. وكانت هاتان العمليتان مشتركتين وعلى فتراتٍ متقطّعة حتى حلّ أجل السقوط الأخير، وانفلات النظام، وانهيار الدولة بالكامل. ويشمل هذا الفصل بحثاً في تاريخ صعود وسقوط القومية الصومالية وبناء الدولة والتوقف عند المحطات التاريخية لانبعاث وتشكل النخب القومية. فضلاً عن تطرّقه إلى أداء النخبة الوطنية في عملية بناء الدولة والتعامل مع القبلية السياسية ومشروع الصومال الكبير. ويشتمل القسم الأخير من الفصل على خلاصاتٍ وزيدٍ متسقة فيما بينها.

ويبحث الفصل الخامس من الكتاب في الدولة الصومالية، ويقدم خلفيةً نظريةً وتأريخاً لسقوط الدولة. وقد نال هذا الموضوع اهتماماً أكاديمياً ملموساً خلال العقود الثلاثة الأخيرة تقريباً، إلا أن معظم الدراسات ركّزت على مواضيع ذات ارتباطٍ عمليّ بكيفيات تدخل المجتمع الدولي، وتوصف المعاناة والجفاف المتعاود والأزمات الإنسانية كتبعاتٍ لانهيار الدولة، والحرب الأهلية، والقرصنة، والتطرف، والإرهاب. ولذلك، ركّزت المواضيع العامة لأعمال المقدمة ابتداءً على التحليل الظرفي للحرب الأهلية والكارثة الإنسانية، وآليات

---

(١) Robert Patman, The Soviet Union in the Horn of Africa: The Diplomacy of Intervention and Disengagement (Cambridge: Cambridge University Press, 1990), 34.

انظر أيضاً:

Cedric Barnes, —The Somali Youth League, Ethiopian Somalis and the Greater Somalia Idea, 1946-48. || Journal of Eastern African Studies Vol. 1, No. 2, 277-291, 2007, 80.

تعاون الصوماليين فيما بينهم سواء داخل البلاد وخارجها ومساعي احتواء الوضع وإنهاء المعاناة، والتدخل الإنساني الدولي، ومؤخراً، الإرهاب الدولي والقضايا الأمنية.<sup>(١)</sup> كما تزايدت الدراسات العالمية التي تناولت انهيار الدولة ضمن الدوائر الأكاديمية، واعتبرت الصومال على أنها اختزالاً لنموذج كلاسيكي لانهايار الدولة،<sup>(٢)</sup> ولو أن معظم الأعمال الناتجة ذات الطابع الأكاديمي كانت على هيئة مقالات وأوراق بحثية صدرت على فترات متقطعة.<sup>(٣)</sup> وتنظر تلك الكتابات، بعبارات أوضح، إلى فشل الدولة الصومالية وانهيارها من منظورات مختلفة، ولا تُرسم صورة شاملة لأسباب الانهيار في معظم الوقت، كما أن تحليل معظم الأبحاث ركّز على الأسباب العملية والتقريبية، مع ثانوية الإسهاب في

---

(١) يُنظر إلى الصومال، في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، على أنها ملاذ آمن للجماعات الإرهابية، مع إغلاق عددٍ من المؤسسات، وإعلان عددٍ من المجموعات عن صلاتها الإرهابية.

(٢) ويمكن إيجاد بعض الأمثلة على ذلك مثل «مشروع الدولة الفاشلة» التابع لجامعة هارفارد برعاية مؤسسة السلام العالمي، وأيضاً «مشروع الدولة الفاشلة» في جامعة بيردو. وقد أصدر كلا المشروعين نتائجاً أدبياً غزيراً وأوراقاً بحثية عديدة عن هذا الموضوع.

(٣) Terrence Lyons and Ahmed Samatar, *Somalia: State Collapse, Multilateral intervention, and Strategies for Political Reconstruction* (Washington: The Brookings Institution Occasional Paper, 1995); Ahmed Samatar (ed.), *The Somali Challenge: From Catastrophe to Renewal?* (Lynne Rienner Publishers, 1994); Hussein M. Adam, —*Somalia: A Terrible Beauty Being Born?* In I. William Zartman (ed.), *Collapsed States: The Disintegration and Restoration of Legitimate Authority* (London: Lynne Reinne, 1995); Walter S. Clarke, —*Somalia: Can a Collapsed State Reconstitute itself?* In Robert I. Rotberg (ed.), *State Failure and State Weakness in a Time of Terror* (Washington: Brookings Institution Press, 2000); Brons, Maria, “The Civil War in Somalia: Its Genesis and Dynamics” *Current African Issues*, (11, Uppsala, Nordiska Africainstitutet, 1991); Virginia Luling, “Come back Somalia? Questioning a Collapsed State” *Third World Quarterly*, 18:2 (1997), 287-302.

سرد تفاصيل أصل انهيار الدولة. ومن ثمّ يهدف هذا الفصل إلى سدّ هذه الثغرة الكاشفة في الصورة العامة، وإعادة تنظيم رؤى الحقول الأكاديمية المختلفة ضمن مواضيع عامة، وكشف العوامل الرئيسية المؤدية إلى هذا الانكشاف وتبني صورةٍ شاملةٍ ساهمت في سقوط الدولة الصومالية. ولتحقيق ذلك، ينبغي، أولاً، أن يتمّ إعادة رسم صورةٍ عامةٍ لنهوض وسقوط الدولة الصومالية، وثانياً، تحديد نظريات قدرة الدولة والصراعات والتأثيرات القائمة والتي سيتمّ التقديم لها بشكلٍ مختصر، وثالثاً، الرؤى الأكاديمية الكبرى لانهيار الدولة الصومالية، وكيف يمكن إعادة جمعها وتحليلها وتصنيفها إلى أسبابٍ ناشئة، وعملياتية، وأخرى تقريبية. وأخيراً، يتمّ طرح الخلاصات وتقديم التوصيات.

وفي الختام، يؤكّد هذا الكتاب على الفعالية الصومالية وتفاعلها مع ما يعترضها من أفكارٍ ومؤسساتٍ وإنتاجٍ مادي في العمل على إعادة بناء التاريخ الصومالي وتمحيص الأحداث التي وقعت في أزمان وأماكن مختلفة. وينطوي ذلك على اكتشاف ما وجده الصوماليون مفيداً وتقبل المجتمع وآمن بفائدته واستمر وبقي إلى حين. وفي الوقت ذاته، يسعى الكتاب لكشف ما استعارته الصومال من الأمم الأخرى، ولكن اعتبره الصوماليون دخيلاً غريباً غير متوافقٍ ومتكيّف مع الثقافة المجتمعية والعادات التي انضمرت. وبفعل ذلك، علينا ألا نذرف الدموع أو نشعر بالحنين لما تسبّب بالأزمة للبلاد وفشل بالنهاية في اختبار التجربة التاريخية التي خاضها القوميون الصوماليون المتأخرون. ولكن هذا لا يعني الحطّ أو التقليل من قدر القضية النبيلة لمؤسسي القومية الصومالية وآباء الدولة القومية، أو وضع كل القوميين اللاحقين في سلة واحدة، بل ما يعنينا هو كشف السياسات والتصرفات، وما يتبعها من الفترتين الاستعمارية وما بعد الاستعمارية، وتأثيرها التراكمي التي تسببت بانهيار الدولة بعد ثلاثين عاماً من التأسيس والاستقلال.

وأخيراً، يجب أن يؤسّس إنتاج تاريخ الصومال المعاصر على فهمٍ عميقٍ لركني التراكيب الصومالية وهما: الإسلام والقبيلة، وكيف يمكن مصالحتهما مع الدولة الحديثة. وإن انتقاء عامل القبيلة دون غيره واعتباره أنه الملام الأساسي في تفكيك الحلم وتحقيق

الوحدة السياسية وتضخيم دوره التقسيمي - وهو ما كان تركيز الدراسات التاريخية السابقة - ما هو إلا تضليلٌ مخجل. وبالإضافة إلى ذلك، فإن في إهمال الإسلام ودوره التكاملي، أو النظر له على أنه مجرد ثقافةٍ مجتمعيةٍ بلا نفعٍ في بناء الدولة أو أنه تهديدٌ لبناء الدولة الحديثة، تهديدٌ وجودي لشعبنا. ولقد تجاوزت الصومال عتبة الأفكار العلمانية غير البناءة بعد انهيار الدولة وظهور المنظّمات الإسلامية المتنوّعة العاملة بنشاط في كل المجالات. ويؤكد ذلك رؤية اليوم الإسلام وداعميه واقفين بثبات بكونهم الأكثر تنظيماً ونشاطاً في المجالات العامة في البلاد، ولهم العديد من الشبكات المجتمعية المنتشرة في أنحاء البلاد.

\*\*\*

## الفصل الثاني

### تاريخ شبه الجزيرة الصومالية

### من العصور القديمة حتى العصور الإسلامية الوسطى



خريطة رقم (٢): أرض الشعب الصومالي في شبه الجزيرة الصومالية

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾

[الروم: ٩]

«ستبقى قصص الصيد تمجد الصيادين ما بقي الأسود من دون مؤرّخيهم»

Chinua Achebe

التاريخ هو دراسة أحداث الماضي باستخدام المصادر المكتوبة والشفوية والتي تم حفظها في مصادر ملموسة. وهو كذلك عملية ذاتية لإعادة خلق أحداث الماضي تعتمد على منظور الإنسان. والتاريخ يمنح الشعوب حساً بالهوية، ويمنعهم من تكرار أخطاء الماضي، ويوفر لهم وعياً بماضيهم وصلة ذلك بحاضرهم الحي، إضافةً إلى الثقافات والشعوب والبلدان المختلفة عنهم. ويمكن أن يُدرس التاريخ على مستوياتٍ مختلفة، مثل التاريخ الوطني والإقليمي والعالمي، لكن هذه المراحل كلها تظهر أن البشر ليسوا منفصلين عن بعضهم البعض بماضيهم وحاضرهم، وأن حياتهم قائمةٌ على علاقات الاعتماد المتبادل. وقسم المؤرخون، وتحديدًا المؤرخون الغربيون، الدراسات التاريخية إلى فتراتٍ أربعة. الفترة الأولى تُسمى «ما قبل التاريخ»، وتبدأ مع الظهور الأول للبشر على الأرض وتستمر حتى تطور أنظمة الكتابة. وهناك كذلك تقسيماتٍ فرعيةٌ سُميت بحسب تقنيات صناعة الأدوات، مثل العصر الحجري، والعصر البرونزي، والعصر الحديدي.<sup>(١)</sup> والأركولوجيا هو الموضوع المرتبط بهذه الفترة، وهو المصدر الوحيد لدراساتها. والفترة الثانية تُسمى «التاريخ القديم» (٣٦٠٠ ق.م. - ٥٠٠ م) وتبدأ مع بداية ظهور أولى السجلات المكتوبة، وتنتهي بعد سقوط بضعة إمبراطوريات كبيرة، بما فيها الإمبراطورية الرومانية الغربية (٢٨٥ - ٤٧٦ م)، وسلالة Han التي حكمت الصين (٢٠٦ ق.م. - ٢٢٠ م)، وإمبراطورية Gupta في الهند (٣٢٠ - ٥٥٠ م). والفترة الثالثة تُسمى «تاريخ العصور الوسطى» (٥٠٠ - ١٥٠٠ م)، والتي تبدأ بسقوط الإمبراطوريات المذكورة، وتنتهي مع اختراع الطباعة (١٤٤٠ م)، واكتشاف

(١) Grahame Clark, World Prehistory: A New Outline (Cambridge University Press, 1971)

أمريكا (١٤٩٢م)، وفتح الإمبراطورية العثمانية للقسطنطينية (١٤٥٣م). والفترة الرابعة تُسمّى «التاريخ الحديث» (١٥٠٠م-الآن)، وتبدأ مع نهاية فترة العصور الوسطى حتى اليوم. وتُقسّم كل فترة إلى مراحل بالاستناد إلى خصائص مشتركة محددة رغم أن كل مرحلة تفتقد بشكل عام إلى خطوط مرسومة واضحة. تتسم كل فترة من تلك الفترات بالتداخل فيما بينها. ويتبيّن بأن السرديات التاريخية الغربية يُنظر إليها على أنها التاريخ العالمي، وهو ما يتسق بالفعل مع نظرية علاقات السلطة وإنتاج التاريخ.

ومن الواضح أن الفترتين الأوليتين، «ما قبل التاريخ» و«التاريخ القديم»، يمكن اعتبارهما إلى درجة ما تاريخاً عاماً لكل البشرية، مع بعض الاختلافات في بعض القارات والمناطق. فكانت هناك، مثلاً، مناطق صارت لاحقاً جزءاً من العصور القديمة والوسطى، في وقت كانت فيه بعض المناطق الأخرى عالقة في فترة ما قبل التاريخ. ولذلك يمكن فعليا اعتبار الفترات التاريخية مجرد سمة عامة للتاريخ البشري. وبالنظر إلى الفترتين الثالثة والرابعة، يبدو أن السمات العامة والمشاركة تباينت بشكل جوهري، وأصبحت عالميتها ملتبسة. وبالنسبة إلى العصور المظلمة أو فترة العصور الوسطى في التاريخ الأوروبي (٥٠٠ - ١٥٠٠م)، فمن الملاحظ أنها كانت فترة مظلمة فكرياً، بل وبربرية في أوروبا، بينما تُعدّ هذه الفترة هي الفترة الذهبية للحضارة الإسلامية.<sup>(١)</sup> فأنتجت الحضارة الإسلامية خلال هذه الفترة ثقافة عظيمة في النواحي العلمية، والفلسفية، والفنية، بينما استوعبت في الوقت ذاته المعرفة العلمية

---

(١) عن الحضارة الإسلامية خلال العصور المظلمة لأوروبا، انظر:

Roger Savory, Introduction to Islamic Civilization (Cambridge University Press, May 28, 1976); International Institute of Islamic Thought, The Essence of Islamic Civilization: Volume 21 of occasional papers (International Institute of Islamic Thought, 2013)

وأيضاً:

Gustave Le Bon, The world of Islamic civilization (Tudor Publication Co., 1974).

للحضارات الأخرى مثل اليونان وفارس والصين وصدرتها لاحقاً إلى أوروبا.<sup>(١)</sup> ويمكن على ما سبق بأن نستخدم مصطلحات «العصور الوسطى الأوروبية»، و«العصور الوسطى الإسلامية» لإظهار القواسم المشتركة زمنياً، والاختلاف في المستوى التنموي. إضافة إلى ذلك، فالتاريخ الأوروبي الحديث، المشخص بالفترات الأيقونية مثل النهضة (١٤٠٠ - ١٧٠٠م)<sup>(٢)</sup> والثورة الصناعية (١٧٦٠ - ١٨٤٠م)،<sup>(٣)</sup> والاستعمار (من القرن السادس عشر حتى منتصف القرن العشرين)،<sup>(٤)</sup> وعصر التقدم التقني، كان مختلفاً بالكلية عن ظروف البلدان المستعمرة. وكانت تلك الفترات زمن انتكاسٍ في الحضارة الإسلامية، وحقبة من الاستعمار وتشكل الدولة الوطنية في القرن التاسع عشر. ولذلك يمكن تسمية تلك الفترة ضمن السياق الصومالي بـ«فترات ما قبل الاستعمار، والاستعمار، وما بعد الاستعمار».

فترة ما قبل التاريخ	ظهور البشرية واختراع الكتابة
التاريخ القديم	من اختراع الكتابة في عام ٣٦٠٠ ق.م. حتى سقوط الإمبراطوريات عام ٥٠٠ ق.م.
العصور الوسطى الإسلامية	من القرن السابع حتى القرن السابع عشر

(١) Masoumeh Banitalebi, Kamaruzaman Yusoff and Mohd Roslan Mohd Nor, —The Impact of Islamic Civilization and Culture in Europe During the Crusades.‖ World Journal of Islamic History and Civilization, 2 (3): 182 2012 ,187 -.

(٢) فترة النهضة هي تسمية تُشير إلى الفترة الممتدة بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر في التاريخ الأوروبي، وتُعدّ هذه الفترة الجسر الواصل بين العصور الوسطى والتاريخ الحديث. وكانت بدايتها في إيطاليا، قبل أن تنتقل إلى باقي الدول الأوروبية.

(٣) كانت الثورة الصناعية هي النقطة من الإنتاج اليدوي إلى استخدام الآليات، مثل التصنيع الكيميائي، وإنتاج الحديد، والاتكال الكبير على الطاقة المائية، وطاقة بخار الماء، ونهضة أنظمة المصانع. وكانت الأنسجة هي أيقونة الثورة الصناعية بإنتاجها بكميات هائلة باستخدام التكنولوجيا الحديثة.

(٤) Jurgen Osterhammel, Colonialism: A Theoretical Overview (M. Wiener, 1997).



فترة ما قبل الاستعمار والاستعمار وما بعد	من القرن السابع عشر حتى يومنا الحاضر
--	--------------------------------------

الاستعمار

جدول رقم (١): الفترات التاريخية العالمية مضبوطة بحسب الصومال

إذاً، في حالة الصومال، بكونها جزءاً من الحضارة الإسلامية، وقياساً على هذا، تبدأ الفترة التاريخية الثالثة بدخول الإسلام إلى شبه الجزيرة الصومالية في القرن السابع وتنتهي بانتهاء سلطنة أجوران وسلطنة عدل الإسلامية في القرن السابع عشر. ويمكن اعتبار الفترة الرابعة حقبة انحدارٍ كما يتجلى في حقبة ما قبل الاستعمار التي تباينت بالدول المتشظية التي تتبعها إعادة تشكيل المجتمع من خلال الاستعمار ودولة ما بعد الاستعمار. فتبدأ فترة ما قبل الاستعمار مع سقوط السلطنات الإسلامية في شبه الجزيرة الصومالية وتأسيس الإمارات القبليّة حتى الغزو الاستعماري في ثمانينيات القرن التاسع عشر، وتبعتها الحقبة الاستعمارية التي تمتد من ثمانينيات القرن الثامن عشر حتى عام ١٩٦٠م، والذي واجهت بها الصومال استعماراتٍ متعدّدة تباينت في حقدّها وعداوتها. وآخر هذه الحقب هي حقبة ما بعد الاستعمار التي بدأت عام ١٩٦٠م ولا تزال مستمرة حتى اليوم، وتُعرّف هذه الفترة بسقوط ونهوض الدولة وما تبعها من تأثيراتٍ كارثية. وبوضعنا إطاراً عاماً للتاريخ الصومالي، سننتقل الآن إلى تقديم نظرةٍ عامةٍ للفترات القديمة والوسطى الإسلامية لشعب شبه الجزيرة الصومالية، الشعب الذين يُنظر لهم غالباً على أنهم « شعب بلا تاريخ». وهنا، سنُظهر أن الشعوب المستعمرة كان لها مسارها التاريخي الخاص المتوازي مع المسار الأوروبي.<sup>(١)</sup>

تقع شبه الجزيرة الصومالية على طريق التجارة الاستراتيجي الواصل بين أفريقيا وآسيا وأوروبا. فهي مهد العرق الإنساني ونواة الحضارات القديمة. وجال الشعب المتحدّث باللغة

(١) يتحدّى Eric Wolf الفكرة الأثروبولوجية السائدة بأن الثقافات والشعوب غير الأوروبية كانت كتلاً معزولة

وغير استاتيكية قبل وفود الاستعمار الأوروبي والإمبريالية. انظر:

Eric Wolf and Thomas Eriksen, Europe and the People without History (Berkeley: University of California Press, 2010).

الكوشية في هذه المنطقة على مدار سبعة آلاف عام مضت. وهو شعبٌ أصليٌّ في هذه المنطقة ينحدر منه الشعب الصومالي. ويتحدّى هذا دليل الفرضية السابقة حول أصول الشعب الصومالي، التي تؤكد أن الصوماليين هاجروا إما من الهضاب الأثيوبية الجنوبية في القرن الأول الميلادي، أو من جنوب شبه الجزيرة العربية بعد القرن العاشر الميلادي. وتقضي هاتان الفرضيتان على أن الصوماليين وفدوا إلى الأرض التي يعيشون بها اليوم، وأنهم طردوا شعباً آخر في القرون المبكرة. إلا أن الأدلة التاريخية تُظهر أن شبه الجزيرة الصومالية كانت رابطاً محورياً في الاقتصاد الدولي وشعبها تاجر بالعديد من البضائع مثل البخور والمر والبهارات، مع المصريين القدماء،<sup>(١)</sup> والفينيقيين،<sup>(٢)</sup> والموكيانيين،<sup>(٣)</sup> والبابليين<sup>(٤)</sup>. وهذه البضائع كانت تُنتج وتُصدّر من بلاد «بونت»، الواقعة شمال شرقي شبه الجزيرة الصومالية. وإضافةً إلى ذلك، فقد ازدهرت مدنٌ تجاريةٌ أخرى على طول سواحل المحيط الهندي، كما يروي كتاب The Perplys of the Erythrean Sea [الطواف حول البحر الإريتري]، في القرن الأول الميلادي.

دخل الشعب الصومالي في دين الإسلام بتتابعٍ سريع خلال الفترة الإسلامية من العصور الوسطى، التي بدأت في القرن السابع، بل وتزايد تقبله للإسلام بصورة ملحوظة فيما تلا ذلك

---

(١) ازدهرت الحضارة المصرية القديمة على امتداد وادي نهر النيل، وتتابع على مدار سنواتها ٣٠ سلالة حكمت تلك المنطقة لما يقارب ثلاثة آلاف عام من عام ٣١٠٠ حتى ٣٣٢ قبل الميلاد.

(٢) تموضعت الحضارة الفينيقية على السواحل الشرقية للبحر المتوسط في الهلال الخصيب على سواحل ما يُعرف الآن بלבنة، وفلسطين، وسوريا، وجنوب غربي تركيا. وامتدت هذه الحضارة على امتداد إقليم البحر الأبيض المتوسط بين عامي ١٥٠٠ قبل الميلاد و٣٠٠ قبل الميلاد.

(٣) مثلت الحضارة الموكيانية آخر عصور الحقبة البروزية في اليونان القديمة (١٦٠٠ - ١١٠٠ ق.م.)، وكانت هي أول حضارة إنسانية متقدّمة في أرض اليونان.

(٤) تأسست الحضارة البابلية على هيئة دولةٍ تتحدّث اللغة الآكدية، وكانت أيضاً منطقة ثقافية تركزت في جنوب أواسط بلاد الرافدين (العراق اليوم). وقامت هذه الدولة عام ١٨٩٤ قبل الميلاد، وتفكّكت عام ٥٣٩ قبل الميلاد. وقد ساهم البابليون مساهماتٍ كبيرة في توسيع رقعة حكم حمورابي في النصف الأول من القرن الثامن عشر قبل الميلاد.

من قرون، وبالتالي فقد عزّز العلاقات التاريخية مع شبه الجزيرة العربية. وبات الصوماليون محلياً جزءاً من السلطنات المسلمة أوفات، وعدل، في القرن الثالث عشر، ولعبوا دوراً كبيراً في حروب الكر والفر مع الإمبراطورية الحبشية في الهضاب. وقامت دولة أجوران، الدولة الأكبر في الصومال في فترة ما قبل الاستعمار، في القرن الرابع عشر. وامتدت رقعتها لتشمل السواد الأكبر من جنوب الصومال حتى القرن السابع عشر. وسلطنة أجوران لها الفضل برّد الغزو الأوروبي من غرب الصومال وأيضاً الغزو البرتغالي. ووضعت سلطنة أجوران خطة محكمة لنشر الإسلام في شرق أفريقيا. إلا أن كلاً من سلطنة عدل وأجوران عانتا من شيء من الضعف في القرن السابع عشر، وتمّ استبدالهما بدول متشظية وقبليّة حتى استغلت القوى الاستعمارية الفرصة السانحة وهيمنت على شبه الجزيرة الصومالية.

ويوحى التأريخ العام لشبه الجزيرة الصومالية بأن التاريخ بدأ مع فترة الاستعمار،<sup>(١)</sup> في ظل غمط تاريخها القديم الغني وتاريخها الإسلامي بالعصور الوسطى حقّه من الدراسة. ويغيّب هذا النقص حساً من الفخر والوعي التاريخي للصوماليين ويقلّل قيمة وأهمية الحضارات الإنسانية الفريدة والغنية التي ازدهرت ذات مرة في هذه المنطقة. وإدراك التاريخ هو أمرٌ أساسيٌّ لتطوير إدراكٍ بالارتباط بالوطن وفهم تحديات وأزمات الماضي، وحفظ الذاكرة الجمعية، وإحياء مفهوم الأمة التاريخية. ولهذا السبب يهدف هذا الفصل باختصار إلى تقديم نظرة عامة للفترة التاريخية الأقل تناولاً لشعب الصومال، ولإعادة بناء تاريخه القديم والإسلامي في العصور الوسطى. فتغطّي مراجعة الأدبيات للحضارات القديمة والإسلامية في العصور الوسطى وظهور السلطنات المسلمة في الأراضي الصومالية. ويرسم خلاصة

---

(١) نظم البروفيسور محمد شمس الدين ميغالوماتيس مؤخراً مساراً دراسياً عن «تاريخ الصومال قبل الإسلام»، ويمكن إيجاداً على الرابط:

[https://www.academia.edu/23220147/HISTORY\\_OF\\_PRE-ISLAMIC\\_SOMALI\\_A\\_-\\_COURSE\\_DESCRIPTION\\_Muhammad\\_Shamsaddin\\_Megalommatis](https://www.academia.edu/23220147/HISTORY_OF_PRE-ISLAMIC_SOMALI_A_-_COURSE_DESCRIPTION_Muhammad_Shamsaddin_Megalommatis).

(تم الوصول بتاريخ ١٧ يناير ٢٠١٧).

حول السمات التاريخية العامة للفترة التي يتناولها ويضع سرديات متجاذبة تحتاج إلى مزيداً من العناية والدراسة.

## مراجعة الأدبيات

تُستهل الدراسات التاريخية في الغالب بمراجعة الأدبيات للوصول إلى فكرة تلخص ما كتبه الباحثون السابقون حول موضوع معين تحت التحقيق. وبفعل ذلك، وجد الكاتب أن الدراسات الأكاديمية حول التاريخ القديم لشعب شبه الجزيرة الصومالية محدودة جداً إلى حد وصفها بأنها تمثل فجوة تاريخية ضخمة وثقوباً أسوداً فكرياً. ولهذا السبب، يركز هذا الفصل على قطع متناثرة من الأدبيات التاريخية العامة، والمقالات المبعثرة، والأعمال الأركولوجية. أولى الأعمال المكتوبة، الذي يوصف الروابط التجارية والمدن على سواحل المحيط الهندي، هو كتاب الطواف حول البحر الإريتري الذي كتبه رحال يوناني مجهول الاسم في القرن الأول الميلادي.<sup>(١)</sup> والوثيقة الهامة الأخرى التي يجب الرجوع إليها هي أطروحة دكتوراة لمحمد نوح، عنوانها *History in the Horn of Africa, 1000 BC – 1500 AD* [تاريخ القرن الأفريقي من ١٠٠٠ قبل الميلاد حتى ١٥٠٠ بعد الميلاد] التي تقدّم تصوراً شاملاً لتاريخ الشعب الذي استقرّ في شبه الجزيرة الصومالية خلال حقبتَي التاريخ القديم والعصور الوسطى، وحتى نهاية العصور الأوروبية الوسطى.<sup>(٢)</sup> ويُضاف إلى هاذين المصدرين مصادر تاريخية أقل دراسة، هي الأعمال الأركولوجية التي نظمها بشكلٍ رئيسيٍّ باحثون أوروبيون زائرون. وأول عمل أركولوجي حول الصومال كان من نشر عالم الآثار الإيطالي Paolo Graziosi عام ١٩٤٠ م،<sup>(٣)</sup> ثم تلاه الأركولوجي البريطاني

(١) Huntingford, *The Periplus of the Erythraean Sea*. (Ashgate Publishing, 1980).

(٢) Mohamed Nuuh Ali, "History in the Horn of Africa, 1000 BC.1500 - AD: Aspects of Social and Economic Change Between the Rift Valley and the Indian Ocean." A PhD thesis submitted to the University of California, LA, 1975.

(٣) Paolo Graziosi, —L'Eta della Pietra in Somalia: Risultati di una missione di ricer-

Desmond Clark، الذي أصدر عمله الكلاسيكي حول ثقافات ما قبل التاريخ للقرن الأفريقي عام ١٩٥٤م.<sup>(١)</sup> ويضمّ الباحثون الآخرون الذين ساهموا بالبحث الأركولوجي الباحث البريطاني Chittick H.N.، الذي قاد حملةً إلى بلدة هافون، الميناء التجاري القديم لشعب الأوبون، المذكور في الطواف حول البحر الإريتري. وأصدر Chittick عمله الأول حول الأركولوجيا الصومالية عام ١٩٦٩م.<sup>(٢)</sup> ويُضاف إليه الأركولوجي Brandt S.A. الذي أصدر أيضاً عدداً من الأوراق الأركيولوجية حول الحضارة القديمة لشبه الجزيرة الصومالية.<sup>(٣)</sup>

ويجب الإشارة أيضاً إلى أن الناتج الأركولوجي قد توقّف تماماً، للأسف، بعد انهيار الدولة الصومالية، وتمّ تدمير الأرشيفات الوطنية والمتاحف و«الأكاديمية الوطنية للثقافة». وكلفت مأساة الصراع والحرب الأهلية الصومال قطعاً الأثرية الثمينة وتراثها الوطني، ولا يزال هناك حاجةٌ إلى اليوم لمن يعيدها ويصلحها. وبدأت وزارة آثار دولة «أرض الصومال» (Somaliland) بعض الأعمال الأركيولوجية التي اشتملت على تحديد أماكن

---

che paletnologiche nella Somalia italiana in 1935 (Università degli studi di Firenze. Firenze: Sansoni, 1940).

(١) نشر Desmond Clark عمله الكلاسيكي عن ثقافات ما قبل التاريخ في القرن الأفريقي. انظر أيضاً: Sune Jonsson, —An Archeological site file in Somalia. Proceedings of the Second International Congress of Somali Studies, University of Hamburg, August 1-6, 1983.

متاح على الرابط:

[http://dspace - roma3. caspur.it/bitstream/2307/2879/1/02\\_JONSSON%20S.\\_An%20Archeologic al%20Site%20File%20of%20Somalia.pdf](http://dspace - roma3. caspur.it/bitstream/2307/2879/1/02_JONSSON%20S._An%20Archeologic al%20Site%20File%20of%20Somalia.pdf)

(تمّ الوصول بتاريخ ١٦ ديسمبر ٢٠١٦).

(٢) Chittick H. N., —An archaeological reconnaissance of the southern Somali coast, Azania, 4.

(٣) Brandt S.A., —The Importance of Somalia for understanding African and World pre-history, Proceedings of the First International Congress of Somali Studies in 1992.

المواقع الأثرية. وهناك ورقة كتبها الأركيولوجية الصومالية سعدية مري the Mapping Urbanism Time Script Art Religion :Somaliand of Archaeology Empire and Trade [رسم خارطة لأركيولوجيا أرض الصومال: الدين، والفن، والنص، والزمن، والتمدن، والتجارة، والإمبراطوريات] التي تتضمن أكثر من ١٠٠ موقع جديد وغير منشور مسبقاً. وتخلّص الأركولوجية مري في بحثها إلى أن «منطقة شبه الجزيرة الصومالية قامت فيها إمبراطوريات كوشية كان منها إمبراطوريات واسعة استقرت قبل العهود المسيحية والإسلامية وشكّلت في وقتها جزءاً من الثقافات الحميرية والسبائية في جنوبي شبه الجزيرة العربية، والإمبراطورية الأكسومية، والإمبراطوريات الإسلامية المبكرة في القرن الأفريقي.»<sup>(١)</sup>

وإزداد الإنتاج الأدبي الذي تناول التاريخ الصومالي خلال العصور الإسلامية الوسطى داخل الوسط الأكاديمي مع تزايد الأعمال الأكاديمية المنشورة بصفة عامة، وكان من بينها أربعة كتب تمايزت عن غيرها من الأعمال، كان أولها كتاب تاريخ شامل ألفه علي عبد الرحمن حرسى.<sup>(٢)</sup> ويمكن اعتبار هذا العمل قطعة تأسيسية في البحث بتعامله مع القضايا الأقل تناولاً في التاريخ الصومالي. فينقّب الكتاب في تاريخ شبه الجزيرة الصومالية في الحقبة القديمة وصلاتها التجارية مع بقية العالم القديم. ركّز الكتاب على هجرة العرب في فترة العصور الوسطى إلى شبه الجزيرة الصومالية، إضافة إلى تجارتهم واعتناق الصوماليين بأعداد كبيرة الإسلام. كما يبحث الكتاب أيضاً ظهور السلطنات الإسلامية في شمال الصومال، وقيام سلطنة أجوران جنوب الصومال، وتفاعلها مع السلطات البرتغالية والتركية، كما أنه يدرس

---

(١) Sada Mire, —Mapping the Archaeology of Somaliland: Religion, Art, Script, Time, Urbanism, Trade, and Empire (2015) 32:111–136, 111.

(٢) Ali Abdirahman Hersi, The Arab Factor in Somali History: The Origins and Development of Arab Enterprises and Cultural Influence in the Somali Peninsula (Los Angeles: University of California, 1977).

أيضاً الغزو الاستعماري في القرنين التاسع عشر والعشرين، والصلات الثقافية التالية المعززة بين الصومال والعالم العربي.

أما العمل الثاني فهو من تأليف Reese. S Scott، ويتتبع تاريخ المجتمع «البنادري» وهجرتهم إلى الصومال في العصور الوسطى الإسلامية واستقرارهم في مدن مقديشو ومركة وبراي.<sup>(١)</sup> ويمكن وصف العمل بأنه تأريخٌ ممتازٌ ارتكز بصورة كبيرة على الجمع الشفوي للبيانات التاريخية، ويُعدّ الكتاب أحد الأعمال التي ساهمت في دراسة تاريخ الأقليات الموجودة في الصومال. أما العمل الثالث، فهو من تأليف Virginia Luling، ويقدم أوصافاً توصيفية لمدينة - دولة جلدي والقبائل المتجاورة التي حلّت وارتحلت في أفجوي منذ أواخر القرن السابع عشر.<sup>(٢)</sup> وتعيد Luling، فضلاً عن كون كتابها توطئة جيدة، بناء النسيج الاجتماعي على المستوى الإقليمي الأكبر وتبحث بالطرق التي أعادت بها العلاقات التقليدية والسمات الثقافية تشكيل نفسها بسياقاتٍ جيدة وحديثة. وتمتعت كتابة Luling بأنها واضحة ومفهومة فكانت بذلك تقديماً ممتازاً وحديثاً لإثنوجرافيا الصومال. والعمل الرابع من تأليف Cassanelli Lee، الذي يفسّر ويعيد بناء جوانب محدّدة من التاريخ الصومالي في فترة ما قبل الاستعمار ويقدم توطئة ممتازة للفترة الإسلامية في العصور الوسطى.<sup>(٣)</sup> ويبحث الكتاب في تاريخ جنوب الصومال من القرن السادس عشر حتى القرن التاسع عشر، كما يدرس التاريخ الإثني والشفوي البدوي، وقد درس الكاتب تاريخ الصومال

---

(١) Scott S. Reese, —Patricians of the Banadir: Islamic Learning, Commercial and Somali Urban Identity in the 19th Century.‖ A PhD Thesis submitted to the University of Pennsylvania, 1996.

(٢) Virginia Luling, The Somali Sultanate: Geledi city - state over 150 years (Transaction Publishers, 1990).

(٣) Lee Cassanelli, The Shaping of Somali Society: Reconstructing the history of the Pastoral People, 1600-1900 (Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1982)

الرعوي من منظورٍ مناطقي، ويُعدّ الكاتب أحد أبرز الباحثين الغربيين المهتمين بالصومال، وتُعتبر أبحاثه أساساً جيداً لدراسة التاريخ ما قبل الاستعماري للصومال.

ومن بين الأدبيات المكتملة في هذا الموضوع ورقة محمد مختار التي تقدّم خلفيةً تاريخيةً تؤسّس لوفود الإسلام للصومال، والتي تبحث كذلك بادعاءات بعض القبائل الصومالية بأنها تنحدر من أصول عربية، حيث تؤسّس الورقة لسردية تتعارض مع ذلك.<sup>(١)</sup> وهناك أيضاً كتاب فتوح الحبشة، الذي ألفه شهاب الدين أحمد، ويقدم فيه وصفاً مفصلاً للحملة العسكرية التي قادها الإمام أحمد إبراهيم الأشول أو الأعسر وصدّاه مع الإمبراطورية الحبشية.<sup>(٢)</sup> ويوثّق هذا الكتاب القبائل الصومالية التي شاركت في الحملة ودورها المحوري في الجهاد. وتقدّم أطروحةٌ حديثةٌ نظمها Dror - Ben Avishani تاريخاً لمدينة هرر ضمن سياق حروب القرون الوسطى بين الإمبراطورية الحبشية والسلطنات المسلمة.<sup>(٣)</sup> وهي تركز تحديداً على الحكم المصري لمدينة هرر الإسلامية في الفترة ما بين ١٨٧٥ م و ١٨٨٤ م وما أسفر عنه ذلك من تداعياتٍ لاحقة.

\*\*\*

---

(١) Mohamed Mukhtar, —Islam in Somali History.: Fact and fictions" in the edited book by Ali Jumale titled The Invention of Somalia. (Lawrenceville: The Red Sea Press, 1995)

(٢) Shiba ad - Din Ahmed, Futuh Al - Habasha: The Conquest of Abyssinia (Tsehai Publishers, 2003)

(٣) Avishai Ben - Dror, —The Egyptian Hikimdāriya of Harar and its Hinterland" – Historical Aspects, 1875-1886.‖ A PhD Thesis submitted to the School of *History*, Tel Aviv University, 2008.

متاح على الرابط:

<http://humanities1.tau.ac.il/historyschool/files/Ben-Dror.EN.pdf>

(تمّ الوصول بتاريخ ٣ ديسمبر ٢٠١٦).



## التاريخ القديم لشبه الجزيرة الصومالية

تقع الأرض التي يقطنها الشعب الصومالي في القرن الأفريقي، وهي بقعة بارزة على امتداد المحيط الهندي تشكّل شبه الجزيرة الصومالية. ويُعتدّ بأن منطقة القرن الأفريقي هي مهد الإنسانية، كما وثّقت الاكتشافات الأثرية التي توصل إليها بعض العلماء عام ١٩٦٧م في نهر أومو الأثيوبي.<sup>(١)</sup> وتحديدًا على ضفة النهر، وهناك وُجِدَت أقدم أحفورة لجماجم الإنسان الحديث والتي ترجع تقريباً إلى ١٩٥ ألف عام مضت.<sup>(٢)</sup> وكان Richard Leaky هو من قاد الفريق الأول من علماء الآثار الذي اكتشف أحافير إنسانية حديثة تشكّل من جمجمتين وجزءاً من الجمجمة في حوض أومو، في أثيوبيا، والتي يُقدّر أنها ترجع إلى ما يقارب ١٣٠ ألف عام مضت،<sup>(٣)</sup> إلا أن فريقاً آخر من العلماء من الجامعة الأسترالية الوطنية زاروا المكان مجدداً عام ٢٠٠٥م واكتشفوا مزيداً من شظايا تلك الجمجمة المتحجرة المتوافقة مع الجمجم الأصلية المكتشفة سابقاً. وتعود الاكتشافات الجديدة إلى ما يقارب ١٩٥ ألف عام، بالاعتماد على التأريخ بالكربون المشع، بما يجعلها أقدم بقايا إنسان حديث مكتشفة حتى الآن. وهذه البقايا الإنسانية تم حفظها في متحف أديس أبابا لتكون شاهدة على أن منطقة القرن الأفريقي هي مهد البشرية.<sup>(٤)</sup>

(١) Philip Briggs, Somaliland with Addis Ababa with East Ethiopia (Bradt Travel Guides, 2012), 4

(٢) Hillary Mayell, —Oldest Human Fossils Identified. National Geographic news, February 16, 2005.

متاح على الرابط:

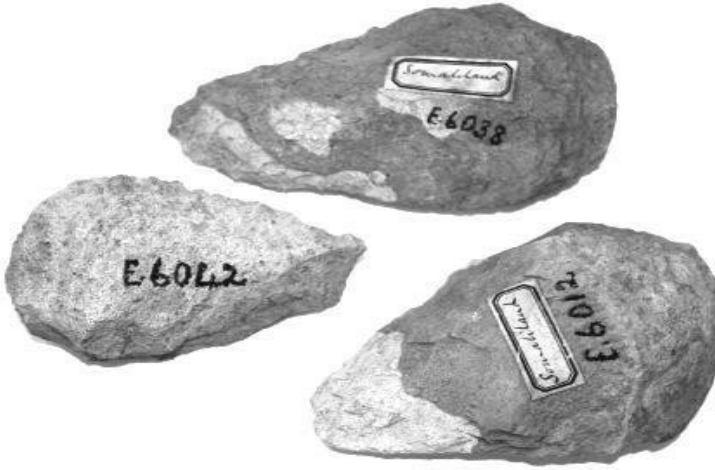
[http://news.nationalgeographic.com/news\\_050216\\_02/0216/2005/omo.html](http://news.nationalgeographic.com/news_050216_02/0216/2005/omo.html)

(تم الوصول بتاريخ ٢٢ ديسمبر ٢٠١٦).

(٣) Alice Roberts, The Incredible Human Journey (Bloomsbury Paperbacks, 2010).

(٤) المصدر السابق.

واكتشف أيضاً في شمال شرقي القرن الأفريقي، المنطقة المعروفة اليوم باسم شبه الجزيرة الصومالية والتي يقطنها الصوماليون، أقدم مؤشرٍ على المساكن البشرية في العصر الحجري، وتمثّل ذلك باكتشاف «شفراتٍ حجريةٍ أشولية وأدوات صوانية اكتشفت قرب هرجيسا وفي الكهوف على طول جبال جوليس»، وترجع إلى ما يقارب ١٢ - ٤٠ ألف عام.<sup>(١)</sup> إضافةً إلى ذلك، اكتشف المغامر والصياد Karr - Seton Heyward (١٨٥٩ - ١٩٣٨ م)، الذي يعمل مع المجتمع الجغرافي الملكي البريطاني، فؤوساً يدويةً حجريةً على منحدرات تلةٍ بين ميناء بربره وهرجيسا عام ١٨٩٦ م، وترجع إلى ٤٠ ألف عام. ووُضعت الفؤوس اليدوية الصومالية ما قبل التاريخية في المتاحف البريطانية والأسترالية.<sup>(٢)</sup>



صورة رقم (١): فؤوس يدوية حجرية من الصومال

(١) Philip Briggs, Somaliland with Addis, 4.

(٢) للاطلاع على تقرير مختصر وصورٍ من المتحف الأسترالي، قم بزيارة الرابط التالي:

[http://australianmuseum.net.au/hand\\_axes\\_from\\_somalia\\_and\\_our\\_african\\_origin](http://australianmuseum.net.au/hand_axes_from_somalia_and_our_african_origin)

(تم الوصول في ديسمبر ٢٠١٦).

وتّم اكتشاف مزيدٍ من الأدلة حول سكن إنسان ما قبل التاريخ في الأرض الصومالية في مجمع لاس غيل، الواقع على بعد ٥٠ كم شمال هرجيسا، كما يوضح أحمد علي علمي: «رسوم كهف لاس غجيل تظهر صوراً لأبقار، وسكّاناً محليين يرتدون ما يبدو أنها أثوابٌ مراسمية، وبضعة كلاب كذلك فيما يبدو أيضاً أنه أثوابٌ مراسمية. في الصور، البشر يضعون أيديهم في الهواء بما اعتبر أنه حركة عبادة. وجدّان الكهف مغطّاة بكتابات هيروغليفيّة قديمة. وعرف الصوماليون وجود هذه الكهوف لقرون واعتبروها مواقع تاريخية وذلك بسبب الاسم الصومالي للكهوف. إلا أن العالم الغربي اكتشف هذه الكهوف فقط عام ٢٠٠٣م عندما كان فريقٌ من علماء الآثار الفرنسيين يبحث بالكهوف في تلك المنطقة»<sup>(١)</sup>. ويوجد في هذا الموقع الأثري أيضاً فنٌّ حجريٌّ هو عبارةٌ عن حيواناتٍ بريّة يُقدّر أنه يرجع إلى خمسة آلاف عام.<sup>(٢)</sup> والرسومات في لاس غجيل تظهر نشوء رعي المواشي في وقتٍ مبكّر في القرن الأفريقي. ويعتقد أن الجمل تم تدجينه في القرن الأفريقي بين الألفية الثالثة والثانية قبل الميلاد، ومن هناك انتقل إلى مصر وشمال أفريقيا.<sup>(٣)</sup> ويُضاف إلى ذلك موقع كارين - هيجان، الواقع بين قرى لاس قري عيلابو، الذي يضم

---

(١) Ahmed Ali Ilmi, —The History of Social Movements in Somalia through the Eyes of Our Elders within a Diasporic Context. A PhD thesis submitted to Graduate Department of Humanities, Social Sciences and Social Justice Education Ontario Institute for Studies in Education, 2014, 24. References to Gutherz, X., Cros, J. - P., & Lesur, J. (2003). The discovery of new rock paintings in the Horn of Africa: The rock shelters of Las Geel, Republic of Somaliland. Journal of African Archaeology, 1(2), 227-236.

(٢) Otto Bakano, "Grotto galleries show early Somali life", April 24, 2011, AFP. Retrieved 22 December, 2016.

(٣) Michael Hodd, East African Handbook: Trade & Travel Publications (Passport Books, 1994)

رسوماً كهفيةً عديدةً لحيوانات حقيقية وأسطورية يُقدَّر أنها ترجع إلى ٢٥٠٠ عاماً مضت.<sup>(١)</sup> وتضمّ المواقع الأثرية ما قبل التاريخية الأخرى المكتشفة جنوب الصومال مقابل بور هكبي/ بور أيلي وغوغجشيس قبي (المكان المفروش)، ويُقدَّر أنه استخدم حتى ما قبل ٤٠٠٠ قبل الميلاد.<sup>(٢)</sup> والقبور الأربعة عشر الموجودة هناك ترجع إلى الفترة ما قبل الإسلامية وتشكّل أقدم مدافن في القرن الأفريقي، والتي تضمّ أقدم دلائل أثرية على قبور بشرية مؤكّدة من صحتها.<sup>(٣)</sup> ولم تحظّ الدراسات الأثرية واكتشافات الحضارات القديمة في الأراضي الصومالية باهتمامٍ جادٍّ حتى الآن، ولا تزال الفرصة سانحةً لاكتشاف أدلةٍ تاريخيةٍ جديدة، ومع ذلك؛ فالنتائج الأثرية سالفة الذكر تتحدّى الفرضيات السابقة حول أصول الشعب الصومالي المنحدر من جنوب الهضاب الأثيوبية، وتحديدًا المنحدرين من منطقة أومو - تانا الذين هاجروا لاحقاً إلى شمالي كينيا عام ١٠٠٠ ق.م.<sup>(٤)</sup> وبحسب هذه الفرضية المبنية على اللغويات التاريخية والدراسات الإثنوجرافية؛ فإن الصوماليين هاجروا شمالاً في القرن الأول الميلادي ليسكنوا القرن الأفريقي.<sup>(٥)</sup> وتُشير النتائج الجديدة إلى أن «الصومال أمةٌ لها تاريخ يرجع إلى أكثر من عشرة آلاف تمتد إلى بداية الحضارات الإنسانية.»<sup>(٦)</sup> وتبيّن هذه النتائج أيضاً «بأن الموطن القديم للصوماليين كان الجزء الشمالي من شبه الجزيرة، التي كانت المسكن

---

(١) Ismail Mohamed Ali, Somalia Today: General Information (Ministry of Information and National Guidance, Somali Democratic Republic, 1970), 295

(٢) Brandt S.A., "Early Holocene Mortuary Practices and Hunter-Gatherer Adaptations in Southern Somalia." World Archaeology. 20 (1 (1988), 40-56

(٣) Abstracts in Anthropology, Volume 19 (Greenwood Press, 1989), 183

(٤) David Shiin and Thomass Ofcansky, Historical dictionary of Ethiopia (The Scarecrow Press, 2004), 362

(٥) Herbert Lewis, —The Origins of Galla and Somali.‖ The Journal of African History, vol.7. No.1 (1966), 27-46.

(٦) Raphael C. Njoku, The History of Somalia (Santa Barbara, CA: Greenwood), 2013, 13

الدائم للصوماليين.»<sup>(١)</sup> وتلقي هذه النتائج أيضاً بالشك على الأصول المؤسسة شفوياً بأن الصوماليين جاؤوا من شبه الجزيرة العربية وطرّدوا شعبي الأورومو والبان্তু باتجاه الجنوب والغرب، والتي تم تنفيذها بالطريقة اللسانية التاريخية.

وفرضية الهجرة هذه تُظهر بأن الصوماليين لم يكونوا السكان الأصليين للأرض، بل احتلوها، كما وصفها I.M. Lewis بـ«الاحتلال الصومالي للقرن الأفريقي.»<sup>(٢)</sup> وجاء تأصيل ذلك بأن الموطن الأصلي للصوماليين هو القرن الأفريقي من خلال الدراسات اللسانية، والاكتشافات الأثرية، التي تخلص إلى أن الشعب المتحدث باللغة الكوشية مثل الأورومو، والصوماليين، وسيدامو، والعفر، كانوا الشعوب الأصلية في شمال شرق أفريقيا في السنوات السبعة آلاف الماضية.<sup>(٣)</sup>

شكّلت شبه الجزيرة الصومالية نقطة جذبٍ والتقاءٍ على الصعيدين الاستراتيجي والتجاري سواءً في الماضي أو الحاضر. فقد برزت أهميتها الاستراتيجية والتجارية منذ الأزمان القديمة، عندما تاجر التجار من شبه الجزيرة الصومالية بالعديد من البضائع، مثل اللبان والمرّ والقرفة وخشب الأبنوس والعاج والذهب وجلود الحيوانات مع المصريين القدماء والفينيقيين والموكيانيين والبابليين. هذه البضائع، التي كانت «أقدم وأثمن عناصر

---

(١) Said M - Shidad, —The Ancient Kingdom of Punt and its Factor in Egyptian History, 2014.

متاح على الرابط:

[http://www.wardheernews.com/wpcontent/uploads/2014/04/The - Ancient - Kingdom - of - Punt\\_Shidad.pdf](http://www.wardheernews.com/wpcontent/uploads/2014/04/The - Ancient - Kingdom - of - Punt_Shidad.pdf)

(تم الوصول بتاريخ ٢ ديسمبر ٢٠١٦).

(٢) I. M. Lewis, —The Somali Conquest of the Horn of Africa.‖ Journal of African History 5, no.1 (1964): 213-229.

(٣) Kevin Shillington (ed.), Encyclopedia of African History (Fitzory Dearborn Tylor and Farancis Group, 2005), 331

التجارة»، ما زالت تنتج وتُصدّر من المناطق في شمال شرق الصومال<sup>(١)</sup> مثل اللبان والمر على سبيل المثال.<sup>(٢)</sup> والاسم الصومالي القديم لهذه المنطقة كان «بن» [Bunn]، وهو اسم يرجع في النصوص القديمة بارتباطه بالتجارة مع الفراعنة باسم «بوينت» [Pwenet] أو «بويني» [Pwene]، أو تانيتجر [Ta netjer]، أي «أرض الآلهة»، أو «أوبون» [Opone] كما يُسمّيها اليونانيون. والاسم كان تبجيلاً لإله الشمس المصري «را»، وكلٌّ من المرّ واللبان كانا يستخدمان لمقاصد دينية وللتجميل أيضاً. وكان لشبه الجزيرة الصومالية علاقةً خاصّةً مع مصر الفرعونية القديمة، وكان يوجد بعثات مصرية متنوّعة تُرسل إلى شبه الجزيرة الصومالية بانتظام وتم تسجيلها منذ ٢٤٨٠ قبل الميلاد.

وبالطبع كانت منطقة بونت [Punt] مرتبطة مع الأسلاف المصريين لدرجة أنها أصبحت تعتبر موطن القدماء والأرض التي جاء منها آلهتهم. ويبدو أن المصريين بدؤوا بالمبادلة التجارية المباشرة مع المصدر الرئيسي للتجارة في الصومال، والتي بدأوها خلال حكم متوحب الثالث (حوالي ١٩٥٠ ق.م.)، عندما نظم المسؤول «حانو» عدة رحلات إلى «أرض بونت» (Puntland). ويبدون أن التجارة بين مصر وبنت لم تكن من جانب واحد. ويروي Wilson John كيف وصل المصريون إلى بنت حاملين «الجواهر والأدوات والأسلحة» وعادوا بـ «أشجار اللبان والعاج والمرّ والأخشاب النادرة».<sup>(٣)</sup> إلا أن العلاقات تعزّزت، مع مرور الوقت، بين مصر القديمة وشعب الصومال متجاوزةً أعراف علاقة تجارية بحثة. فعلى سبيل المثال، هناك دليلٌ على صلاتٍ ثقافية وحركة للناس، كما تمّ تسجيلها

---

(١) Hersi, The Arab Factor, 44، والاقتباس من: the Periplus of the Erythraean Sea,

(٢) \* اللبان (باللاتينية Olibanum Indicum) هو شجرٌ ينمو في المناطق القاحلة في القرن الأفريقي وشبه الجزيرة العربية، وماهيته هي مادةٌ صمغية تخرج من نباتاتٍ مختلفة من نوع البوسويلية وهو بضاعةٌ غاليةٌ جداً تستخدم للتعطير والطبابة، وأيضاً كبخور. أما المر فهو «العلكة المأخوذة من لحاء شجرة صغيرة» وهو أقل كلفةً من اللبان ويُستخدم لتعطير الملابس، وكبخور، وللتحنيط. [المصدر: المصدر السابق، صفحة ٤٤]

(٣) John A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt (The University of Chicago Press, 1956), 176.

في بعض النصوص المصرية القديمة التي تروي انتقال المهاجرين من أرض بونت. وهذه المعلومات مدعومة بأدلة مرتبطة بأن ابن «خوفو»، فرعون الهرم الكبير، وظّف أحد هؤلاء المهاجرين في ديوانه.<sup>(١)</sup> وبحسب Mark Joshua، فبونت «لم تكن شريكاً تجارياً بارزاً وحسب، بل كانت مصدراً للتأثير الثقافي والديني وأرضاً اعتبرها المصريون أصلاً لهم وأرضاً مباركة من الآلهة».<sup>(٢)</sup> وهناك أدلة على أن أحد أشهر الآلهة المصريين بالولادة، «بس» (المعروف كذلك باسم الإله القزم) جاء كذلك من بونت ومثله كان آخرون.<sup>(٣)</sup> كما أن «نقوش حتشبسوت تدعي أن أمها المقدسة، حاتور، كانت من أرض بونت. وتشير نقوش أخرى إلى أن المصريين في السلالة الثامنة عشرة اعتبروا بونت أصل ثقافتهم».<sup>(٤)</sup> وقادت بعض اللغويات التاريخية إلى اكتشاف وجود أصل مشترك بين اللغة الصومالية وبعض الكلمات المشتقة مع اللغة المصرية القديمة، بل ولها نفس المعنى تماماً.<sup>(٥)</sup>

(١) عبد الرحمن النجار، الإسلام في الصومال (القاهرة: مطبعة الأهرام التجارية، ١٩٧٣)، ٥٣.

(٢) Joshua J. Mark, Punt in Ancient History Encyclopedia.

متاح على الرابط:

<http://www.ancient.eu/punt/>

(تم الوصول بتاريخ ١٠ أبريل ٢٠١٧).

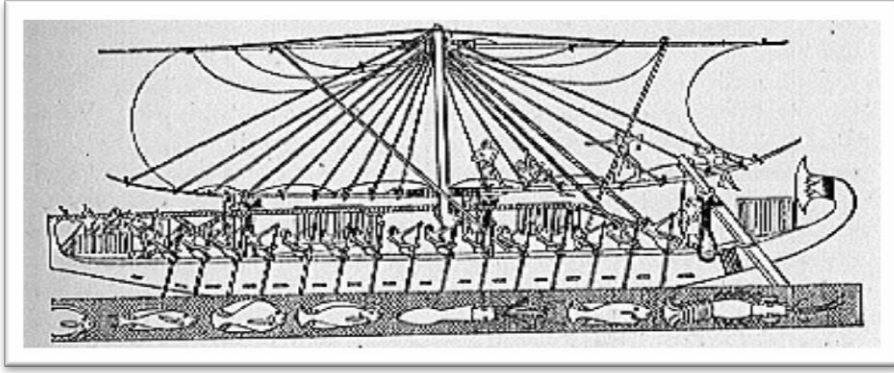
(٣) المصدر السابق

(٤) حكمت السلالة الثامنة عشر أرض مصر لما يقارب ٢٥٠ عاماً (١٥٧٠ - ١٥٤٤ ق.م.) وتضمّ هذه السلالة بعضاً من أشهر الفراعنة مثل أحموز الأول، وأمينحتوب الأول والثاني والثالث، وحتشبسوت.

(٥) أمثلة على بعض هذه الكلمات: Hees (Song/ أغنية)، و Aar (Lion/ أسد)، و Shub (pour out/ يصب)، و Usha (scepter/ صولجان)، و neder (divine being/ كائن إلهي)، و Hibo (gift/ هدية)، و Tuf (spite/ حقد)، و Webi (river/ نهر)، و Kab (shote/ حذاء)، و Dab (fire/ نار)، و Hoo (to offer/ أن تقدّم عرضاً)، و Awoow (grandfather/ جد)، و Ayeeda (grand-/ جدة).

هذه المقارنات اللغوية بين هذه الكلمات الصومالية وترجمتها إلى الإنجليزية من:

Diriye Abdillahi, —Learn Somali: Somali English Dictionary, 1985.



صورة رقم (٢): أول سفينة مصرية متجهة إلى بونت.

إلا أن أكثر قطعة أصيلة للأدب التاريخي المرتبط بالتاريخ القديم لشبه الجزيرة الصومالية كانت في المفكرة الهيروغليفية وفنون بعثة الأسطول الذي تكون من خمسة سفن أرسلته الملكة حتشبسوت، من السلالة الثامنة عشرة عام ١٤٧٨ ق.م، إلى أرض بونت. وتاريخ هذه البعثة تم حفظه في بقايا تمثال الملكة حتشبسوت في دير البحري، قرب الأقصر، في وادي الملوك في مصر، أثناء حكم الملك بونتي باراهو والملكة آتي.<sup>(١)</sup> وتُظهر النقوش الهيروغليفية الموجودة في معبد حتشبسوت النقش المكتوب التالي: «مبحرة في البحر، وراسمة بداية جيدة لأرض الإله. لتهبط بسلام على أرض بونت...» وأشجار البخور الـ ٣١ التي أحضرت من بونت من قبل البعثة وُثِّلت بنجاح في مصر كانت أول مرة في التاريخ الموثق يتم بها شتل ناجح لنباتات وأشجار في بلادٍ أخرى. وجذور أشجار البخور التي أحضرت من بونت من قبل بعثة حتشبسوت عام ١٤٩٣ قبل الميلاد يمكن رؤيتها خارج معبدها في الدير البحري.<sup>(٢)</sup>

وصف الرجل الاعتيادي في أرض بونت هو «رجلٌ طويلٌ ذو بنية، شعره ناصع، أنفه مدبب، لحيته طويلة ومدببة، وتنمو فقط على ذقنه، ولا يرتدي أكثر من وزرة مع حزام ذي

(١) تاريخ هذه الرحلة قد وُثِّق توثيقاً جيداً، ومُسجَّل على جدران معبد الملكة حتشبسوت في الدير البحري.

(٢) Joshua J. Mark, Punt in Ancient History Encyclopedia.



خنجر ثابت.<sup>(١)</sup> شعب أرض بونت كانوا معروفين بأنهم مقاتلون مُهابون في المعارك. أرض بونت القديمة شملت المنطقة الكاملة التي تضمّ أريتريا وأثيوبيا والصومال، إلا أنه لا يمكن بصورةٍ شبه كاملة تنفيذ الحقيقة القائلة بأن موقع بعثة حتشبسوت كان أطراف شبه الجزيرة الصومالية.<sup>(٢)</sup> واسم «بونت» كان معروفاً جيداً وحتى مذكوراً في الإنجيل باسم: «فوط» (سفر التكوين ١٠: ٦، قارن مع: سفر الأخبار الأول ٨: ١)، بينما أسماها الرومان القدامى: «الرأس العطرية» [Cape Aromatica]، بسبب الأشجار التي كانت تنتج مواد العلكة العطرية. و«فوط» هو الابن الثالث لـ«حام» (أحد أبناء النبي نوح)، وفي الإنجيل يستخدم الاسم للشعب الذي يُقال إنهم أحفاد حام.<sup>(٣)</sup> إضافة لذلك، في القرن الخامس الميلادي، المؤرخ اليوناني Herodotus المعروف بأنه أبو التاريخ في التراث الغربي، يشير إلى عرق يُسمّى «الماكروبيان» [Macrobian] وكانوا يجولون جنوب مصر. هؤلاء الناس مشهورون بطول العمر (بمعدل ١٢٠ عاماً) بسبب نظامهم الغذائي الذي يتكون فقط من اللحم والحليب. كما كانوا، بحسب Herdotus، «أطول وأوسم الرجال.»<sup>(٤)</sup> كل الأوصاف لهذا الشعب تتفق مع أشكال الصوماليين الرعويين، الطوال، المحاربين الوسيمين، الذين يأكلون نظاماً غذائياً يتألف بشكلٍ رئيسيٍّ من اللحم والحليب. وأكد الباحث الهندي Agrwal Mamta تلك الرؤية، وكتب أن «هؤلاء الناس لم يكونوا إلا سكان الصومال، مقابل البحر الأحمر.»<sup>(٥)</sup> الرحالة

(١) هذا الوصف منقوش على لوح الملك بونتي باراهو وزوجته أتي في معبد الملكة حتشبسوت في الدير البحري. انظر:

<https://atlantisjavasea.com/2015/11/14/land-of-punt-is-sumatera/>

(تم الوصول بتاريخ ١٩ ديسمبر ٢٠١٦).

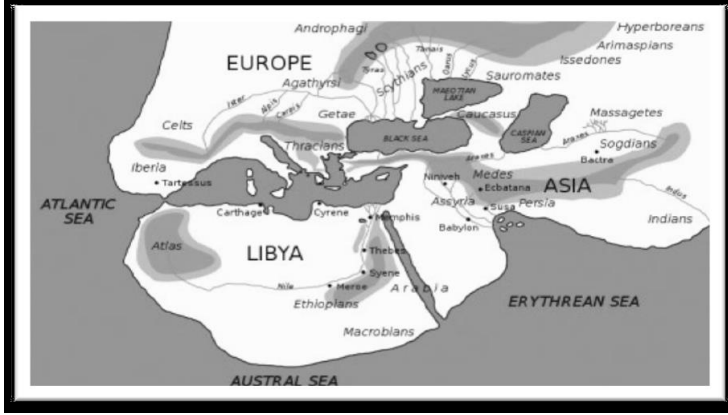
(٢) John A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt (The University of Chicago Press, 1956), 176.

(٣) Sadler, Jr., Rodney "Put". In Katharine Sakenfeld. The New Interpreter's Dictionary of the Bible (Nashville: Abingdon Press, 2009), 691–92

(٤) Herodotus, the Histories, 3.20

(٥) Mamta Agarwal, —Biography of Herodotus: The Father of History.‖

اليونانيون القدامى مثل Strabo، وPlinty، وPtolomy، وCosmos Indicopleustas، زاروا شبه الجزيرة الصومالية بين القرن الأول والخامس الميلادي. هؤلاء الرحالة سمّوا الشعب الصومالي: «بريريا» [Barbaria]،<sup>(١)</sup> وأرضهم باسم «بربر»، وعلى الأغلب أن هذا الاسم مشتق من بلدة «بربره»، الواقعة في شمال الأراضي الصومالية.



خريطة رقم (٣): خريطة العالم كما تصوّرها هيرودوت

وأخيراً، كان هناك بعض المدن - الدول التي ازدهرت على طول سواحل القرن الهندي من شبه الجزيرة الصومالية في الأزمنة القديمة، مثل أوبون، وإسينا، وسارايون، ونكون،

متاح على الرابط:

<http://www.historydiscussion.net/biography/biography-of-herodotus-the-father-of-history/1389>

(تم الوصول بتاريخ ١٥ ديسمبر ٢٠١٦).

(١) Abukar Ali, —The Land of the Gods: A Brief Study of Somali Etymology and its Historio - linguistic Potential.

متاح على الرابط:

<http://sayidka.blogspot.co.ke/>

(تم الوصول بتاريخ ١٩ ديسمبر ٢٠١٦).

ومالاي، ودامو، وموسيلون.<sup>(١)</sup> أسماء هذه المدن ومواقعها وردت في كتاب الطواف حول البحر الإريتري، وهو سجل رحلاتٍ لباحثٍ يوناني يرجع إلى القرن الأول الميلادي.<sup>(٢)</sup> هذا السجل هو الوصف المباشر للمنطقة، والذي كتبه Maris Erythraei، الذي كان على معرفة بالطرق البحرية للبحر الأحمر والمحيط الهندي. وبحسب هذا الكتاب، فإن التجارة كانت تزدهر في المنطقة على طول الخط الساحلي للمحيط الهندي. ومدن المحيط الهندي القديمة، كما ورد في الكتاب، تتوافق مع المدن الصومالية الحديثة على طول المحيط الهندي.<sup>(٣)</sup> على سبيل المثال، سارايون ونيكون وأبون تتطابق مع مقديشو وبراوي وهافون على التوالي.<sup>(٤)</sup> كما أن التجارة الصومالية الهندية سرّعت، بدورها، عجلة ضمّ الإمبراطورية الرومانية إلى المملكة النبطية عام ١٠٦ م.<sup>(٥)</sup> واحتل الأنباط شمال الحجاز والنقب وصولاً إلى البحر الأبيض المتوسط، وامتدوا على طول البحر الأحمر.

تاجر الهنود أيضاً بالقرفة مع التجار الصوماليين الذين أعادوا توريده إلى الإمبراطورية الرومانية واليونانية. القسم التالي يبدأ بالقرن السابع الميلادي، الذي يمثّل بداية الفترة الإسلامية في العصور الوسطى. وتمثل القرون الستة بين الأول والسابع فجوة تاريخية في ظلّ شحّ الوثائق التاريخية والمواد المكتوبة التي تتناولها؛ ولذلك فلا أحد يعلم ما الذي جرى للمدن المزدهرة والحضارات في شبه الجزيرة الصومالية خلال تلك الفترة.

---

(١) George Wynn Brereton, Huntingford, The Periplus of the Erythraean Sea (Ashgate Publishing, 1980)

(٢) Mohamed Jama'a, An Introduction to Somali History from 5000 years B.C Down to the Present Times (s.n; 2d ed., rev. and enl edition, 1962)

(٣) يتبيّن من موقع أبون بأن بلدة هافون، في إسينا، كانت في مكانٍ ما بين براوي ومركة، وسارايون كانت بين مقديشو ووأرشيخ، ونيكون كانت بالقرب من كيسمايو، ومالو تتطابق مع بربره، ودامو بالقرب من راس عسير، وموسيلون بالقرب من بوصاصو.

(٤) Wilfred H. Schoff, The Periplus of the Erythraean Sea (London, 1912), 6061 -

(٥) Eric Herbert Warmington, The Commerce Between the Roman Empire and India (The University Press, 1928), 54

## الفترة الإسلامية من العصور الوسطى

تبدأ الفترة الإسلامية من العصور الوسطى في التاريخ الصومالي بالقرن السابع الميلادي، عندما وصل الإسلام إلى الصومال. وترى بعض مصادر السيرة أن الإسلام وصل إلى ساحل الصومال الشرقي بعد فترة قصيرة من وصول المسلمين إلى الحبشة وقبل وصول الإسلام إلى المدينة المنورة عام ٦٢٤ م.<sup>(١)</sup> وكانت هجرة المسلمين إلى الحبشة نتيجةً لاضطهاد الأقلية المسلمة في مكة، إذ أمر النبي محمد ﷺ أصحابه المضطهدين بالهجرة إلى الحبشة، واصفاً الحبشة بأنها «أرض صدق»، التي كان بها «ملك لا يُظلم عنده أحد.»<sup>(٢)</sup> وكما كان مأمولاً، منح الملك الحبشي النجاشي، المستقر في مدينة أكسوم (أصحمة بن أبجر) المهاجرين المسلمين حمايته الكاملة ورفض تماماً مطلب بعثة قريش بإعادتهم إلى مكة.<sup>(٣)</sup> وتمتع الصحابة في عهده بحماية الإمبراطورية وعاشوا بسلام لما يقارب الـ ١٣ عاماً (٦١٥ - ٦٢٨ م). ويمكن تحول بعض الحبشيين إلى الإسلام خلال هذه الفترة في بيئة زانتها الحرية والصدقة.<sup>(٤)</sup> إلا

---

(١) Salahadin Eshetu, —King Nagash of Abyssinia.‖

متاح على الرابط:

<http://dcbun.tripod.com/id17.html>

(تم الوصول بتاريخ ٤ يوليو/ تموز ٢٠١٦).

(٢) ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء الثاني. ويبدو بأن أهل مكة كان يعرفون مملكة أكسوم، ويرون فيهم شركاء تجارين. وكان أهل مكة يتاجرون مع اليمن وأفريقيا، وذلك عبر ميناء شيبه (بالقرب من جدة) وميناء عدوليس الأكسومي (يقع على بعد ٣٠ ميلاً إلى جنوب موساوي). وتُقدّر المسافة بين الميناءين بـ ٦٦٠ كم.

(٣) بعثت قريش وفداً إلى الحبشة بقيادة عمرو بن العاص لمطالبة النجاشي بإعادة المسلمين إلى مكة.

Muhammad: His Life based on the Earliest Sources (Inner Traditions, 2006), 81–84

(٤) Ismael Mukhtar, —Milestones in the History of Islam in Eritrea.‖ A paper delivered at the Eritrean Muslim Council's 6th annual convention held in Washington D.C. in July 2008, 2.

متاحة على الرابط:

[http://www.muslimpopulation.com/africa/Eritrea/Eritria\\_Islam\\_PDF.pdf](http://www.muslimpopulation.com/africa/Eritrea/Eritria_Islam_PDF.pdf)

(تم الوصول بتاريخ ٢٠ ديسمبر ٢٠١٦).

أن هذه الفكرة تبقى مجرد تكهنات، إذ أنه لا يوجد دليل معتمد يؤكد حصول تحول كهذا. وبالنظر إلى التحول الصومالي المبكر؛ فإنه من الصعب قبول هذه الحقيقة على أنها دقيقة، لأن المسافة بين أكسوم (عرش النجاشي)، وبلدة زيلع، مركز أقرب أرض مدنية صومالية، تقدّر بأكثر من ١٠٠٠ كم برّاً وأبعد من ذلك بحراً. والسيناريو الآخر المحتمل بما يتعلّق بالتحول الصومالي المبكر للإسلام مرتبط بالمسلمين اليمنيين الأوائل الذين وصلوا إلى الحبشة أثناء الهجرة الأولى. ويُعرف أن مجموعة من المسلمين الأوائل قاموا برحلة عبر البحر الأحمر للقاء النبي بعد الهجرة إلى المدينة، إلا أنه، وبسبب الموج القوي، اضطرت المجموعة على هبوط الساحل الغربي للبحر الأحمر. ومن هناك، قرّروا الانضمام للصحابة المسلمين في أكسوم.<sup>(١)</sup> وربما وصل المسلمون اليمنيون إلى زيلع بعد أن عادوا إلى اليمن. أما الصحابة ممن هاجروا إلى الحبشة، فقد قيل أن بعضهم عاد مبكراً إلى مكة وهاجر إلى المدينة عام ٦٢٢ م، فيما لحق بهم من بقيوا في الحبشة عام ٦٢٨ م.

والمؤرّخون الصوماليون متفقون على غياب الأدلة على التحول الصومالي المبكر للإسلام قبل وصول الإسلام إلى المدينة، كما يُعتقد ويُفضّل بشكل عام. على سبيل المثال، سأل البروفيسور سعيد سمر احتمالية بقاء بعض هؤلاء المهاجرين في المنطقة، كاتباً أنه «قد يكون البعض قد بقي لزراعة بذرة الدين الجديد في تراب القرن الأفريقي.»<sup>(٢)</sup> إضافة إلى ذلك، يؤكّد البروفيسور محمد مختار «غياب الأدلة» على التحول الصومالي المبكر للإسلام قبل هجرة المسلمين إلى المدينة، كما أن البروفيسور علي عبد الرحمن حرسى في أطروحته للدكتوراة The Arab Factor in Somali History [العامل العربي

---

(١) المصدر السابق، صفحة ١.

(٢) Said Samatar, —Unhappy masses and the challenge of political Islam in the Horn of Africa.‏

متاح على الرابط:

[http://www.ethiomeia.com/newpress/political\\_islam.html](http://www.ethiomeia.com/newpress/political_islam.html)

(تمّ الوصول بتاريخ ٢٤ نوفمبر، ٢٠١٦).

في التاريخ الصومالي]، يعتبر أن وصول الإسلام إلى زيلع في السنوات الأولى من هجرة المسلمين إلى الحبشة هي نظرية «تخمينية بدرجة كبيرة»<sup>(١)</sup> وبغض النظر عن ذلك، فإن تأريخ الوصول المبكر للإسلام إلى الصومال يصبح أكثر إشكالية بالأخذ بعين الاعتبار بأن «مسجد القبلتين»، أحدهما تشير إلى القدس، والأخرى إلى مكة، موجود في زيلع.<sup>(٢)</sup> وقد تغير اتجاه القبلة من القدس إلى مكة عام ٦٢٤م، بعد عامين من هجرة المسلمين إلى المدينة المنورة.<sup>(٣)</sup> قصة «مسجد القبلتين» محيرة بالفعل وتتطلب تحليلاً شاملاً، وقد يكون هذا هو السبيل لتسليط بعض الضوء على التاريخ المبكر للإسلام في الصومال. وهذا الإجراء لا بد منه دون شك لتجنب القيل والقال الميثولوجي، أو «الخرافات الفارغة والقبول غير النقدي للبيانات التاريخية»، كما حذر منه ابن خلدون بشكل متكرر.<sup>(٤)</sup>

كان الوصول الأول للإسلام في شمال الصومال في زيلع وبربره، ومقديشو في جنوب الصومال، وتحديدًا كمنافذ تجارية. ويتوقع البروفيسور مختار أن أول موجة من المهاجرين المسلمين كانت على الأغلب القبائل العمانية التي هُزمت واضطهدت بشدة أثناء «حروب الردة».<sup>(٥)</sup> وبالنسبة لهم، كانت الصومال أقرب طريق هروب ونقطة جغرافية كانوا متصلين بها تاريخياً عبر التجارة. ويخلص مختار إلى أنه «بذلك، هناك سبب جيد للاعتقاد أن أول موجة من المهاجرين المسلمين إلى الساحل الصومالي كانت مبكرة وتمت خلال عهد حكم

(١) Hersi, The Arab Factor, 113

(٢) هناك حاجة لمزيد من البحث لمعرفة تاريخ بناء المسجد، ومن هو الذي بناه، وسبب وجود قبلتين فيه.

(٣) نزلت الآية القرآنية التالية معلنة أن اتجاه القبلة قد تحول: ﴿قَدْ رَأَى نَقْلُ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤].

(٤) Ibn Khaldun, Franz Rosenthal, N. J. Dawood (1967), The Muqaddimah: An Introduction to History. (Princeton University Press, 1967), 10

(٥) Mohamed Mukhtar, Islam in Somali History: Fact and fiction in The Invention of Somalia, edited by Ali Jumale Ahmed. (Lawrenceville: The Red Sea Press, 1995), 4.

أبو بكر، أول خلفاء المسلمين.»<sup>(١)</sup> وتُظهر قطعة أخرى من الأدلة التاريخية على أن وصول الإسلام المبكر إلى مقديشو ربما يكون قد وقع أثناء خلافة عمر بن الخطاب (٦٣٤ - ٦٤٤ م)، أي في النصف الأول من القرن السابع الميلادي. كما أن هناك مجموعة عُمانية مهاجرة، قادها الإخوة سليمان وسعيد ابنا الجلندي، ووجدت لها مستقراً على ساحل شرق أفريقيا عام ٦٩٥ م. هذه الرواية قريبة جداً من الحقائق التاريخية التي يمكن رؤيتها على مقام فاطمة بنت عبد الصمد يعقوب، التي توفيت في مقديشو عام ١٠١ هـ.<sup>(٢)</sup> وهذا الدليل معززٌ بالسجلات في «كتاب الزوج»، الكتاب الذي لم يُعرف مؤلفه، والذي اكتشفه الباحث الإيطالي Gerulli Enrico في الصومال، ويكشف الكتاب وجود المسلمين في مقديشو أثناء خلافة عبد الملك بن مروان (٦٨٥ - ٧٠٥ م).<sup>(٣)</sup>

وبحسب كتاب الزوج، فإن الخليفة أرسل بعثة تحت إمرة موسى بن عمر الكثعمي إلى مقديشو وكلوة، والذي أبلغ الخليفة بأن هذه المدن - الدول قبلت الإسلام أثناء خلافة عمر بن الخطاب (٦٣٤ - ٦٤٤ م) وما زالت تتشرف بولائها للخلافة.<sup>(٤)</sup> إضافة لذلك، بقيت

(١) المصدر السابق، صفحة ٥. اقتبس المؤلف من:

حسن إبراهيم حسن، انتشار الإسلام والعروبة في ما يلي الصحراء الكبرى، شرق القارة الأفريقية وغربها. (القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٧)، ١٢٧.

(٢) Hersi, The Arab Factor, 91.

أيضاً:

Ahmed duale Jama'a, The Origins and Development of Mogadishu AD 1000 to 1850: A Study of urban growth along the Banadir coast of southern Somalia (Repro HSC, Uppsala 1996).

(٣) تُرجم كتاب الزوج إلى اللغة الإيطالية، ونُشر مع عددٍ من الوثائق المتنوعة التي جمعها Enrico Cerulli. انظر:

Enrico Cerulli, Somalia: scritti vari editi ed inedita, Vol.2 (Roma: Istituto poligrafico dello Stato, 1957-1964).

(٤) Mukhtar, Islam in Somali History, 3. Hersi, The Arab Factor, 86.

مقديشو تحت كنف الخلافة حتى استلام أبي جعفر المنصور، كما يروي يحيى بن عمر العنزي، ممثل الخليفة في شرق أفريقيا.<sup>(١)</sup> إلا أن العديد من المدن في شرق أفريقيا، بما فيها مقديشو، انتفضت ضد خلافة هارون الرشيد (٧٨٦ - ٨٠٩م)، وابنه المأمون (٨١٣ - ٨٣٣م) بل وأرسلت لهم دار الخلافة بعثتين تؤدّبهم.<sup>(٢)</sup> كما قيل أن مجموعة يقودها «إخوة الأحساء السبعة»، من الخليج العربي، استقروا في مقديشو وبراوى عام ٩٢٠م، وهناك أيضاً مجموعة أخرى كبيرة من فارس يقودها حسن بن علي المؤتمر ازي هاجرت إلى شرق أفريقيا عام ١٠٠٠م.<sup>(٣)</sup> وهذه الموجات من الهجرات من شبه الجزيرة العربية وعمان وفارس، وبعد ذلك من شبه القارة الهندية، كانت تنشر الإسلام وتمارس التجارة في سواحل المحيط الهندي وشرق أفريقيا.

وحطّ المستكشفون من الصين والعالم العربي/الإسلامي والبرتغال رحالهم في شبه الجزيرة الصومالية خلال الفترة الإسلامية من العصور الوسطى، وكتبوا أوصافاً مفصلة لشعبها ومدنها وصلاتها التجارية مع الدول والإمبراطوريات الآسيوية والعربية. وكما يوضح خبير الأسفار الأفريقية Briggs Philip: «أوصاف العصور الوسطى المبكرة لمنطقة الصومال، ويمكن القول إنها الأكثر تفصيلاً، وصفها الباحث والكاتب الصيني Tuan Sbib - eng(Ch في منتصف القرن التاسع»<sup>(٤)</sup> وسمّى Tuan ما زاره بـ«بو - با - لي» وقدم وصفاً مفصلاً لعادات السكان، حيث يفترض معظم المؤرخين أنها بلدة بربره. وهناك وصفٌ مشابه قدّمه كاتب صيني آخر، Kua - Ju Chou يرجع أصله إلى ١٢٢٥م تقريباً.<sup>(٥)</sup> كما

---

(١) المصدر السابق، صفحة ٤.

(٢) Hersi, The Arab Factor, 112.

(٣) Mohamed Mukhtar, Historical Dictionary of Somalia, New Edition. (The scarecrow Press, 2003), xxvi

(٤) Philip Briggs, Somaliland with Addis Ababa with East Ethiopia. (Bradt Travel Guides, 2012), 11.

(٥) المصدر السابق.



أن المستكشف الصيني الآخر Zheng زار المدن الصومالية مثل مقديشو، وزيلع، ومركة، وبربره، عام ١٤٣٠م. إضافةً إلى ذلك، سافر الباحث والمستكشف الإسلامي الصومالي، المسمّى الإمام سعيد المقدشاوي من مقديشو إلى الصين في القرن الرابع عشر خلال فترة حكم Yuan (١٢٧١ - ١٣٦٨م). وتؤكد السجلات التاريخية أن سعيد سافر من مقديشو ودرس في مكة والمدينة لـ ٢٨ عاماً، كما جال مختلف أنحاء العالم المسلم وزار البنغال والصين، كما التقى ابن بطوطة على الساحل الغربي للهند، ويُقال بأنه شاركه بروايات أسفاره إلى الصين، والمضمنة على الأرجح في سجلات ابن بطوطة.<sup>(١)</sup> وصدرت شبه الجزيرة الصومالية، في فترة العصور الوسطى، الزرافات والحمر الوحشية والخيول والحيوانات الغريبة، والعاج، والبضائع الغريبة إلى إمبراطورية Ming في الصين (١٣٦٨ - ١٦٤٤م) مقابل السيراميك والبهارات والبنادق.

وقدم الرحالة العرب والمسلمون وصفاً لأسفارهم المتوالية في شبه الجزيرة الصومالية وعلى سبيل المثال، كان هناك الجغرافي العربي / الإسلامي ابن سعيد المغربي (١٢١٤ - ١٢٨٦م) الذي قدّم رواية مكتوبة مفصلة للصومال في الفترة الإسلامية من العصور الوسطى، ووصف جنوب الصومال بأنها أرضٌ هيمن عليها المسلمون السنة. ووصف مقديشو بأنها «دار الإسلام».<sup>(٢)</sup> إضافةً لذلك، وصف محمد الإدريسي (١١٠٠ - ١١٦٦) المدن الساحلية التجارية من مركة، وبراي، ومقديشو، إضافةً إلى الطرق التجارية الداخلية، كما أن ياقوت الحموي (٥٧٤ - ٦٢٦) وصف الصوماليين بالسود ليفرقهم عن السكان الآسيويين

---

(١) Charles H. Parker & Jerry H. Bentley (ed.), *Between the Middle Ages and modernity: Individual and community in the early Modern World*. (Rowman & Littlefield Publishers Inc., 2007), 160.

انظر أيضاً:

Peter Jackson, "Travels of Ibn Battuta", *Journal of the Royal Asiatic Society*, 264.

(٢) Mukhtar, *Islam in the Somali History*, 6

المهاجرين. ووصف مقديشو بأنها مكانٌ «يهيمن عليه الغرباء لا السود»<sup>(١)</sup> وتحدث أيضاً عن وجود حيوانات غريبة «ليست موجودة بأي مكان بالعالم»، مثل الزرافة، والفهد، ووحيد القرن. وأخيراً، كشفت زيارة ابن بطوطة (١٣٠٤ - ١٣٦٩) والتي تمت عام ١٣٣١ أن المدينة كانت في ذروة الرخاء، وكانت «المدينة الكبيرة بإفراط» مليئة بالتجار الأغنياء، وكانت شهيرة بالقماش عالي الجودة التي صدرته إلى مصر. ويشير الوصف البارز لمقديشو من ابن بطوطة، إلى أن المدينة كانت متقدمةً بدرجة عالية كمركز للتجارة والتعليم الإسلامي، وأبدى اندهاسه من السلطان الصومالي أبو بكر بن محمد ونظامه القضائي الإسلامي، الذي اعتبره نظام حوكمة هرمي متقدم.<sup>(٢)</sup> ووصف ابن بطوطة، في سجل أسفاره الترحيب الكبير الذي لقيه في مقديشو قائلاً:

«... فأخذ القاضي بيدي. وجئنا إلى تلك الدار، وهي بمقربة من دار الشيخ، مفروشة مرتبة بما تحتاج إليه. ثم أُتي بالطعام من دار الشيخ، ومعه أحد وزرائه، وهو الموكل بالضيوف، فقال: مولانا يسلم عليكم، ويقول لكم قدمتم خير مقدم. ثم وُضِعَ الطعام، فأكلنا»<sup>(٣)</sup>

الكتاب العرب في العصور الوسطى مثل أبو الحسن المسعودي وياقوت الحموي زاروا المدن الصومالية الشمالية مثل زيلع وبربره. ووصفوا سكانها بأنهم يشملون السود والعرب المهاجرين، الذين لم يكونوا واضحين كثيراً بالمقارنة بمقديشو. ومدينة زيلع، التي كانت المدخل الصومالي إلى شبه الجزيرة العربية، أصبحت عاصمة سلطنة عدل التي كانت متعددة الإثنيات، وازدهرت خلال الفترة بين ١٤١٥م و١٥٧٧م. وخلفت سلطنة عدل سلطنة آفات

---

(١) المصدر السابق. انظر أيضاً:

Hersi, The Arab Factor, 102-103.

(٢) David D. Laitin, Said S. Samatar, Somalia: Nation in Search of a State. (Westview Press: 1987), 15.

(٣) ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٨٧، صفحة ٢٦٢ - ٢٦٣.

التي تغلب عليها سلطان الحبشة Amda Siyon عام ١٣٣٢ م.<sup>(١)</sup> وساد الودّ العلاقات المسلمة - المسيحية منذ الهجرة المسلمة المبكرة إلى الحبشة، وبقي الأمر كذلك في ما تلا ذلك من قرون. وتعززت هذه العلاقة بالاعتبار الكبير الذي أولاه النبي للحبشة، قائلاً إنها «أرض صدق»، وهناك الحديث الذي يرويه أبو سكينه عن النبي ﷺ قال: «دعوا الحبشة ما ودعوكم واتركوا الترك ما تركوكم.»<sup>(٢)</sup> وفي الغالب أن هذه التوجيهات النبوية والاعتبار الكبير للحبشة أبعد أثيوبيا عن الجهاد حتى بدأت إمبراطورياتهم بإخضاع المسلمين في السنوات اللاحقة.<sup>(٣)</sup> التأريخ المبكر للمسلمين يرجع إلى تاريخ تحول الملك الحبشي للإسلام وتبادل الهدايا مع النبي محمد ﷺ. كما أن النبي محمد ﷺ أدى صلاة الغائب عندما وصله نبأ وفاة النجاشي.<sup>(٤)</sup> هذه العلاقات الودية استمرت حتى القرن السادس عشر، لكنها تدهورت لاحقاً بسبب سعي إمبراطورية الحبشة للسيطرة على طرق التجارة، وأراضي المسلمين، والخوف من التنافس الديني. فقد تنامي الإسلام في الحبشة، ومنذ القرن التاسع؛ تأسست السلطنات المسلمة. كانت السلطنة الأولى هي سلالة المخزومي (٨٩٦ - ١٢٨٥ م)، ومقرها مدينة شوا، وتبعها سلطنات أوفات (١٢٨٥ - ١٤١٥ م) وعدل (١٤١٥ - ١٥٧٧ م)، المستقرة في زيلع. وهذه السلطنات المسلمة تحكّمت بطرق التجارة بين الهضاب وسواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي، وكان لها اتفاقيات ودية مع سكان الهضاب الأثيوبية وتشاركوا معهم بجزءٍ من الأرباح التجارية الفائضة. ولكن هذه العلاقات استاءت بعد ذلك، ونجم عن ذلك حروب شدّ وجذبٍ اقتصادية، بحكم الاختلاف الديني، الإسلام ضد المسيحية.<sup>(٥)</sup>

(١) المصدر السابق، صفحة ٤.

(٢) أخرجه أبو داود في سنه (٤٣٠٢)، وصحّحه السيوطي.

(٣) توجد شكوكٌ في صحة هذا الحديث، ولكنه يعكس تعاطف المسلمين مع الحبشة، وتوجيه رايات الجهاد باتجاهاتٍ أخرى مثل إمبراطوري الفرس والروم.

(٤) في حديثٍ يرويه أبو هريرة: نعا رسول الله ﷺ النجاشي صاحب الحبشة، يوم الذي مات فيه، فقال: «استغفروا لأخيكم». أخرجه البخاري (١٢٦٣)، ومسلم (٩٥١).

(٥) Nahemia Levtzion and Randall Pouwels, The History of Islam in Africa. (Ohio University Press, 2000).

وأثناء هذه الحرب، عندما تنازع الطرفان على السيطرة على المدن، عاش المسلمون بسلام مع المسيحيين حتى الفترة المتأخرة من جهاد الإمام أحمد إبراهيم. والعكس بالعكس، «عندما احتل الملك الحبشي Negus Yakuno Amlak مدينة زيلع، قتل العديد من المسلمين وأجبر الباقين منهم على التحول للمسيحية وحوّل المساجد إلى كنائس.»<sup>(١)</sup>

وصلت الحروب بين السلطنات المسلمة والإمبراطورية الحبشية إلى أوجها خلال حكم الإمام أحمد إبراهيم الغازي (١٥٠٦ - ١٥٤٣ م) والإمبراطور الأثيوبي Dangal Lebna «داويت الثاني» (١٥٠١ - ١٥٤٠ م). فيظهر بأن المسلمين الذين خنعوا للإمبراطورية الأثيوبية قد عقدوا العزم على القتال من أجل حريتهم رافضين دفع الضريبة وكانوا مستعدين لتكفير أخطاء الماضي. ومن الجدير ذكره أن شعار الحرب كان الجهاد الإسلامي ضد الأحباش النصاري، أي أن ذلك كان مؤشراً لتغير موازين القوى بين المسلمين والمسيحيين وترسيخ المفاهيم لدى المسلمين بأن الحرب كانت شرعيةً ضد الأحباش النصاري الذين كانوا معتدين وغزاة. وبدأت المواجهة في وقتٍ مبكرٍ واستمرت حتى فترة الإمبراطور Gelawdewos (١٥٢١ - ١٥٥٩ م). وكانت حرباً شديدةً لدرجة أنها جذبت تدخل قوتين عظيمتين: الإمبراطوريتين البرتغالية والعثمانية. هاتان القوتان العظيمتان تدخلتا في الصراع المحتدم بين الطرفين الرئيسيين بتحالف الأولى مع مسيحيي الحبشة والأخيرة مع سلطنة عدل المسلمة.

وفي هذه المرحلة، وقعت الحملة التي كانت معروفة باسم «فتوح الحبشة»، التي بدأت حوالي عام ١٥٢٧ م.<sup>(٢)</sup> وبدأ الإمام أحمد هذه الحملة ليحتل الإمبراطورية الحبشية ونجح

---

(١) Ben I. Aram, —Somalia's Judeo - Christian Heritage: A Preliminary Survey.‖ Africa Journal of Evangelical Theology 22.2 2003, 8, quoted from Bertin, G. Bertin, Christianity in Somalia. (Muqdisho: Croce del Sud Cathedral. Manuscript, 1983), 9-10.

(٢) يفصل شهاب الدين أحمد ابن عبد القادر في سرده لوقائع هذه الفتوح في كتابه: فتوح الحبشة. وقد قام Paul Lester Stenhouse بترجمة الكتاب.

بأخذ أكثر من نصف أرضها، متسبباً بذلك بمجاعةٍ جماعيةٍ في الإمبراطورية الحبشية وتحول العديد من المسيحيين إلى الإسلام، إلا أنه أخفق في بسط السيطرة الكاملة على أراضي الحبشة في ظلّ تدخل البرتغاليين، بقيادة Cristovão da Gama، شقيق Gama Da Vasco، الرحالة البرتغالي الشهير وأول أوروبيّ وصل إلى الهند.<sup>(١)</sup> وضمت الحملة العسكرية البرتغالية ٤٠٠ فارس، وعدداً من الحرفيين وغير المقاتلين، بينما طلب الإمام أحمد الدعم من الإمبراطورية العثمانية وحاز على دعم ٧٠٠ مقاتلٍ تركي. وما زال غزو الحبشة في ذاكرة العديد من الأثيوبيين. وكتب Henze .B Paul: «في أثيوبيا، الدمار الذي تسبب به الإمام أحمد لن يُنسى. كل مسيحيٍّ في الهضاب ما يزال يسمع قصص غري في طفولته. Haile Selassie يشير إليه في مذكرته قائلاً: 'بعض رفاقي القرويين في شمال أثيوبيا أشاروا إلى مواقع البلدات والقصور والكنائس والأديرة التي دمرها الإمام أحمد، وكأن هذه الكوارث قد وقعت بالأمس.»<sup>(٢)</sup> وتوقفت الحملة العسكرية بين الجانبين مؤقتاً عام ١٥٤٣م، عندما قتل الإمام أحمد في معركة واينا داجا. وبغض النظر عن ذلك، فإن زوجة الإمام أحمد، باتي ديل وامبرا، رفضت قبول الهزيمة ونذرت على نفسها بأن تتأثر لزوجها. وكنتيجةً لذلك، تزوجت ابن أخيه، نور بن مجاهد، بشرط أن يثار لموت الإمام أحمد. وهكذا استمرت العداوات بين الجانبين تحت الخليفة الإمام نور بن مجاهد، الذي جدّد الحرب عام ١٥٥٤م ليفي بالوعد الذي قطعه لزوجته بالثار للإمام أحمد بقتل الإمبراطور الأثيوبي Galawdewos، عام ١٥٥٩م.<sup>(٣)</sup>

(١) R.S. Whiteway, The Portuguese Expedition to Abyssinia in 1441 1902, 1543 - . (Nendeln, Liechtenstein: Kraus Reprint, 1967), 42.

(٢) Paul B. Henze, Layers of Time: History of Ethiopia. (London: Hurst & Company, 2000), 90.

(٣) E. Cerulli, Documenti Arabi per la Storia dell' "Ethiopia. Memoria della Accademia Nazionale dei Lincei, Vol. 4, No. 2, Rome, 1931.

وتأريخ الحروب المبكرة بين الإمبراطورية الأثيوبية والإمارات المسلمة المهاجرة كان يُختزل في الحبشة بأنه «قلعة محاصرة في وسط بحرٍ من الإسلام»<sup>(١)</sup> هذا المفهوم مرّره بالأصل J.S. Trimingham، المؤرخ المستشرق الذي انتقد لغياب الأدلة وتم إنتاج سردية مضادة، قدمها Travis J. Owens، وكتب أن «الجيران المسلمين للإمبراطورية الأثيوبية كانوا محاصرين من أثيوبيا المسيحية على مدى حقبة العصور الوسطى»<sup>(٢)</sup> إضافة لذلك، اعتبر Travis أن الحروب بين المعسكرين كانت ردة فعل شرعية من المسلمين على طموحات أثيوبيا التوسعية. وكتب Travis تعبيراً عن موقفه: «جهاد الإمام غري والأمير محفوظ من قبله كان ردّ فعلٍ على السياسات التوسعية للإمبراطورية [الأثيوبية] التي أخضعت جيرانها بصورة مستمرة»<sup>(٣)</sup> إضافة لذلك، خلّص Travis في تحليله إلى ما يأتي:

«تزايد التهديد العنيف على المسلمين بإخضاع الإمبراطورية السلطنات للعنف والضرائب بصورة متزايدة وفقدان السيطرة على التجارة. وشكّلت السلطنات المسلمة تهديداً على الأثيوبيين ليس لأنهم أرادوا السيطرة على الأراضي المسيحية، ولكن لأنهم أرادوا استعادة أراضيهم وطرق التجارة والاستقلال»<sup>(٤)</sup>

وسردية Travis كانت دعماً لموقف مبكّر للمؤرخ الأثيوبي أحمد حسين، الذي أصدر

---

(١) J. Spencer Trimingham, —The Expansion of Islam,|| In Islam in Africa, edited by James Kritzeck, and William H. Lewis, (New York: Van Nostrand - Reinhold Company, 1969), 21.

(٢) Travis J. Owens, —Beleaguered Muslim Fortress and Ethiopian Imperial Expansion from the 13th to the 16th century.|| MA Thesis in Security Studies submitted to Naval Postgraduate school, 2008

متاح على الرابط:

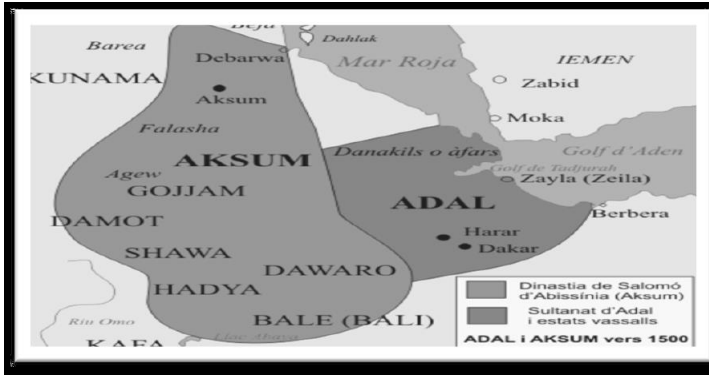
[http://calhoun.nps.edu/bitstream/handle10945/4031/08/Jun\\_Owens?...](http://calhoun.nps.edu/bitstream/handle10945/4031/08/Jun_Owens?...)

(تم الوصول في ديسمبر ٢٠١٦)، ١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق، صفحة ٤٠.

عام ١٩٩٢، ورقة بعنوان: «The Historiography of Islam in Ethiopia» [تأريخ الإسلام في أثيوبيا] في «Journal of Islamic Studies» [مجلة الدراسات الإسلامية]، والتي تحدّى بها النظرة الاستشراقية للإسلام في أثيوبيا.<sup>(١)</sup> وحاجج الباحثون الآخرون الذين درسوا تاريخ القرون الوسطى للمنطقة، مثل Kaptejins، أن حرب القرن السادس عشر بين إمبراطورية أثيوبيا المسيحية والإمارات المسلمة كانت حرباً أهلية بين السكان الأصليين الأثيوبيين.<sup>(٢)</sup> وهذا يعني أن الحرب لم تكن بين قوة مسيحية أصلية تدافع عن نفسها ضد تدخل المسلمين المهاجرين.



خريطة رقم (٤): خريطة سلطنة عدل

في أوروبا العصور الوسطى، نهضت البرتغال كقوة إمبريالية أثناء ما سُمي بـ «عصر الكشوفات»، في الفترة بين القرن الخامس عشر والثامن عشر، والتي ظهر بها الاكتشاف الواسع لما وراء البحار. فمهّد ذلك الطريق إلى الاستعمار الأوروبي الذي حدّد وصول المستعمرين والغزاة لاستعباد واستغلال السكان الأصليين في آسيا وأفريقيا وأمريكا

(١) Hussein Ahmed, —The Historiography of Islam in Ethiopia,|| Journal of Islamic Studies, 3 (1992): 15.

(٢) Lidwien Kapteijns, —Ethiopia in the Horn of Africa,|| in The History of Islam in Africa edited by Nehemia Levtzion, and Randall L. Pouwels, (Athens, Ohio: Ohio University Press, 2000).

وغزوهم والهيمنة عليهم. وكجزء من هذه المغامرة، كان البرتغاليون أول مستكشفين يزورون الصومال. والكاتب البرتغالي والضابط Barbarosa Durate (١٤٨٠ - ١٥٢١ م)، الذي شارك في رحلة Magellan Ferdinand، كان هو أول من طاف الأرض كلها، وأشار إلى أن العديد من السفن الواصلة من الهند إلى مقديشو بالملابس والبهارات لتبادلها بالذهب والشمع والعاج.<sup>(١)</sup> وعبر الرحالة البرتغالي Vasco De Gama (١٤٦٠ - ١٥٢٤ م) ساحل مقديشو يوم ٢ يناير ١٤٩٩ أثناء عودته من رحلته الأولى إلى الهند. ولاحظ أن مقديشو كانت مدينة كبيرة ببيوت ذات أربعة أو خمسة طوابق، وقصور كبيرة في مركزها، والعديد من المساجد ذات المآذن الأسطوانية.<sup>(٢)</sup> إضافة إلى ذلك، تجاوز التجار الهنود الحصار البرتغالي للساحل الصومالي في القرن السادس عشر والتجار العُمانيين واستخدموا موانئ مركة وبرأوى الصومالية. وهذان الميناءان كانا خارج سيطرة البرتغاليين والعُمانيين، ولذلك، فالتجار الهنود مارسوا تجارتهم بحرية بدون تدخل.

وفي الفترة الإسلامية من العصور الوسطى، طوّر الصوماليون ثقافة جديدة لبناء الدولة. وسُميت أول دولة أصلية أسسها الصوماليون باسم سلطنة أجوران، وكانت أكبر دولة صومالية احتوت القبائل الصومالية المتعددة، وامتد حكمها من القرن الرابع عشر حتى القرن السابع عشر. وكان معقلها في مركة وضمت أراضيها جزءاً كبيراً من جنوب الصومال. وامتدت أراضيها من مريغ وهيبا في الشمال (منطقة عيل طير في ولاية غلمدوغ في الصومال)، إلى قلافو في الغرب، إلى كيسمايو في الجنوب. وأمنت السلطنة طرق التجارة وشجعت التجارة الخارجية، التي ازدهرت في المناطق الساحلية. وكانت السفن الكبيرة المحملة بالبضائع التجارية تأتي

---

(١) Mensel Longworth Dam (translated and ed.), "The book of Duarte Barbosa: an account of the countries bordering on the Indian Ocean Asian Educational Services, 1989.

(٢) Joao de Sa Alvaro Velho, A Journal of the First Voyage of Vasco Da Gama, 1497-1499. Hakluyt Society, 1898, 88.



من شبه الجزيرة العربية والهند والبندقية وفارس ومصر وأبعد من ذلك وصولاً إلى الصين.<sup>(١)</sup> ونجحت الإمامة في تأسيس جيشٍ قويٍّ مستقر، قاوم بنجاح غزو شعب أورومو، والهجرة من الغرب، إضافة للغزو البرتغالي من المحيط الهندي.



خريطة رقم (٥): خريطة سلطنة أجوران

وقع غزو الأورومو، المعروف باسم «حرب الكفار السود» [Dagaalkii Gaala Madow]، في منتصف القرن السابع عشر. وتجّرع هذا الغزو طعم الهزيمة وبعض الأورومو الغزاة تحولوا إلى الإسلام بينما غير آخرون طريق هجرتهم بعيداً عن أراضي أجوران. وأثناء حكم أجوران تحولت العديد من قبائل شرق أفريقيا إلى دين الإسلام، ودافعت أرضها من الغزو البرتغالي الذي بدأ بحرق ونهب براوي تحت إمرة Tristão da Cunha.<sup>(٢)</sup>

صدّ استعداد مقديشو، في أجوران، خطط الغزو البرتغالي، وذلك تحت حكم سلالة

(١) Fred M. Shelley, Nation Shapes: The Story behind the World's Borders. (ABC-CLIO., 2013), 358.

(٢) Duarte Barbarosa, A Description of the Coasts of East Africa and Malabar in the Beginning of Sixteenth Century (London: the Hakaluyt Society, 2008)

مظفر، الذين حشدوا جيوشاً ضُمَّت العديد من الفرسان وسفن القتال دفاعاً عن المدينة. لكن البرتغاليين لم يتخلّوا عن خططهم باحتلال مقديشو، وبعد عدة عقود من محاولتهم الأولى أرسلوا بعثةً تأديبيةً ضد مقديشو تحت إمرة João de Sepulveda، الذي فشل باحتلالها أيضاً.<sup>(١)</sup> وكرّد فعل على التهديد البرتغالي، عزّزت سلطنة أجوران علاقاتها مع الإمبراطورية العثمانية في إسطنبول. وعقد الجانبان اتفاقيةً سياسيةً لإنهاء المشترك للتهديد البرتغالي في المحيط الهندي. وهكذا نظّمت القوات البحرية لأجوران والبحرية العثمانية بعثات مشتركة لكسر الحصار البرتغالي للبلدات الساحلية للمحيط الهندي. ووصل التعاون إلى أفضل مستوياته عام ١٥٨٠م أثناء قيادة مير علي بك للأسطول التركي في المحيط الهندي، عندما تم إرسال بعثة صومالية - تركية إلى أقصى جنوب شرق آسيا.<sup>(٢)</sup> السجلات التاريخية لسلطنة أجوران ومواجهتها مع أورو مو والبرتغاليين محدودة جداً ولكن لا شك أن سلطنة أجوران قد لعبت دوراً هاماً في الدفاع عن أراضي جنوب الصومال ونشر الإسلام في كل منطقة شرق أفريقيا. وللأسف، فتاريخ تشكل الدولة الصومالية المتجسدة بسلطنة أجوران لم ينل حقه من الدراسة. وقد يكون أحد أسباب ذلك هو أن الحركة القومية الصومالية الكبرى، عصبة الشباب الصومالي، (SYL)، كانت تخجل من الأسماء القبلية، ولأن الإمامة كانت تحمل اسماً قبلياً ولذلك ربما تم تجاهلها ببساطة. وهناك احتمالية أخرى، وهي غياب الوعي التاريخي ونقص السجلات التاريخية. وقد يكون هناك سبب آخر أكثر احتمالية يتمثل في هيمنة تخيل التأريخ الاستعماري بأن الصوماليين كانوا قبائل متفرقة يتلخّص تاريخهم بالاستعمار وحسب، سواء في إنتاجه أو تبعاته. وكان لهذه العوامل الثلاثة معاً تقييُض بحث واسترجاع التاريخ الأصلي لتشكيل الدولة الصومالية.

---

(١) Justus Strandes, The Portuguese period in East Africa (Kenya Literature Bureau, 1989), 112

(٢) Sidney Welsh, Portuguese rule and Spanish crown in South Africa, 1581-1640 (Juta & Co.; 1st edition, 1950)

وضعت سلطنة عدل بعد موت أمير نور بسبب غارات أورومو في ١٥٧٧م، وانتقل معقلها إلى واحة «أوسا» في صحراء دناكل تحت قيادة محمد جاسا.<sup>(١)</sup> تراجعت سلطنة أوسا (سلطنة عفر) تدريجياً في القرن التالي ودمرها بدو عفر المحليين عام ١٦٧٢م. وفي المقابل، ازدهرت سلطنة هرر وأسست سلالة جديدة تحت حكم علي بن داود عام ١٦٤٧م، وبقيت هذه السلالة الحاكمة حتى غزو مصر للمدينة ١٨٧٥م.<sup>(٢)</sup> وبعد الجلاء المصري المتعجل، عاشت المدينة استقلالاً قصيراً، سيطر بعده الإمبراطور مينليك الثاني على المدينة وأدخلها في إمبراطوريته عام ١٨٨٧م. وأعلن مينليك متفاخراً بعد غزو هرر: «هذه ليست بلداً مسلمة، كما يعلم الجميع».<sup>(٣)</sup> على الجانب الآخر، تراجعت سلطنة أجوران في القرن السابع عشر بعد هزيمتها في معاقلها الكبرى: مريغ،<sup>(٤)</sup> وسلالة مظفر في مقديشو عام ١٦٢٤م، وسلطنة سلحس في أفجوي.<sup>(٥)</sup>

وفي عصر ما قبل الاستعمار، كان ساحل بنادر تحت السلطة الاسمية العمانية من زنجبار، ومعها كان أيضاً الكثير من المدن الساحلية في شرق أفريقيا حتى الزحف الأوروبي في ثمانينات القرن التاسع عشر، إلا أن إمامة هراب، وسلطنة جلدي التي أعقبت سلطنة أجوران في مقديشو والمناطق المحيطة كانوا حكاماً محليين للمنطقة. وإضافة إلى ذلك،

---

(١) Lee Cassaneli, The Shaping of Somali Society, 120.

(٢) Avishai Ben - Dror, The Egyptian Hikimdariya of Harar.

(٣) David Laitin and Said Samatar, Somalia: Nation in Search of a State (Westview Press, 1987), 12.

(٤) تروي كتب السير أن آخر أئمة أجوران قُتِلَ على يد تحالف عشائر دلدول مدلود [Dalandoole Muduood] الذي كان اسمه عيل عول [Ceel Cawl] بالقرب من مسغواي، أحد بلدات مديرية عيل ظير. وتقع المدينة في محافظة مريغ القديمة. (أحد مناطق دولة غلمدوغ الصومالية).

(٥) تحكّمت سلطة سلحس بجزء كبير من أرض جنوب الصومال من أفغوي، مقر السلالة. ولكن استولى إبراهيم أدير على أفغوي في أواخر القرن السابع عشر، وأسس سلطة جلدي. للاستزادة، انظر:

Luling, The Somali Sultanate, 111

حكمت سلطنة جلدي مناطق من جنوب الصومال في نهاية القرن السابع عشر والتاسع عشر. وكان مؤسسها إبراهيم أدير الذي هزم سلالة سلعس وجعل معقله في مدينة أفغوي (٣٠ كم جنوب مقديشو). تم ضم السلطنة إلى المستعمرة الصومالية الإيطالية عام ١٩٠٨ م.<sup>(١)</sup> على الجانب الآخر، إمامة هراب التي انتفضت ضد سلطنة أجوران على حقوق المياه أسست حكماً مستقلاً منذ عام ١٦٢٤ م وما تلاه. وتجزأت بقية أراضي أجوران السابقة في جنوب الصومال إلى سلطنات قبلية مستقلة، بينما احتلت المنطقة كاملة من إيطاليا بداية القرن العشرين. وعلى الجانب الآخر ظهرت سلطنة وارسنجلي في شمال شرق الصومال ومملكة مجرتين بصورة واضحة. سلطنة هوبيو، الناشئة عن مملكة مجرتين، تحت حكم سلطان يوسف علي كينينديد دخلت بمعاهدة مع الإيطاليين عام ١٨٨٨ م، بينما وقعت مملكة مجرتين، التي سيطرت على الكثير من دولة بونت في الصومال، على معاهدة مشابهة عام ١٨٨٩ م. وضمّت أراضي هاتين الدولتين الصغيرتين إلى المستعمرة الإيطالية عام ١٩٢٧ م.

في الساحل الشرقي للصومال، في القرن الثامن عشر، وبشكل مشابه للعمانيين في ساحل بنادر، مارس أشراف مكة (اليمن) حكماً اسمياً تحت الإمبراطورية العثمانية. إلا أن الحكام الصوماليين المحليين، المستقرين في زيلع، مثل حاجي شارماكي كانوا هم من انتهى إليهم الحكم الفعلي لطرق التجارة والمناطق المحيطة لزيلع وبربره. وفي الشرق الأقصى، كانت سلطنة وارسنجلي فاعلة في منطقة سناج وأجزاء من المنطقة الشمالية الشرقية، وفي منطقة تُعرف تاريخياً باسم ساحل ماخر. ووقع سلطان وارسنجلي أول معاهدة لحكومة الوصاية البريطانية عام ١٨٨٤ م، راسماً بداية حقبة جديدة من المحمية البريطانية في شمالي شبه الجزيرة الصومالية. ووقعت الحكومة البريطانية معاهدات الحماية مع القبائل الخمسة الأخرى المستقرة في «أرض الصومال» البريطانية: جادابورسي، وعيسى، وغرحجس،

---

(١) المصدر السابق.

وهبر جعلو، وهبر أول، عام ١٨٨٤م ومطلع ١٨٨٥م.<sup>(١)</sup> ومع هذا التفكك القبلي، استغلت السلطات الأوروبية والأثيوبية ذات الأطماع التوسعية الفرصة لتسيطر على شبه الجزيرة الصومالية ذات الموقع الاستراتيجي.

## الخلاصة

قدّم هذا الفصل نظرةً عامةً مختصرةً للتاريخ القديم لشبه الجزيرة الصومالية وعرض أن هذه المنطقة كانت مهد العرق البشري ونواة الحضارات القديمة، التي تاجرت مع حضارات العالم الأخرى في ذلك الوقت بما في ذلك المصريين والفينقيين والموكيانيين والبابليين القدامى. والدراسات الأثرية واللسانيات التاريخية كشفت أن الموطن الأصلي للشعب المتحدث بالكوشية، الذي ينتمي إليه الصوماليون، كانوا السكان الأصليين لشمال شرق أفريقيا في آخر سبعة آلاف عام. كان طواف البحر الإريتري أول وثيقة مكتوبة في القرن الأول الميلادي التي وصفت الموانئ الساحلية لسواحل المحيط الهندي.

وعرفت الصومال منذ القرن السابع للفترة الإسلامية في العصور الوسطى وما بعدها مرحلةً جديدةً من تاريخها. وتأريخ شبه الجزيرة الصومالية بدأ باستقبال مصادر تاريخية متنوعة من كتاب ورحالة متنوعين، مثل الصينيين والعرب/المسلمين والبرتغاليين. هؤلاء الرحالة تركوا وراءهم سجلات تصف الشعب، ودينه، وعلاقاته التجارية مع المجتمعات التجارية. وتظهر هذه الأوصاف أن الشعب الصومالي قَبِلَ الإسلام منذ القرن السابع. وقد يكون اعتناقهم الكامل للدين بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر. انضمّ الشعب الصومالي إلى حكم السلطنات المسلمة الناشئة: أوفات (١٢٨٥ - ١٤١٥) وعدل (١٤١٥ - ١٥٧٧) في الجزء الشمالي لشبه الجزيرة الصومالية. إضافة لذلك، في الجزء الجنوبي من الصومال، أسّس الصوماليون دولتهم سلطنة أجوران، الدولة الأكبر والأطول عمراً التي دامت ٣٠٠ عاماً منذ القرن الرابع عشر حتى السابع عشر.

---

(١) D. J. Latham Brown, "The Ethiopia - Somaliland Frontier Dispute." International and Comparative Law Quarterly, 5, 2 (1956), 245-264

يدور التاريخ الصومالي منذ الفترة الوسطى حول محورين اثنين: الإسلام والاستعمار. إذ أن التاريخ المبكر للصومال هو أساساً تاريخ وصول الإسلام، وانتشار تعاليم الإسلام، والصراع مع الإمبراطورية الحبشية المسيحية والمجتمعات العرقية الأخرى في المنطقة. سلطنة أجوران كانت أول دولة صومالية، تحكم أكبر أرضٍ ممتدة من المناطق الوسطى إلى الأراضي الصومالية الجنوبية البعيدة. وللأسف، هناك شحٌ في الدراسات التي تتناول نشوء الدولة الصومالية.<sup>(١)</sup> وتُظهر السجلات المتاحة القديمة أن عاصمة السلطنة كانت في مركة، وطبقت الشريعة الإسلامية، وأسست جيشاً عريضاً، ومنحت الأولوية لتأسيس موارد المياه وبناء التعزيزات العسكرية. ولسلطنة أجوران الفضل في الدفاع عن الأراضي الصومالية من غارات الأورومو والبرتغاليين ونشرت الإسلام في كل المنطقة. إلا أن الحكام المتأخرين لأجوران تركوا حكم الشريعة وأصبحوا قمعيين وفرضوا ضرائب كبيرة، وكان هذا ما حرّض على الانتفاض عليهم في القرن السابع عشر.<sup>(٢)</sup> وتعرّضت كل السلطنات في الفترة الإسلامية من العصور الوسطى لغزو قبائل رعوية قطعت أوصالها إلى مجموعة من الدويلات الصغيرة، وذلك في القرن السابع عشر تساوفاً مع سنة البداوة التي تقوم على تدمير الحضارات بحسب نظرية «العصبية» التي وضعها ابن خلدون. وبعد قرنين من التفكك شهدا تأسيس دولٍ مختلفة، كان وفود الاستعمار هو السمة التاريخية الثانية، مع التركيز على الاستعمار وتأثيره، وهي فترة شهدت إنتاجاً أدبياً غزيراً.

يُظهر تأريخ التاريخ القديم والإسلامي في العصور الوسطى فجوةً تاريخيةً بالكاد نعرف عنها أي شيء وشهدت هذه الفترة أيضاً عدداً من الروايات المختلف عليها. والفجوة التاريخية هي الفترة بين القرن الأول بحضاراتها المزدهرة ومدنها التجارية، كما روى كتاب

---

(١) Mohamed Mukhtar, —Ajuran Sultanate.‖ The Encyclopedia of Empire,  
<http://onlinelibrary.wiley.com>, 2016.

(٢) Enrico Cerulli, Somalia: scritti vari editi ed inediti. Vol.2 (Roma: Istituto poligrafico dello Stato, 1957-1964), 250-254.

الطواف حول البحر الإرتيري، وقدوم الإسلام في القرن السابع. الرواية الأولى المتنازعة هي أصل الشعب الصومالي، الذين عُرفوا بأنهم مهاجرون من جنوب أثيوبيا منذ ١٠٠٠ ق.م. من شبه الجزيرة الصومالية في القرن الحادي عشر. السردية الجديدة القادمة من الأدلة الأثرية تبرهن أن شعب الصومال هم الأصحاب الأصليون لمستقرهم الحالي منذ سبعة آلاف عام. الرواية المتنازعة الثانية هي وقت وصول الإسلام إلى الصومال، ورواية وصول الإسلام أثناء الهجرة الأولى إلى الحبشة كانت محل مساءلة كبيرة نظراً لغياب أدلة جادة، إلا أن الإشكالية التي تعقد القضية هي وجود مسجد بقبلتين في زيلع، ويفترض أنه بني قبل ٦٢٤م (على الأقل بعد عامين الهجرة إلى المدينة). السردية الثالثة المتنازعة كانت وصف Trimingham للإمبراطورية المسيحية الحبشية على أنها «قلعة محاصرة في وسط بحر من الإسلام». السردية المضادة فصلها Travis J. Owens الذي أوضح «أن الجيران المسلمين للإمبراطورية الأثيوبية كانوا محاصرين من أثيوبيا المسيحية طيلة الفترة الوسطى». ولكن بكل الأحوال، يحتاج التأريخ للحقبة القديمة والحقبة الإسلامية في العصور الوسطى في الجزيرة الإسلامية إلى مزيدٍ من البحث والدراسة.

\*\*\*

## الفصل الثالث

### إعادة تشكيل المجتمع الصومالي: تأثير الطرق الصوفية والاستعمار

«أسوأ شيء فعله الاستعمار هو أنه حجب رؤيتنا لماضيها»

الرئيس الأمريكي السابق Barrack Hussein Obama

«سيأتي اليوم الذي يتحدث به التاريخ... أفريقيا ستكتب تاريخها... وسيكون تاريخ مجد وكرامة»

لومبابا

بدأ التاريخ الحديث في الصومال في القرن الثامن عشر، بعد قرنين تقريباً من انهيار سلطنة أجوران ومثلهما قبل التناحر الأوروبي على أفريقيا. وارتبطت هذه الفترة بنشوء السلطنات المتشظية المقسّمة على أساس العشيرة، وأيضاً قيام سلطنات المدن - الدول، وإحياء الحركات الصوفية. وتميّزت الصومال، منذ قديم الزمن، بموقع جغرافي استراتيجي وما زالت كذلك في الفترة الحديثة. وكان الشعب لا يزال في ذاك الوقت شعباً بدوياً رعوياً بصورة رئيسية يعيش في ظلّ انسجام نادرٍ بإيمانه بالدين الإسلامي واللغة والثقافة. وتمتعت المنطقة بوفرةٍ من الأراضي الصالحة للزراعة وساحلٍ طويلٍ ممتدٍ بمحاذاة المحيط الهندي الغني بالموارد البحرية الطبيعية. ولكن للأسف، لم يطور الصوماليون دولةً وطنيةً في فترة ما قبل الاستعمار كان لها أن تحمي أراضيها وتوحد قبائلها المتفرقة. وبحالة متزعزعة كهذه، خلق قدوم الاستعمار في نهاية القرن التاسع عشر ظروفاً ألقت بظلالها على الإقليم وأعادت تشكيل كينوناتها ونمط حياتها بشكلٍ عام.

ومنذ ذلك الوقت، تمحور التاريخ الصومالي حول طيفين متضاربين: الإسلام، والاستعمار. وعمّ الإسلام، الذي دخل الصومال في القرن السابع، معظم أرض الصومال



منذ القرن الحادي عشر، كما شهدت الصومال فترة إحياء إسلامية متقدمة في القرن الثامن عشر وذلك مع قيام العديد من الطرق الصوفية. كان التأثير التحولي للطرق الصوفية على المجتمع الصومالي الرعوي وغير المتعلم ضخماً بفضل أساليبها التبشيرية الخلاقة ومراعاتها للخصوصيات الثقافية. وعُرفت الفترة الأولى لتطور الدعوة الإسلامية المعاصرة في الصومال باسم «الإحياء الإسلامي»، وتلا ذلك ثلاث مراحل أخرى هي تصاعد الوعي الإسلامي (١٩٥٠ - ١٩٦٧م)، وبداية الصحوة الإسلامية (١٩٦٧ - ١٩٧٨م)، وبروز الحركات الإسلامية (١٩٧٨م - الآن).<sup>(١)</sup> وفي المقابل، وصل الاستعمار إلى شبه الجزيرة الصومالية في ثمانينيات القرن التاسع عشر في حقبة التناحر الأوروبي على أفريقيا. ونتيجةً لفشله في تجنب سقوطه تحت هيمنة الاستعمار، تم استيعاب الشعب الصومالي تدريجياً في الأنظمة السياسية والاقتصادية للقوى الاستعمارية المتعددة.<sup>(٢)</sup> فبدأت عملية الاستيعاب الفعلية بدخول نظام التعليم الغربي وخلق النخب المتأثرة بالغرب. ولم تملك النخب الصومالية ما يكفي من المؤهلات لتولي المهمة الإدارية للدولة الصومالية المستقلة في الستينيات بسبب التعليم والتدريب العملي البدائي.

ينظر هذا الفصل إلى الفترة التي تبدأ من حقبة ما قبل الاستعمار، والمقسمة إلى ثلاث تراكيبات أساسية متداخلة فيما بينها. تبحث التركيبة الأولى في التأثير الاجتماعي الذي رافق إحياء الإسلام الذي تجلّى في دور الطرق الصوفية، فيما تبحث التركيبة الثانية في الغزو الاستعماري متعدّد الأطراف في شبه الجزيرة الصومالية، والتي استثارت المقاومة الصومالية بشكليها المسلح المشتت، والسلمية. وبحثناهم بالإدارات الاستعمارية المختلفة، تعلّم الصوماليون نظم الحروب الحديثة، وتقنيات الإنتاج المادي، والطرق الحديثة للسياسة.

---

(١) قسّم الكاتب التطور الحديث للحركات الإسلامية في الصومال إلى أربع مراحل. ارجع إلى:

Abdurahman Abdullahi (Baadiyow), Somalia: Historical Phases of the Islamic Movements. Somali Studies Journal. Volume 1 (2016), 1949 -

(٢) كان الشعب الصومالي خاضعاً لثلاثة قوى استعمارية: بريطانيا، وفرنسا، وإيطاليا، وجارتها أثيوبيا التي توسّعت داخل الإقليم الصومالي.

وتبحث التركيبية الثالثة في تأثير الاستعمار على قطاع التعليم وإنتاج النخب المغربية، أو يمكن تسميتها المتأثرة بالغرب. وأثناء هذه الفترة، تطورت القبلية السياسية مع ظهور الأحزاب السياسية، كما ظهر تفرّع النخب إلى إسلامية، وغير إسلامية، ومغربية، وبرزت أيضاً حالة من التوتر المتصاعد بين هذه الكتل. وأجج هذا المشهد الصراع بين النخب والقبائل المسيّسة، وهو ما أدّى لصحوة إسلامية. وتدهورت العلاقة بين المجتمع والدولة بصورة دراماتيكية في هذه الفترة، وأدّت لنتائج كارثية أسفرت في النهاية عن انهيار الدولة الصومالية عام ١٩٩١م.

### «الإحياء الإسلامي» وإعادة تشكيل المجتمع

وضع الإسلام أساس إعادة توجيه المجتمعات من حيث تصورها للعالم، وهويتها، وتسلسل قيمها وذلك عن طريق توفير خارطة طريق ونموذج يُرسيان نظاماً كاملاً الأركان. ويستقي هذا النموذج مصادره الأساسية من القرآن والسنة النبوية. وقد فسّرت هذه المصادر الأساسية بمرونة كبيرة تحتوي الآراء المتعددة ضمن إطارها العام وأهدافها. وحبا الإسلام على البدو والحضر بنظامٍ مصوّنٍ وأخلاقيات رافقها تغيّراتٌ متسارعةٌ وتحولاتٌ كبرى في القيم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأخلاقية. ولا يهدف الإسلام إلى إزالة الأنماط الثقافية السابقة للمجتمعات، بل يعمل على إعادة توجيهها واستيعابها واستكمالها. فيقول النبي ﷺ في حديثٍ يمسّ هذه النقطة: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(١)</sup> كما امتدح القرآن الكريم النبي ﷺ على حسن أخلاقه، فيقول تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]. وبذلك، كان للإسلام تاريخٌ طويلٌ بتحويل المجتمعات البدوية إلى مجتمعات متمدنة، وهو ما شخّصه القرآن في مواضع مختلفة مثل:

﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ

حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٧].

إلا أن بعض البدو، بعد إسلامهم، غيّروا شخصيتهم كما تقول هذه الآية:

(١) الأدب المفرد، الجزء الأول، الحديث رقم ٢٧٣.

﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سِوَى ذَلِكَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِ فِي رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ٩٩].

وهكذا لعبت الطرق الصوفية تحديداً دوراً كبيراً بأسلمة شعوب أفريقيا وآسيا من خلال مساعيها الخلافة التي تراعي التوجهات الثقافية المختلفة للشعب المستهدف. وسنستعرض هنا كيف حوّلت الطرق الصوفية المجتمع الصومالي من بدو غير متعلمين إلى مجتمعات حضرية. عُرف التصوف على أنه التعبد الفردي القلبي، وهو مفهومٌ وُجد منذ بداية التاريخ الإسلامي، إلا أن نمطه المنظم ظهر كردّ فعلٍ للدنيوية المتنامية للخلفاء المسلمين وهيمنة المدرسة الفكرية المتمسكة بحرفية الشريعة.<sup>(١)</sup> تقوم الصوفية على أساس الاجتهاد لتحقيق «الإحسان»، كما يصفه الحديث النبوي: «أن تعبد الله كأنه تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك.»<sup>(٢)</sup> وبمعنى آخر، تعتقد الطرق الصوفية أن القرآن والحديث لهم جانبٌ رمزيٌّ ومعنويٌّ باطني، إضافةً لمعناهما الظاهر. إلا أن كلاً من هذين البعدين معاً يشكّلان بصورةٍ لا تتجزأ المفهوم الشامل للإسلام. إضافةً لذلك، وبالرغم من التوجهات المتعصبة لبعض المدارس الباطنية والظاهرية، فإن التوجه الإسلامي العام هو الموافقة بين هذين الجانبين باعتدال. وفي السياق الصومالي، يتبع الإسلام التقليدي ثلاثة مدارس: العقيدة الأشعرية، والفقه الشافعي، والتصوف. أرسى أبو الحسن الأشعري (٨٧٣ - ٩٣٥م) قواعد الأشعرية لتكون ردّة فعلٍ على المغالاة في المنطقية التي أظهرتها المعتزلة.<sup>(٣)</sup> أما المذهب الفقهي الشافعي فهو واحدٌ من أربعة مذاهب فقهية، ويتجذّر هذا المذهب في منهج وتعاليم أبي عبد الله الشافعي

(١) Abdallah Saeed, Islamic Thought: An Introduction (London: Routledge, 2006).

(٢) Muhammad Bin Jamil Zeno, The Pillars of Islam & Iman (Darussalam, 1966), 19.

(٣) المعتزلة هي المدرسة العقائدية التي أسسها واصل بن عطاء (توفي عام ٧٤٨م). وتقوم هذه المدرسة على فكرةٍ أساسية هي أن العقل يأتي قبل النقل. انظر:

Majid Fakhry, A History of Islamic Philosophy (New York: Colombia University Press, 1983), 44-65.

(١٧٦٧ - ٨٢٠م).<sup>(١)</sup> والطرق الصوفية في الصومال تنتمي إلى المدارس المعتدلة التي يعود أصلها إلى طريقة الغزالي، والتي كان لها تأثيرٌ جارفٌ في الصومال.<sup>(٢)</sup> ويعود صعود الطرق الصوفية كحركات منظمة في العالم الإسلامي إلى القرون الحادي عشر والثاني عشر والثالث عشر. فهناك، مثلاً، حركة القادرية التي وضعها الشيخ عبد القادر الجيلاني (١٠٧٧ - ١١٦٦م)، والشاذلية لشيخها أبو حسن الشاذلي (١١٩٦ - ١٢٥٨م). وتطوّرت طرقٌ أخرى لاحقاً مثل الأحمدية، التي وضعها أحمد بن إدريس الفاسي (١٧٦٠ - ١٨٣٧م). ارتبط الإسلام ارتباطاً وثيقاً بالتعليم، وقد نصّب التراث الإسلامي قيمة التعليم على رأس قيمه، وتحديدًا العلم الشرعي الذي لا غنى عنه لأداء الفروض الأساسية، والذي كان أولويةً وواجباً على كل مسلم. فكان أول ما نزل من وحي القرآن:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢) اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ (٣) الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ (٤) عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق: ١ - ٥].

بإدراكهم مسؤولية هذه المهمة الكبيرة، أخذ علماء الإسلام في الصومال على عاتقهم مشروع تعليم الشعب الرعوي/ البدوي غير المتعلم واستعملوا طرقاً خلاقة لتحقيق أهدافهم. فقدّموا نظاماً إبداعياً ومستداماً للتعليم يستعمل تقنيات تلائم البيئة التي كانوا يعملون فيها. وكان هذا النظام بسيطاً بكل مكوناته، مثل المعلم وطرق التعليم والمحتوى وبيئة التعليم والتمويل الذي كان متركزاً حول الذات والمجتمع. وكان هذا النظام مبنياً على منهج يبدأ بحفظ القرآن والعلوم الإسلامية الأساسية في الطفولة المبكرة. وابتكر الشيخ يوسف الكونين نظاماً رمزياً لكتابة الأبجدية العربية باللغة الصومالية في عام ١١٥٠م.<sup>(٣)</sup>

(١) المذاهب الفقهية الأربعة التي يتبعها المسلمون هي الحنفية، والمالكية، والشافعية، والحنبلية.

(٢) يعتبر أبو حامد الغزالي (١٠٥٨ - ١١١١) العالم الذي نجح بجمع التصوف والفقه في أعماله، حيث حاجج أن التصوف متجذّرٌ بالقرآن ومتوافقٌ مع الفكر الإسلامي.

(٣) يقع ضريح يوسف الكونين (أو كما يُعرف باسم Barkhadle - Aw) (وتعني بالعربية الأب المبارك)،

فكان ذلك لتسهيل مهمة حفظ هذه العلوم على شعبٍ لا يتحدث اللغة العربية. وكانت مواقع المدارس القرآنية متلائمة بيئياً وبُنيت من موارد محلية. إضافة لذلك، استخدم طلاب القرآن ألواحاً خشبيةً يمكن استخدامها من جديد وحبراً مصنوعاً من الحليب المخلوط بالفحم المطحون. وفّرت هذه المدارس فرصاً تعليمية مستدامة يسيرة الوصول والتكلفة على غالبية سكان القرى والبلدات والمدن. ويتحوّل المستوى الثاني من التعليم إلى المساجد، حيث يذهب الطلاب الذين تخرّجوا من المدارس القرآنية إلى المستوى الأعلى من التعليم الإسلامي. ويتمحور المستوى هذا حول علوم اللغة العربية والفقه والتفسير والحديث. ويمكن للراغبين بالاستمرار في التعلم الدراسة مجاناً عند علماء متطوعين، وكانت هذه الدراسات في معظمها في المراكز المدنية. وبعد ذلك يتم إرسال الطلاب الذين أبدوا التزاماً مميزاً كمبعوثين من مشايخهم أو شيوخ طريقتهم إلى بلداتهم الأصلية لنشر الإسلام. وقد أسّس القرآن لمفهوم البعثات:

﴿وَمَا كَانِ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ [التوبة: ١١٢].

كما أدّى بناء مراكز دائمة للتعليم الإسلامي إلى تمدن واستقرار الرعويين. ومن العلماء من يركّز على دراسة الفقه ويصبح قاضياً أو معلّماً، بينما يتسبب آخرون لأحد الطرق الصوفية. ويجمع آخرون بين دراستهم وبين التصوف منذ البدء، ويحرص هؤلاء على نشر المذهب الصوفي. وترتكز المرحلة التعليمية الثالثة على الصوفية بشكلٍ كامل، ويشرف عليها شيوخ

---

على بعد ٢٠ كم شمال شرقي هرجيسا. وعن التقاليد الشفهية المتمحورة حول يوسف الكونين، انظر السرد المفصّل:

I.M. Lewis, Saints and Somalis: Popular Islam in a Clan - based Society (Red Sea Press, 1998), 89-98.

وأيضاً:

I.M. Lewis, (ed.), Islam in Tropical Africa (London: Oxford University Press, 1966), 28.

الطرق الصوفية. وتركز الطرق الصوفية على تركية النفس تحت توجيه الشيخ. ويسعى مريدو الصوفية إلى التقرب إلى الله عبر تهذيب النفس وجهادها. وكانت الصوفية في الصومال امتداداً لظاهرة مشابهة في العالم الإسلامي مع خصوصية صومالية. ويُظهر الشكل التالي مراحل النظام التعليم التقليدي التي قد تتباين فيما يتبع المرحلة الأساسية بين التمسك المبكر بالصوفية أو الاستزادة العلمية.

التعليم الأساسي	المتوسط / الأعلى	التصوف
حفظ القرآن التعليم الإسلامي الأساسي	اللغة العربية الفقه التفسير الحديث	الدراسات الصوفية التطبيق العملي

#### جدول رقم (٢): النظام التقليدي للتعليم الإسلامي

وكانت بداية وصول التصوف إلى شبه الجزيرة الصومالية في بداية القرن الخامس عشر، وذلك مع قدوم ٤٤ عالماً إسلامياً من شبه الجزيرة العربية بقيادة الشيخ إبراهيم أبو زرباي عام ١٤٣٠م.<sup>(١)</sup> إلا أن إحياء وإصلاح الطرق الصوفية كان مشهوداً بشكل ملاحظ في الربع الأخير من القرن التاسع عشر وحتى منتصف القرن العشرين. فيقول البروفيسور سعيد سمتر أننا «نستطيع أن نقول عن الفترة بين عامي ١٨٨٠م و١٩٢٠م بأنها حقبة المشايخ في التاريخ الصومالي».<sup>(٢)</sup> ونقلت الحركة الإصلاحية هذه الصومال من التقوى الفردية والعبادات إلى إضفاء الطابع المؤسساتي والجماعي على الطرق والمنهجيات.<sup>(٣)</sup> ينتمي

(١) Abdurahman Abdullahi (Baadiyow), The Islamic Movement, 38.

(٢) Said Samatar, Oral Poetry and Somali Nationalism: The Case of Sayid Mohamed Abdulle Hassan (Cambridge: Cambridge University Press, 1982), 97

(٣) Scott Steven Rees, Patricians of the Banadir: Islamic Learning, Commerce and Somali Urban Identity in the Nineteenth Century (PhD thesis submitted to the Univer-

الشيخ الصوفي في الصومال لواحدٍ من ثلاث: الشيخ (المعلم والفقيه الإسلامي)، والمعلم (المعلم القرآني)، و«الأو» (الشخص الذي يملك معرفة بدائية بالعلوم الإسلامية. وكما يرجح المؤرخ المستشرق Spencer Trimingham، ربما يُرَجَّعُ إحياء الصوفية إلى ظهور مشايخ كاريزماتيين تمتّعوا بقدرتهم على جذب الناس للالتفاف حولهم.<sup>(١)</sup> إلا أن هذه السببية ليست كافيةً لتفسير الظاهرة التي يبدو أنها ارتبطت بسنة الإسلام بالتجدد على فترات دورية لتنهض بشكل دوري، كما يبيّن الحديث النبوي: «إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها أمر دينها.»<sup>(٢)</sup> إضافة لذلك، لعبت الطرق الصوفية دور منظمات المجتمع المدني بعد أن تراجعت الدول المسلمة، واستغلت حملات التبشير ذلك لتستهدف العديد من الشعوب من ثقافاتٍ مختلفة، وتحديدًا في أفريقيا وآسيا.

تُعرَف الطرق الصوفية بشكل رئيسي بمساعيها السلمية للإصلاح الاجتماعي - الديني عبر نشر الإسلام واستنهاض الروح.<sup>(٣)</sup> وبذلك، هيمنت هذه الطرق على الحياة الدينية، ووصلت إلى السكان في المناطق الريفية والمدنية. وبهذه الطريقة، لعب الشيوخ التابعين للطرق الصوفية دوراً أساسياً في إدارة شؤون المجتمع جنباً إلى جنب مع وجهاء المجتمع، وقاموا أيضاً بإنشاء مجتمعات إسلامية استقلت بذاتها، ودان قاطنوها بالولاء الكامل لشيخوخهم الصوفيين.<sup>(٤)</sup> ويُضاف إلى ذلك بأن الحركات الصوفية عرفت بأنها حركات لاسياسية في

---

sity of Pennsylvania, 1996), 306

(١) Trimingham, Islam in Ethiopia (Taylor & Francis, 1952).

أيضاً:

Rees, Patricians of the Banadir, 302-303

(٢) رواه أبو داود والحاكم والبيهقي. وهناك حديثٌ آخر يريه الحاكم: «لا يزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة».

(٣) قد تحتل الطبيعة السلمية للطرق الصوفية إذا ما تعرضت لاستفزازاتٍ خارجية كما في حالة الاستعمار الذي حاربه العلماء، ومثال ذلك سيد محمد عبد الله حسن، وأيضاً الصراعات العقائدية الداخلية مثل الصراع بين جماعة بارظيري وسلاطين جيليدي، والافتتال الحالي بين «الشباب» وطريقة «أهل السنة والجماعة» الصوفية.

(٤) تحديداً، كل الجماعات في الصومال، التي قدرها Lewis في الخمسينيات بأكثر من ٨٠ جماعة، تحت قيادة

جملتها، أي أنها لم تكن مهتمةً باقتحام المجال السياسي أو لا تشغل بالها به، ولكن هناك علامات استفهام تحيط بهذه الادعاءات. فلا يوجد في الإسلام فكرة اللاسياسة، إذ أن كل مسلم يجب أن يعمل بما يتماشى مع مبادئ الحق ويحارب ما هو باطل. العلماء المسلمون، بشكل عام، أخذوا على عاتقهم المسؤولية التي تُرسِيها هذه الآية:

﴿وَلَتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْعُرْفِ وَيَنهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٤].

كما أن الطرق الصوفية تملك السلطة الشرعية وتمارس السياسة، بمعناها الأوسع، على أنها النشاط الذي يُعمل به لحفظ وصيانة الأحكام العامة الذي يعيش الناس على أساسها. فبالمعنى التقليدي لمفاهيم السياسية، باتت العديد من الطرق الصوفية ومشايخها زعماء سياسيين لجماعاتهم على حساب الانتماءات والولاءات العشائرية، مع ظهور البعض بين الحين الآخر الذين يتمكّنون من الجمع بين سلطة الدين والدنيا في آنٍ معاً، ليكون هؤلاء شيوخاً صوفيين بارزين. ويؤكد البروفيسور سعيد سمر أن «ظهور التصوف المنظم سمح لهؤلاء الرجال الدينيين بممارسة سلطات مطلقة لم يألّفها غيرهم من ذوي السلطة العلمانية في سياسات القبائل المتشظية»<sup>(١)</sup> ويضاف إلى ذلك أن معظم مراكز التعليم الإسلامية كانت واقعةً في أماكن سكن في المناطق الزراعية وحول آبار المياه، والعديد منها تحوّل لاحقاً

---

شيخ، والعامل القبلي ليس له مساحة كبيرة. وأكثر من نصفها كانوا أحمديّة، والبقية توزعوا بالتساوي ما بين القادرية والصالحية (لاحظ هنا أن الصالحية من ضمن الأحمديّة، إلا أن هذا غير صحيح). انظر:

Lewis, Saints, 35.

إضافة لذلك، البروفيسور مختار أحصى ٩٢ جماعة في العشرينيات في المستعمرة الإيطالية، تسكن ما يقارب الخمسين منها في جوبا العليا، وثلاثون في بنادر، وأربعة في جوبا الدنيا، وثمانية في هيران. انظر:

Historical Dictionary of Somalia. African Historical Dictionary Series, 87 (Lanham, MD: Scarecrow Press, 2003), 127.

(١) Samatar, Said. "Poetry in Somali Politics", PhD Dissertation submitted to the North-western University, 1979, 192.



لقرى وبلدات ومدن. فكان للطرق الصوفية، بذلك، تحويل المجتمع الرعوي إلى مجتمعات مستقرة مرتبطة بالزراعة أو التجارة أو كليهما.<sup>(١)</sup>

وبحلول القرن التاسع عشر، لم يعد انتشار الإسلام في الصومال حصراً على الطرق الصوفية وحدها. فكان هناك مراكز تعليم إسلامي مستقلة، مثل جلعلسو في منطقة هيران، وروح في نوجال، وحافون في منطقة الشرق، ولم تكن هذه المراكز منتمية لأيّ طريقة صوفية. فعلى سبيل المثال، درس القاضي الشهير الشيخ عبد الله قوريو في جلعلسو وأصبح أحد قضاة «طريقة الدراويش» التي قادها سيد محمد عبد الله حسن (١٩٠٠ - ١٩٢١ م). فيما كانت روح الواقعة ٥٠ كم شمال بلدة جالكعيو، كانت مركز الحاج يوسف محمد فقه إدريس، معلم الشيخ علي مجرتين وبعض العلماء البارزين الآخرين. وظهر أيضاً مركز تعليم هافون هناك في وقتٍ لاحق،<sup>(٢)</sup> وقد كان هذا المركز مرتبطاً ارتباطاً وثيقاً بشبه الجزيرة العربية وبالمدرسة السلفية. وفي جنوب الصومال، كان هناك مركز الأشراف في سرمان، الواقع قرب بلدة حدر وبراي، الذي كان مركزاً لتعليم علوم الدين، حيث تخرج منه العديد من العلماء، كان منهم أبرز زعماء جماعة بارطيري، مثل شريف عبد الرحمن وشريف إبراهيم، وكان كلاهما من سرمان. هذا الصراع عُرف بين المؤرّخين باسمٍ مغلوط هو «الجهاد البارطيري»، وتحديدًا البروفيسور Cassanelli الذي أتى بهذا المصطلح. فلا يجب أن يُطلق مُسمّى الجهاد على الحروب الداخلية بين المسلمين. وكانت هذه تسميةً مغلوطةً استخدمتها جماعة بارطيري المسلّحة لتبرير حربهم مع المسلمين الآخرين في المنطقة. هذه العبارة مشحونةٌ بالمفهوم الأيديولوجي التكفير (القول بأن فلاناً قد خرج عن ملة الإسلام)، مما يستوجب مراجعته.<sup>(٣)</sup>

---

(١) Laitin, and Samatar, Somalia: Nation, 45.

(٢) Abdurahman Abdullahi (Baadiyow), The Islamic Movement, 67-71.

(٣) يُذكر بأن سلطان جليدي لم يُسمّه جهاداً، وإنما كان ببساطة يدافع عن مناطق نفوذه من «الوهابيين الدخلاء».

انظر:

Lee Cassanelli, The Shaping of Somali Society: Reconstructing the History of a Pastoral People, 1600-1900 (Philadelphia: University of Philadelphia Press, 1982), 136-139.

وكان هناك أيضاً محاولات إصلاحية مبكرة لتأسيس سلطنات إسلامية في جنوب الصومال خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر. فعلى سبيل المثال، وضعت جماعة بارطيري، التي تأسست عام ١٨١٩م على يد الشيخ إبراهيم يبرو، خطة طموحة لتأسيس النظام الإسلامي. وقامت الجماعة ببعض الإصلاحات الإسلامية مثل حظر التبغ وتجارة العاج والرقص الشعبي وفرضت ارتداء اللباس الشرعي على النساء، كما وسعت رقعتها لتصل أجزاءً من بكون، وباي، والأجزاء القريبة من شيبيلي السفلى عام ١٨٤٠م. وهدد حظر تجارة العاج المربحة، على وجه الخصوص، مصلحة التجار في المدن الحضرية مثل مركة، وبراي، ومقديشو. ويقول السفير صالح محمد بهذا الشأن: «اعتبر التجار حظر الجماعة لتجارة العاج حصاراً تجارياً ظالماً على بنادر، ورأوا فيه عداوة واضحة»<sup>(١)</sup> وقد استفز هذا السلوك التجار والقبائل في المناطق النهرية الداخلية ودفعهم للانضمام لحملة سلطنة جلدي على بارطيري، مركز الجماعة. وحشدت سلطنة جلدي جيشاً تألف من ٤٠ ألف رجل من مختلف القبائل في المنطقة، وأمرتهم بمداومة بارطيري وحرقها تماماً عام ١٨٤٣م.<sup>(٢)</sup> مثال آخر هو وصول الشيخ علي عبد الرحمن (مجرتين) (١٧٨٧ - ١٨٥٢م) إلى مركة بمئات الرجال والعتاد القوي، بهدف تأسيس إمارة إسلامية عام ١٨٤٦م، بعد أربعة أعوام من هزيمة جماعة بارطيري.<sup>(٣)</sup> ولم يتأخر رد سلطنة جلدي، وباء أتباع الشيخ علي الهزيمة في معركتهم مع قوات سلطنة جلدي عام ١٨٤٧م. وكان هنا التقاءً أيديولوجي واضح بين الشيخ علي وجماعة بارطيري - التوجه المسلح الجديد الذي برز في تلك الفترة بالعديد من البلدان الإسلامية. ومع تدمير جماعة بارطيري والمحاولات الفاشلة للشيخ علي مجرتين للاستيلاء على مركة، أجهضت أهداف الحركات الإصلاحية المبكرة إلى أن ظهرت حركة أكثر قوة

---

(١) Salah Mohamed Ali, Hudur and the History of Southern Somalia (Cairo: Nahda Publishing, 2005), 33

(٢) Abdullahi, The Islamic Movement, 68.

(٣) المصدر السابق، صفحة ٧٠.

وتنظيماً مع بداية الغزو الاستعماري، وهي حركة الدراويش، تحت قيادة شيخٍ كاريزماتي هو الشيخ سيد محمد عبد الله حسن.

واستمر نشاط الحركات الصوفية في الصومال بفضل الدعم الشعبي التي نالته، ولو أن النخب الحديثة التي لم تنتم لأي طريقة صوفية برزت هي الأخرى مع تطور التعليم الحديث والحركات الإسلامية الحديثة التي تجنبت الصوفية. وباختصار، كانت السمات الرئيسية للحركات الصوفية هي التالي: تبعية هذه الحركات للشبكات الصوفية الأوسع في العالم الإسلامي، واختصاصهم بسلطة مطلقة غلبت عليها أيضاً السلطوية، وعدم اعتماد نظام خلافة وراثي، فكان الشيخ الصوفي يعيّن خلفه خلال حياته، وكان معظم الشيوخ يختارون أبناءهم في معظم الحالات لاعتقادهم أن البركة موجودة فيهم، كما أن مريدي الطريقة كانوا يولون احتراماً كبيراً للابن انطلافاً من احترامهم لأبيه. ويتبع كل شيخ صوفي تسلسلاً صوفياً رسمياً يربطه بمؤسس الطريقة. ويكون اتباع الطريقة بضمّ المريد الجديد بعد مبايعته للطريقة بصورة مباشرة رسمية. ويتوجب على كلّ عضو أن يتبع سياسات وإجراءات الطريقة بما في ذلك ترتيب الأوراد. وأخيراً، يُطلق مسمّى الأخ على المريد لربطه بغيره من إخوانه (أبناء الطريقة) الموجودين في أرجاء العالم الإسلامي.<sup>(١)</sup>

عرفت الصومال طريقتين صوفيتين رئيسيتين هما القادرية والأحمدية. وقد تولدت عددٌ من التفرعات من كلّ من هاتين الطريقتين،<sup>(٢)</sup> فتفرّعت القادرية إلى الزيلعية، والرفاعية، والأويسية. وكان الشيخ عبد الرحمن الزيلعي (١٨١٥ - ١٨٨٢ م) هو من أسس الطريقة الزيلعية، وكان مركزها مدينة قلنقل التي تقع بالقرب من طججور في الصومال الغربية (الولاية

(١) Spencer Trimingham, Islam in Ethiopia (Taylor & Francis, 1952), 236-237.

(٢) لا يفرّق معظم الباحثين بين الطريقة الصوفية الأصلية وما يتفرّع منها. فيقول البعض بوجود ثلاث طرق صوفية بجعل الصالحية طريقةً منفصلةً عن الأحمدية، ويهمل البعض وجود الرفاعية. انظر:

David Laitin and Said Samatar, Somalia: Nation in Search of State (Boulder: West-view, 1987), 45.

الصومالية في أثيوبيا).<sup>(١)</sup> ويعود أصل الطريقة الرفاعية إلى عددٍ من الشيوخ في مقديشو كان منهم شريف عيدروس، وهو أحد مؤسسي الرابطة الإسلامية، أول منظمة إسلامية تم تأسيسها بعد الحرب العالمية الثانية.<sup>(٢)</sup> وتأسست الحركة الأويسية على يد شيخها الروحي أويس ابن أحمد البراوي (١٨٤٦ - ١٩٠٧م)، وكان مركزها بلد الأمين بالقرب من أفجوي الواقعة حوالي ٤٠ كم جنوب غربي مقديشو.<sup>(٣)</sup> ونشأت ثلاثة تفرعات من الطريقة الأحمدية في الصومال، هي الرحمانية، والصالحية، والدندراوية. وكان مولانا عبد الرحمن ابن محمود (توفي عام ١٨٧٤م) هو من أسس الطريقة الرحمانية، وأسس الشيخ محمد صلاح الطريقة الصالحية في العقد الأخير من القرن التاسع عشر، ولهذه الطريقة نفسها فرعان، هما الفرع الجنوبي الذي أسسه الشيخ محمد جوليّد الراشدي (توفي عام ١٨١٩م)، والفرع الشمالي الذي أسسه الشيخ سيد محمد عبد الله حسن (١٨٥٦ - ١٩٢١م). وأخيراً كان الشيخ سيد آدم هو مؤسس الطريقة الدندراوية التي انتشرت انتشاراً محدوداً في شمال الصومال.<sup>(٤)</sup>

(١) Bradford G. Martin, —Shaykh Zayla‘i and the nineteenth - century Somali Qadiriya, in: Said S. Samatar (ed.), In the Shadows of Conquest. Islam in Colonial Northeast Africa (Trenton, NJ: The Red Sea Press, 1992), 11-32.

(٢) Abdurahman Abdullahi, The Islamic Movement, 113.

(٣) هناك عدد من الأوراق القيمة التي كتبت حول الأويسية المتفرعة من الطريقة القادرية، منها:

Bradford G. Martin, —Shaykh Uways bin Muhammad al-Barawi, a Traditional Somali Sufi, in: G. M. Smith and Carl Ernst (eds.), Manifestations of Sainthood in Islam (Istanbul, 1993), 225-37., Said S Samatar, 1992. —Sheikh Uways Muhammad of Baraawe, 1847-1909. Mystic and Reformer in East Africa, in: Said S. Samatar (ed.), In the Shadows of Conquest. Islam in Colonial Northeast Africa (Trenton, NJ: The Red Sea Press, 1992), 48-74., and Christine Choi Ahmed, —God, Anti-Colonialism and Drums: Sheikh Uways and the Uwaysiyya. (Ufahamu: A Journal of African Studies, 17(2) 1989), 96-117.

(٤) Cabdirisac Caqli, Sheikh Madar: Asaasaha Hargeysa (biographical work on Sheikh

ولا بد من الإشارة، عند محاولة جمع الأجزاء المتفرقة للتاريخ المبكر للطرق الصوفية، إلى وجود مركزين إقليميين رئيسيين لتدريس العلوم الشرعية في الصومال خلال فترة ما قبل الاستعمار. وكان لهذين المركزين ارتباطات باليمن، وزنجبار، والسعودية، ومصر. كان المركز الأول في إقليم بنادر الذي يضم مدن مقديشو، وباراوي، ومركة، ووأرشيخ.

وشهدت هذه المدن وفود عدد من العلماء المسلمين المعروفين وأيضاً شيوخاً صوفيّين بارزين، حيث قام هؤلاء بنشر الإسلام بين عشائر هذه المناطق. وأسس هؤلاء الشيوخ أيضاً شبكات عشائرية تربطها بالطرق الصوفية. وكان الطلاب يسافرون إلى بنادر عبر الطرق التجارية التي تربط الإقليم بأقاليم الصومال الجنوبية والوسطى.<sup>(١)</sup> أما المركز الثاني فكان في مدن تاريخية واقعة في غربي الصومال (التي تُعرف الآن باسم الولاية الصومالية في أثيوبيا)، ومن بين هذه المدن هرر، وجكجكا والمناطق المحيطة بهما.

وعُرفت هذه المناطق بأنها مركز الطريقة القادرية وكان لهما أهمية خاصة كونها كانت موقع الشيخ مؤسس الطريقة الزيلعية التي تفرّعت من القادرية، وهو الشيخ عبد الرحمن الزيلعي. وكان العلماء المسلمون وطلاب العلم الشرعي يسافرون بين هرر، وجكجكا، والمناطق المحيطة بهما عبر الأقاليم الصومالية الشمالية والشمالية الشرقية التي تضم حالياً ما يُعرف باسم أرض الصومال، وأرض بونت. وكان هناك طرقاً أخرى أتت لاحقاً، ولكنها كانت أقل انتشاراً.

وانتشرت بذور مبادئ الطريقتين القادرية والأحمدية، وتفرعاتهما بالتوازي مع مراكز تدريس العلوم الإسلامية، عن طريق مريدي هذه الطرق.

---

Madar written in Somali Language, no date or publishing house).

(١) انظر الطرق التجارية في تاريخ الصومال المبكر:

Laitin and Samatar, Somalia: Nation, 9-10.

اسم الطريقة الصوفية	مؤسس الطريقة	مركز الطريقة
القادرية: الزيلعية الأويسية	الشيخ عبد الرحمن الزيلعي (توفي عام ١٨٨٢ م). الشيخ أويس البراوي (توفي عام ١٩٠٩ م).	قلنقل (داغبور). بلد الأمين (أفغوي)
الأحمدية: الرحمانية الصالحية (شمال) الصالحية (جنوب) الدندراوية	الشيخ عبد الرحمن محمود (توفي عام ١٨٧٥ م). الشيخ محمد عبد الله حسن (توفي عام ١٩٢١ م). الشيخ محمد جوليّد الراشدي (توفي عام ١٩١٨ م). الشيخ سيد أذن أحمد (النصف الثاني من القرن التاسع عشر).	بصرا (أفغوي). قوريوين (لاس عنود). ميرا وين (جوهر). بلدة حاحي وشيخ.

جدول رقم (٣): الطرق الصوفية في الصومال<sup>(١)</sup>

## دراسة حالات: دور الطرق الصوفية في التغيير الاجتماعي

تبيّن الأمثلة الثلاثة التالية دور الطرق الصوفية في ثلاثة مواقع مختلفة من الصومال.<sup>(٢)</sup>

فسنركّز على الشيخ منذر أحمد شروع (١٨٢٥ - ١٩١٨ م) في شمال الصومال الذي كان موجهاً

(١) هذا الجدول هو نسخة من الجدول الأصلي الذي نظمته المؤلف في كتابه الآخر:

The Islamic movement in Somalia: A Study of Islam Movement, 66

(٢) يمكن الرجوع إلى تفصيل أكثر في هذه الأمثلة الثلاثة:

Abdullahi, The Islamic Movement, 4466 - .

صوفياً، ومصلحاً اجتماعياً، وفقهياً. حفظ الشيخ مذر القرآن الكريم وتعلّم اللغة العربية في صغره في إحدى المدارس القرآنية الرعوية، وكانت هذه مدارس متنتّلة تتبع مواسم الرعي. وكانت مدينة بربره ميناءً تجارياً له ارتباطاته بمدينة إسلامية تاريخية هي هرر، وكان العلماء، والطلاب، والتجار يتنقلون باستمرار بين هاتين المدينتين. فكانت بربره مركزاً تجارياً، وكانت هرر أحد مراكز تدريس علوم الدين. وتكفّلت مدينة بربره بتزويد الماشية بمواقع الحامية البريطانية في مدينة عدن بعد أن استولت بريطانيا عليها عام ١٨٣٩م، وكانت هذه فرصة ثمينة استغلها الرعويين في تلك المدينة التي أصبحت أكثر ثراءً، وازدهرت الحركة التجارية، بذلك، بين بربره وهرر، وهو ما استقطب العديد من الصوماليين للعيش في تلك المنطقة قصداً للتجارة، والعمل، وأيضاً لدراسة العلوم الإسلامية. ووفقاً لـ Richard Burton، أحد ضباط الاستخبارات البريطانية، بلغ عدد الصوماليين القاطنين في هرر ما يقارب ٢٥٠٠ صومالياً، وشكّلوا فقط ثلث العدد الكلي لسكان المدينة.<sup>(١)</sup> وكان هناك ثلاثة علماء يُشار إليهم بالبنان في مدينة هرر، اثنان منهم كانوا من الصومال، وهما حاج جامع وكبير خليل الذي ينحدر من مدينة بربرة، وقد تكفّل برعاية عددٍ كبيرٍ من الطلاب الذين جاؤوا من هذه المنطقة. كان والد الشيخ مذر أحد الرعويين الأغنياء الذي عمل بالتجارة في منطقة بربره، وكان قادراً على التكفل بتعليم ابنه في هرر. فدرس الشيخ مذر هناك لمدة ٢٠ عاماً، وصار أحد المرجعيات الإسلامية وأحد شيوخ الطريقة القادرية. وطلب منه شيخه كبير خالد أن يعود إلى مدينته لنشر الإسلام، والطريقة الصوفية، وحلّ النزاعات بين العشائر التي كانت تسبّب المشاكل على الطرق التجارية بين بربره وهرر.<sup>(٢)</sup> وبالفعل انصاع الشيخ مذر لأوامر شيخه كبير خالد،

(١) Richard F. Burton, First Footsteps in East Africa (BiblioBazaar, 2009), 139.

أيضاً:

Caqli, Sheikh Madar, 26.

(٢) Abdullahi, The Islamic Movement, 48-49. 35 The commune and the mosque established

وانتقل إلى مركز نزاعات العشائر، وأسس هناك جماعة وين (الجماعة الكبيرة) التي صارت أحد مراكز تدريس العلوم الشرعية في ستينات القرن التاسع عشر. وتحول ذلك المركز لاحقاً إلى مدينة هرجيشا، عاصمة أرض الصومال.<sup>(١)</sup> واستقطب الشيخ مذر أيضاً علماء آخرين، وبني منازل تُؤوي أبناء هذا المركز الجديد، وبني مسجده الكبير عام ١٨٨٣. وأصبح هذا المركز نقطة بداية ازدهار جديد للعلوم الإسلامية، وعمل المجتمع بأحكام الشريعة، وتم إصلاح الخصومات بين العشائر. واستفاد الشيخ مذر مما اكتسبه من خبرات في هرر، وجلب معه إصلاحات جديدة مسّت حياة المجتمعات الرعوية، فقام ببناء مراكز سكنية دائمة غيرت من أسلوب الحياة البدوية القائم على التنقل باستمرار لإيجاد الأمطار وموارد الرعي. وقام أيضاً بالمؤاخاة بين أفراد العشائر المختلفة ليغيّر ثقافة الحياة العشائرية القائم على الولاء للعشيرة الواحدة. وقام ثالثاً بتوجيه أتباعه إلى الزراعة، ليغيّر أيضاً من أسلوب حياة الرعاية البدوية. ولا تزال آثار مساهمات الشيخ مذر في الزراعة واضحة بالنظر إلى الكتل الزراعية في قطاعات جبلي وبوراما، غربي هرجيشا.<sup>(٢)</sup>

وهناك حالة أخرى يمكن دراستها في الأقاليم الوسطى من أرض الصومال، وتحديدًا الشيخ داوود علسو الذي يُعدّ مثلاً آخر على الدور التي لعبته الطرق الصوفية في تأسيس المراكز المدنية وتعليم الناس. رحل الشيخ داوود في صغره عن مدينته في منطقة عيل طير الواقعة على بعد ٣٠٠ كم من شمالي مقديشو. وسافر الشيخ داوود إلى بنادر رغبة في دراسة العلم الشرعي، وحفظ القرآن الكريم في برمالي الواقعة على بعد ١٠٠ كم من شمال مقديشو، ومن ثم درس لفترة من الزمن في عجارن القريبة من مركة. وكانت قرية عجارن أحد مراكز تدريس العلوم الشرعية التي أسسها الشيخ المعروف علي مجرتين الذي هاجر من

---

(١) لا تزال المقاطعة والمسجد الذي بناه الشيخ مذر فاعلين حتى اليوم، وهو ما يؤكّد على التأثير الفارق لعلماء المسلمين على المجتمع الصومالي.

(٢) انظر:



إقليم مدج. وانضم الشيخ داوود إلى المدرسة الإسلامية التي تبعت الشيخ علي ماي، وتخرج الشيخ داوود من تلك المدرسة. وبعد تخرجه، اختاره الشيخ علي ماي سفيراً له وأرسله إلى عشيرته، وعيسله، ورافق الشيخ داوود في مهمته اثنين من طلاب الشيخ علي ماي هما الحاج عمر مودي ومعلم عثمان كلمبي. وأوصى الشيخ مبعوثيه الثلاثة قبل سفره بقوله: «لقد جعلت ابني داوود العنق، وأنتما ذراعاه.» ويعني بأن الشيخ داوود كان أمير المهمة ورئيسها، والشيخان الآخران هما ملازماء. وحلّت هذه البعثة في بلدة مريج، حيث أوصاهم الشيخ علي، وكانت البلدة واقعة على ساحل المحيط الهندي.<sup>(١)</sup> وأسست البعثة أولاً مسجداً تماشياً مع التقليد الإسلامي، قبل أن تؤسس محكمة شرعية لحلّ نزاعات المجتمع، وقامت البعثة أيضاً بتأسيس برامج تعليمية ورسمت فجراً جديداً لحكم إسلامي في تلك المنطقة. وتولّى الشيخ عمر مودي أمور القضاء في المحكمة الجديدة، فيما توجه معلم عثمان إلى فتح أول مدرسة قرآنية. وبدأ الشيخ داوود بعملية حشد المجتمع واللقاء بشيوخ العشائر في مهمته الجديدة. ورتّب الشيخ داوود اجتماعاً عاماً للعشائر في مريج، وطلب منهم الاغتسال معاً في المحيط لتطهير أجسادهم كما جاء في القصة المعروفة باسم Maalinta Bad-galka (يوم دخول البحر). وكان هذا حدثاً مشهوداً أريد منه تطهير أجساد الناس وثيابهم لتحقيق شرط الطهارة (الغسل والوضوء) الذي لا يمكن تأدية شعيرة الصلاة دون تحقيقه في الدين الإسلامي.<sup>(٢)</sup> وكان الشيخ داوود يأثم في الناس في الصلوات، وعلم الناس الأدعية الواردة

(١) تقول القصة الشعبية لبلدة مريج بأن الشيخ علي ماي قال لمبتعثيه بأن يسيروا على طول سواحل المحيط حتى يجدون غزلاً لا تهرب منهم، وهناك عليهم حلّ رحالهم. فتم تأسيس بلدة مريج في منطقة الغزلان تلك، ولا تزال قائمة حتى اليوم، ويمكن للزائرين رؤية أطلالها. للمزيد من التفاصيل، انظر:

Abdullahi, The Islamic Movement, 58.

ويظهر بأن قصة تأسيس المدينة على يد بعثة الشيخ داوود فيها شيء من اللبس. فقد كانت المدينة قائمة قبل وصول الشيخ داوود، وكانت منفذاً تجارياً لسلطنة أجوران.

(٢) الشيخ عثمان حدغ، في مقابلة أجراها مؤلف الكتاب بتاريخ ١٢ ديسمبر ٢٠١٤، في العاصمة الصومالية مقديشو.

في الدين، ودربهم على الصلاة. ومنذ ذلك الحين، تقلّد الشيخ داوود منصب أمير عشيرته وتولّى مسؤوليه تعليمهم. وأعلن العمل بأحكام الشريعة عوضاً عن الأحكام التقليدية، المعروفة باسم الحير، وقام الشيخ داوود بحل النزاعات بين العشائر إمّا عن طريق المصالحة أو القضاء، وقام بإعادة بناء السلطات العشائرية، وأسس جيشاً قوياً. فتمكّنت الإمارة من صدّ تقدم سلطنة هوبيا، التي كان يحكمها السلطان علي يوسف، من الشمال، وقوات الدراويش من الغرب. وبقيت البنية العشائرية الجديدة التي أقامها الشيخ داوود معمولاً بها حتى اليوم، كما أن مراكز تدريس العلوم الإسلامية لا تزال تخرّج عدداً كبيراً من العلماء في كل عام.

وفي الأقاليم النهرية من الصومال، يدرس هذا الفصل البلدة التي أسّسها الشيخ بشير في إقليم شبيلي الوسطى. وكانت هذه الجماعة واحدة من أصل ١٥ جماعة استقرت على ضفاف نهر شبيلي. مؤسس هذه الجماعة هو الشيخ بشير حاج شعيب الذي ترك جماعة معروف، الواقعة في منطقة بولو - بورت في إقليم هيران على إثر وباء فتاك عمّ المنطقة في عامي ١٩١٧م و١٩١٨م.<sup>(١)</sup> وخلف الشيخ حنفي (توفي عام ٢٠٠٢) الشيخ بشير بعد وفاته على رأس هذه الجماعة وسار على خطى التقاليد التي وضعها شيخه. ويتم، عادةً، تعيين مجلس من أربعة أعضاء يُسمّون شروط (Shuruud) يساعدون شيخ الجماعة في الشؤون الإدارية. والجماعة نفسها هي عبارة عن مقاطعة صغيرة يعيش أبناءها وفقاً لمجموعة من القواعد ونظام أساسه هو القيم الإسلامية. فعلى سبيل المثال، يجب على جميع أبناء المقاطعة حضور صلوات الجماعة وصلاة الجمعة في مسجد الجماعة، ويُعاقب أي إنسان يتخلّف عن ذلك بنفيه من الجماعة.<sup>(٢)</sup> ويتولّى شيخ الجماعة مهماتٍ مثل حل النزاعات التي تنشأ في المجتمع، وتوفير الخدمات القانونية، وكتابة عقود الزواج، وأيضاً إدارة المناسبات مثل احتفالات المولد النبوي، واحتفالات العيد، والاحتفالات التي تقام في ذكرى وفاة

---

(١) أحمد رشيد في مقابلة عبر البريد الإلكتروني أجريت بتاريخ ١٨ نوفمبر ٢٠٠٩.

(٢) شروط الانتساب إلى الجماعة هي: (١): قبول الطريقة الصالحية، و(٢): الحصول على تركية ثلاثة أعضاء، و(٣): العهد بالامتنال بنظام القيم وتنظيمات الجماعة.

الشخصيات الهامة، والتي تعرف باسم زيواره (Siyarro)، وغير ذلك. ويُعرف أبناء المجتمع المحلي باسم الأنصار، أمّا الوافدون إلى هذا المجتمع من الخارج فيُعرفون باسم المهاجرين، ويُقصد بهذه التسميات محاكاة تجربة النبي ﷺ. وعلى النقيض من الجماعة في شمال الصومال، التي حوّلت البدو الرحل إلى مجتمعٍ مستقر، والرعاة إلى مزارعين، عُرِفَت مجتمعات الجنوب بأنها مجتمعات زراعية مستقرة. ولكن تبقى الغاية المشتركة بين كل هذه الجماعات هي مهمة تأسيس مجتمع يتجاوز حدود العشيرة الواحدة ويكرّس ولاءه بصورة رئيسية للقائد المسلم.<sup>(١)</sup> وتوجّهت مجتمعات الجماعة التي قامت على ضفاف الأنهار، جوبا وشبيلي، بصورة واضحة إلى ثقافة توحيد القبائل، والتخلي عن فكرة استقواء عشائر الأغلبية على عشائر الأقلية، وانتشر بينهم أيضاً الزواج بين العشائر.

ومما استعرضناه من الحالات، يتبيّن بأن الطرق الصوفية وضعت الأسس الحضارية التي أخذت بكثيرٍ من أبناء المجتمع الصومالي من حياة الرعي والبدوية إلى مجتمعات مستقرة قامت بصورة رئيسية على نظام توحيد العشائر الذي تجاوز مبدأ الولاء الضيق للعشيرة الواحدة. وكان تعليم مبادئ الإسلام هي محور المهام التي كُلف بها العلماء، فضلاً عن إحياء التدين، وبناء السلام وحل النزاعات بين المجتمعات التي تعادي بعضها. وساهمت الطرق الصوفية بصورة كبيرة في إدخال عددٍ كبيرٍ من الناس إلى الإسلام من قاراتٍ مختلفة، ولعبوا أيضاً دوراً إضافياً يُعدّ في الحالات الاعتيادية دور العالم. وكان للحركات الصوفية في الصومال فضل سنّ أربعة إصلاحات حضارية أخذها عنهم في بعض الأحيان بعض العلماء الآخرين الذين لم يتبعوا الطرق الصوفية. وغيّرت هذه الإصلاحات أسلوب حياة المجتمعات الصومالية بصورة جذرية. عمدت الطرق الصوفية إلى القيام بأنشطة رمزية تحتل موقعاً حساساً في ثقافة الناس، كما أنها تملك طرق حشدٍ إبداعية، وهو ما يساعدها على كسب تقبل المجتمعات والعمل داخلها. وشهدت المراحل المبكرة من الإصلاح

---

(١) جيلاني حنفي في مقابلة أجراها المؤلف بتاريخ ٢١ ديسمبر ٢٠٠٩، في هارجيشيا الواقعة في أرض الصومال.

الاجتماعي إقامة احتفالات جماعية تهدف إلى الجمع بين البدو الذين لم يكونوا سيجمعون لولا هذه المناسبات.

فسنّ الشيوخ الأوائل للطرق الصوفية سنة إقامة مناسبات سنوية لتخليد ذكرى الأسلاف المشتركين (سواء الأسلاف القرييين أو الممتدين). وعُرف هذا البرنامج باسم حس (Xus) الذي تهدف إلى جمع العشائر المتفرّعة عند شهود أسلافهم والدعاء لهم. وجميع أبناء العشائر، استطاع الشيوخ الصوفيين حلّ المشاكل، وتعزيز برامج تدريس العلوم الإسلامية، وتولي مواقع قيادية في كثيرٍ من الشؤون الاجتماعية. وتأسست بعد ذلك تدريجياً برامج أخرى لتشريف ذكرى المعلّم، أو الشيخ، أو الشيخ الصوفي في المجتمع، وعرفت باسم زيّاره (Siyaro). وكان أساس هذا البرنامج هو زيارة ضريح الشيخ أو العالم سنوياً في ذكرى وفاته، حيث يتجمّع على قبره جميع طلابه، ومن ثم يتلون القرآن ويدعون له. وهناك أيضاً المناسبات الإسلامية مثل المولد النبوي وعيدي الفطر والأضحى. وتشهد هذه الاحتفالات ترتيل ورد الذكر التي تُؤدّي بطريقة أقرب إلى قصائد دينية بأسلوب يغلب عليه التناغم والأداء الفني، ويرافق ذلك أيضاً غير ذلك من الطقوس. ويُتلى القرآن أيضاً بصورة جماعية، بما يُعرف باسم السباعية السبع، ويُقصّد بها سبعاً من القرآن، وهي صورةٌ تعبديةٌ مهمةٌ تمثّل اختباراً لطلاب المدارس القرآنية يُظهرون فيها قدرات حفظهم وأداءهم.<sup>(١)</sup> ويُتلى القرآن أيضاً بقصد شفاء المريض، وهي سنةٌ أقرّها النبي ﷺ.<sup>(٢)</sup> كما أن القرآن يُتلى عند قبور الوالدين المتوفيين والشيوخ المبجلين مع الدعاء لهم بأن يغفر الله لهم ويرحمهم ويعفو عنهم. ويتكلّف مشايخ الصوفية أيضاً مسؤولياتٍ أخرى مثل حل النزاعات، وكتابة عقود الزواج، وغير ذلك من

---

(١) «Subac» مشتقة من رقم سبعة بالعربية، ويُقصّد بها أجزاء القرآن السبعة التي تتلى أسبوعياً. وهي واحدٌ من بين عدة طرق لترتيل القرآن في الصومال. وفيها يجلس حافظو القرآن في حلقة ويتلون القرآن معاً.

(٢) هناك عددٌ من الآيات والأحاديث التي تؤكد على وجود بركة الشفاء في بعض الأدعية، ومنها: ﴿وَنَزَّلْنَا الْقُرْآنَ مَاهُ شِفَاءً وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ...﴾ [الإسراء: ٨٢]. وأحد الأدعية التي وردت عن النبي بقصد الشفاء هي: «أذهب الباس رب الناس، اشف وأنت الشافي، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً.» (البخاري، رقم: ٦٥٧٥، مسلم، رقم: ٢١٩١).

الخدمات الدينية. وتخلق هذه المناسبات حساً من روح الجماعة، وحساً من الانتماء والدعم المشترك بين أتباع الطرق الصوفية. وتخلق أيضاً شبكاتٍ تتجاوز حدود العشيرة الواحدة، وهو ما يسمح أيضاً بتقوية العلاقات التجارية وتعزيز شوكة العائلة بزواج أبناء العشائر من بعضهم بعض.

وكان برنامج الإصلاح الثاني هو تأسيس مراكز لتدريس كافة العلوم الدينية، مثل مدارس القرآن، ومراكز التعليم العالي، وحلقات الصوفية. ويقوم نظام التعليم عادةً على إعالة الطالب لنفسه مع مساهمة المجتمع أيضاً في دعم الطلاب، كالمنح التي تُعطى للطلاب الذين جاؤوا من عائلاتٍ فقيرة أو من أماكن بعيدة. وتشمل هذه المنح توفير تعليمٍ مجانيٍّ للطلاب يتكفل به العالم، وإعالة الطالب، وهي مسؤولية تقع على عاتق المجتمع. ويُعرف هذا النظام باسم إعاشة طالب العلم (Jilidda Xer - cilmiga)، ويكون على أبناء الجماعة توفير الطعام للطلاب. وقامت الطرق الصوفية أيضاً ببرنامج إصلاحٍ ثالث هو تأسيس مراكز سكنية دائمة وتحويل الناس من النظام الرعوي البدوي إلى نظامٍ مدني، بعد أن قامت حياتهم على الترحال المستمر إلى حيث يكون المطر والرعي. وتأسست بذلك القرى، والبلدات، والمدن. وتطوّرت أيضاً ثقافة الزراعة بعد أن كان يزدريها البدو «النبلاء»، وقامت أيضاً الشبكات التجارية مع المراكز المدنية الأخرى. فكانت بداية الحضارة الحقيقية بإقامة المراكز السكنية والاعتماد على الزراعة، وتحديداً زراعة الحبوب التي أنتجت كمياتٍ غزيرة من الغذاء يمكن تخزينها والاتجار بها. وكما يقول H.G. Wells «الحضارة هي فائض الزراعة».<sup>(١)</sup> أما البرنامج الإصلاحي الرابع فهو تقوية التلاحم بين أبناء العشائر المختلفة تحت رابطة الأخوة، وهو ما غير الثقافة القائمة على الولاء للعشيرة الواحدة. فقام نظام انتماءٍ جديدٍ خلا من التمييز ضد عشائر الأقليات، وهو ما كان مشابهاً لمفهوم الأمة الذي يقوم على الأخوة والتكافل تكون فيه السلطة والأمر على أساس التقوى. وفي هذا السياق، يمكن ملاحظة أن

---

(١) H.G. Wells, The World Set Free: A Story of Mankind. (Macmillan and Co. Ltd, 1914), 194.

معظم الشيوخ الصوفيين الأوائل كانوا من عشائر كانت تُعدّ من الأقليات في الصومال. لقد غيّر التمدن الصوفي النظام العشائري وغرس في نفوس أبناءها الإيمان بمبادئ الإسلام، مثل السلام، والإحسان، والأخوة. وبهذا، لم تقم الصوفية بإبطال الانتماءات العشائرية، بل قطعت غصون ولأوائها البدائية وطبيعتها المفرقة.

## الاستعمار وأثره في إعادة تشكيل المجتمع الصومالي

بدأت المرحلة الثانية من إعادة تشكيل المجتمع الصومالي بوصول القوى الاستعمارية إلى شبه الجزيرة الصومالية وإدخال مجتمعات المنطقة في مستعمراتها. ففي مؤتمر برلين، الذي أقيم في عامي ١٨٨٤ - ١٨٨٥ م، تمّ استباحة القارة الأفريقية وتوزيعها وتقسيمها بين قوى أوروبية مختلفة، وكان ذلك محنةً قاسيةً تجرّعها المجتمع الصومالي. وانتهى مؤتمر برلين إلى توزيع شبه الجزيرة الصومالية على أربع قوى هي إيطاليا، وبريطانيا، وفرنسا، وأثيوبيا. وعمدت القوى الأوروبية الثلاث إلى إضفاء طابع الشرعية على مستعمراتها بتوقيع اتفاقيات مختلفة مع السلطنات الصومالية مع توسع رقعة الإمبراطورية الأثيوبية في الشرق لتستولي على مناطق يقطنها الصوماليين بالقوة. وتباينت المنهجيات الإدارية التي ارتكز عليها الإيطاليون والبريطانيون في مستعمراتهم الصومالية، ففضّلت بريطانيا حكم مستعمراتها بطريقة غير مباشرة، أما إيطاليا فقد عملت بصورة مباشرة أكثر في إدارتها لشؤون الحكم في مستعمراتها. فعلى سبيل المثال، بنت إيطاليا مستعمرتها الصومالية عبر عقد اتفاقيات مع القوى المحلية عن طريق شركات تجارية.<sup>(١)</sup> وتمثّل هدف إيطاليا في حملاتها الاستعمارية، وفقاً لـLuigi Giglia، «بثلاثة عناصر رئيسية: الحكم المباشر، والعنصرية، والاستعمار الديمغرافي».<sup>(٢)</sup> وتلخّصت الدوافع الاستعمارية الإيطالية أيضاً بثلاثة جوانب هي تخفيف

(١) على سبيل المثال، كانت الشركة الإيطالية التي تولّت إدارة بنادر هي شركة فيلوناردي (١٨٨٩ - ١٨٩٣ م).

(٢) Poalo Tripodi, The Colonial Legacy in Somalia: Rome and Mogadishu: from Colonial Administration to Operation Restore Hope (Macmillan Press Limited, 1999), 5.

العبء السكاني على الدولة الإيطالية، وتصدير «المهمة الحضارية الرومانية» للصوماليين، ورفع مقام إيطاليا عبر استعمار بلدان ما وراء البحار. وكان أول هذه الاتفاقيات في بنادر عام ١٨٨٦م تحت السيادة الشكلية التي فرضها سلطان زنجبار، وتبعتها سلطنة هوبيا تحت قيادة يوسف كينديد في عام ١٨٨٨م. وعُقدت اتفاقيةً مشابهةً مع سلطان عثمان في سلطنة مجرتين عام ١٨٨٩م. وقامت إيطاليا بحلّ اتفاقيات الوصاية هذه، من طرفٍ واحد، في عام ١٩٢٥م. <sup>(١)</sup> واشترت إيطاليا إقليم بنادر الذي كان تحت الوصاية الشكلية لسيد برقش في عام ١٩٠٥م. <sup>(٢)</sup> واعتمد البرلمان الإيطالي بتاريخ ٥ أبريل / نيسان ١٩٠٨م قانوناً أساسياً لتوحيد جميع أراضي جنوب الصومال تحت اسم الصومال الإيطالي (Somalia Italiana). واستعمرت إيطاليا المزيد من الأراضي الصومالية بصورةٍ تدريجية خلال حقبة الحكم الفاشي، وتحديداً تحت حكم المحافظ Maria De Vecchi الذي جلس على رأس المستعمرة بتاريخ ١٥ كانون الأول ١٩٢٣م، وأتمّ تأسيس مستعمرةٍ إيطاليةٍ كاملة الأركان في عام ١٩٢٧م. <sup>(٣)</sup> وكانت آخر أرضٍ استحوذت عليها المستعمرة الإيطالية في الصومال هي جوبالاند، وكان هذا القرار لمكافأة إيطاليا على الانضمام لقوات التحالف في الحرب العالمية الأولى. ووفقاً

---

(١) بلغ الراتب السنوي الذي يُصرف للسلطان ١٢٠ ألف دولار بحسب:

Salah Mohamed, Hudur, 3.

أيضاً:

Mohamed Osman Omar, Somalia: Past and Present (Somali Publications Pvt. Ltd.), 53.

(٢) وافقت إيطاليا على دفع ١٤٤ ألف باوند لسلطان زنجبار. انظر:

Mohamed Osman Omar, Ibid., 63.

(٣) كان تأسيس أول مستعمرة إيطالية مكتملة خلال الحكم الفاشي، بعد الاستيلاء على آخر سلطنة صومالية مستقلة، واستسلام سلطان عثمان، حاكم مجرتين بتاريخ ٦ نوفمبر ١٩٢٧م. انظر:

Robert Hess, Italian colonialism (University of Chicago Press, 1966), 156.

لمعاهدة فرساي، انتهت الحرب رسمياً بين ألمانيا وقوى التحالف على إثر توقيع المعاهدة بتاريخ ٢٨ يونيو ١٩١٩ م.<sup>(١)</sup>

وقامت بريطانيا هي الأخرى بتوقيع عددٍ من المعاهدات مع عشائر مختلفة في شمال الصومال، كان أولها الاتفاقية التي وقّعتها مع سلطنة وارسنجلي التي كان يحكمها محمود علي شري في عام ١٨٨٨ م وضمت السلطنة ما يُعرف الآن باسم محافظات سول، وسناج، وعين.<sup>(٢)</sup> ووقّعت عشائر أخرى كانت تسكن أرض الصومال اتفاقياتٍ مشابهة. وبهذا تمّ الإعلان رسمياً عن محمية أرض الصومال عام ١٨٨٧ م، وتم رسم حدودها بصفة رسمية مع الصومال الفرنسية (جيبوتي)، وأثيوبيا، والصومال الإيطالي في عام ١٨٨٩ م. وتولّت مستعمرة الهند البريطانية في البداية أمور الحكم في المحمية حتى عام ١٨٩٨ م، حينما تولّى مكتب الشؤون الخارجية (١٨٨٧ - ١٩٠٥ م)، وخلفه مكتب الشؤون الاستعمارية في عام ١٩٠٥ م. وخاضت المحميات الصومالية حرباً مع حركة الدراويش بدأت في عام ١٩٠٠ م، وكان يقودها قائدٌ كارزماتي هو سيد محمد عبد الله حسن، وانتهت الحرب في فبراير ١٩٢٠ م.<sup>(٣)</sup>

(١) Roland Anthony Oliver, History of East Africa, Volume 2. Clarendon Press, 1976, 7.

(٢) World Heritage Encyclopedia, Mohamoud Ali Shire (World Heritage Encyclopedia, no publishing date).

متاح على الرابط:

[http://www.ebooklibrary.org/articles/eng/Sultanate\\_of\\_Mohamoud\\_Ali\\_Shire](http://www.ebooklibrary.org/articles/eng/Sultanate_of_Mohamoud_Ali_Shire)

(تم الوصول بتاريخ ١٩ مارس ٢٠١٧).

(٣) بعد فشل القوات البرية البريطانية بهزيمة دولة الدراويش، أرسلت بريطانيا ١٢ من مقاتلاتها الجوية الملكية لأرض الصومال مع بدء البعثة الخامسة. وبدأت الحملة مطلع يناير ١٩٢٠، وانتهت بتاريخ ٩ فبراير ١٩٢٠، عندما قصفت القوات الملكية الجوية مدينة تليح عاصمة دولة الدراويش والتي احتلت بعد ذلك. لم ترّ قوات الدراويش طائرةً من قبل، وبثّ الرعب بينهم وعمّتهم الفوضى. وهرب سيد محمد إلى أوجادين حيث مات هناك بتاريخ ٢١ ديسمبر ١٩٢٠ عن عمرٍ ناهز ٦٤ عاماً. وكانت هذه هي المرة الأولى التي استخدمت فيها القوات الجوية في أفريقيا، وقد تعلّمت الدول الأخرى دروساً استراتيجية من هذه التجربة بعد ذلك. انظر:

Douglas Jardine, The Mad Mullah of Somaliland (London: 8vo., 1923).



ووقعّت فرنسا أيضاً معاهدات مختلفة مع سلاطين عيسى وعفر في أقصى شمال غرب الصومال، التي كان تنحدر من العرق الصومالي، بين عامي ١٨٨٣م و١٨٨٧م، وأعلنتها فرنسا مستعمرةً فرنسية تحت حكم Léonce Lagarde الذي لعب دوراً بارزاً في توسعة رقعة النفوذ الفرنسي في قرن أفريقيا.

يقلّ تأريخ الاستعمار من أهمية شبه الجزيرة الصومالية التي تربط بين آسيا وأفريقيا وأوروبا عبر ممرّات مياه المحيط الهندي، والبحر الأحمر، وقناة السويس. ويُخيّل لمن يقرأ مطبوعات التأريخ الاستعماري بأن الصومال لم يكن لها أي أهمية تجذب المستعمرين. وادّعى المستعمرون بأن اهتمامهم بالصومال كان يقتصر على اعتبارها حجرةً أخرى على سلم زحفهم ونقطة ربط لحماية واستعمار مواقع جغرافية حيوية أخرى. فادعت بريطانيا، مثلاً، أن غايتها الأساسية في إقامة محمية أرض الصومال هي توفير اللحوم لمحطات مستعمرة الهند البريطانية في عدن، والتي احتلتها بريطانيا عام ١٨٣٩م. وقد سُمّيّت الصومال بالفعل بأنها «متجر لحوم عدن».<sup>(١)</sup> وشملت أهداف بريطانيا الأخرى في الصومال، كما يُبيّن البروفيسور عبدي سمر، «حماية تجارة العبيد، وصدّ نفوذ القوى الأجنبية».<sup>(٢)</sup> إلا أن السجلات التاريخية تظهر اهتماماً بريطانياً مبكراً بالأجزاء الشمالية من الصومال عندما قامت بريطانيا بعقد اتفاقيات تجارية مع عشائر المدن الساحلية منذ عام ١٨٢٧م.<sup>(٣)</sup> وادعت فرنسا بأن اهتمامها بالساحل

---

(١) Ahmed Samatar, *Socialist Somalia: Rhetoric and Reality* (London: Zed Books, 1988), 16.

(٢) Abdi Ismail Samatar, *The state and rural transformation in Northern Somalia, 1884–1986* (Madison: University of Wisconsin Press, 1989), 31.

(٣) رست سفينة Mary Anne في أبريل ١٩٢٥م في ميناء بربره. وتعرّضت السفينة، التي كانت تبحر تحت قيادة الكابتن Linguard، لهجومٍ من الصوماليين المحليين. وفي عام ١٩٢٧م وصلت بعثةٌ مؤلفة من السفينتين Tamar و Pandora إلى بربره وأكرهت السكان المحليين على توقيع معاهدة بتاريخ ٦ فبراير ١٨٢٧م.

انظر:

Mohamed Osman, *Somalia: Past and Present* (Publications Pvt. Ltd, 2006), 2.

أيضاً:

الصومالي، الذي يُعرَف اليوم باسم جمهورية جيبوتي، كان هدفه بناء مرافق فحم لسفنها في طريق سفرها إلى المستعمرات الفرنسية في الهند الصينية ومدغشقر. وهكذا استولت بريطانيا وفرنسا على أجزاء من الأراضي الصومالية وأطلقت عليها تسمية محمية بريطانيا الصومالية (١٨٨٥م)، والصومال الفرنسية (١٨٨٧م)، واعترفت كلا الدولتين بمستعمرات الدولة الأخرى ورسمت بينهما حدوداً بصفة رسمية عام ١٨٨٨م. وقامت بريطانيا أيضاً بالاستيلاء على بقعة أخرى يقطنها الصوماليون وسُميت لاحقاً المقاطعة الشمالية الحدودية ((Northern Frontier District «N.F.D.»)، وتقع أقصى جنوب الصومال بجوار مستعمرة بريطانيا في كينيا. ولم تتسّر إيطاليا على أهدافها في الاستيلاء على الصومال، والذي كان محاولتها لتثبيت وجودها كواحدة من أبرز القوى الأوروبية التي تناحرت على أفريقيا. وطمحت إيطاليا أيضاً لتوسيع نفوذها في أرتيريا والصومال وصولاً إلى المرتفعات الأثيوبية لذات الهدف الذي كان رفع مقامها بين الدول الأوروبية المتنافسة. ولكن بعد الهزيمة المفاجئة التي باءت بها القوات الإيطالية على يد القوات الأثيوبية في عدوه، ادعت إيطاليا بأن احتلال الصومال كان جزءاً من خطتها الاستراتيجية للانتقام من أثيوبيا والاستيلاء عليها من جديد.<sup>(١)</sup> ومن اللافت أن بريطانيا قرّرت دعم مساعي إيطاليا الاستعمارية لإحباط الخطط الفرنسية. وبدأت إيطاليا بزحفها نحو الصومال باتفاقية تجارية وقعتها عام ١٨٨٥م، واستولت بصورة كاملة على إقليم بنادر التي استأجرته من سلطنة زنجبار في عام ١٨٩٢م. وقد نجحت إيطاليا بتحقيق حلمها لفترة وجيزة (١٩٣٦ - ١٩٤١م)، بعد قهرها لأثيوبيا وضمّها إلى أرتيريا وإيطاليا الصومالية لتشكّل إقليماً موحداً عُرف باسم شرق أفريقيا الإيطالي (Africa Orientale Italiana).<sup>(٢)</sup> وكانت مقديشو هي عاصمة هذا الإقليم. وتجاوز عدد

---

Mark Bradbury, *Becoming Somaliland* (Progresso, 2008), 23.

(١) Robert Hees, *Italian Colonialism*, 172.

(٢) Francesco Marion, *Military Operations in the Italian East Africa, 1935-1941* : Conquest and Defeat (MA thesis submitted to Marine Corps University Quantico VA school of Advanced War - fighting, 2009).

الإيطاليين الذين استوطنوا إيطاليا الصومالية الخمسين ألفاً بحلول عام ١٩٣٥ م، وكان ٤٠٪ من هؤلاء يقطنون في مقديشو الذي قُدِّر عدد سكانها بخمسين ألفاً.<sup>(١)</sup> وأخيراً كانت هناك أثيوبيا التي كانت تُعدّ إمبراطورية أفريقية صاعدة في القرن التاسع عشر، وكانت تتمتع بعلاقة إيجابية مع القوى الأوروبية الكبرى التي كانت تعترف بها كدولة أفريقية مستقلة، وحاولت هي الأخرى انتزاع أجزاء من الأراضي الصومالية. فتنافس الإمبراطور الإثيوبي Menelik II مع الأوروبيين ونجح في توسعة حدود حكمه شرقاً، بانتزاعه أجزاء من الأراضي الصومالية وضمّها إلى دولته في عام ١٨٩٧ م. وأثارت الإمبراطورية الأثيوبية إعجاب القوى الأوروبية، فقد نجحت هذه الإمبراطورية في مجاراة القوى الأوروبية وتنافست معها في انتزاع الأراضي الصومالية. وهكذا دخل الشعب الصومالي، المتجانس ثقافياً والمُقسَّم سياسياً، القرن العشرين وهو مجزأً إلى خمسة أجزاء موزعة على أربعة دول. وقد أحدثت تلك الهيمنة الاستعمارية المتعددة جرحاً عميقاً في نفوس الصوماليين، ومستّ قلوبهم وعقولهم، مما أفرز مقاومة عفوية غير منسقة. وتلا ذلك مرحلة جديدة من إعادة تشكيل المجتمع الصومالي وتشكيل الدولة كان لها أثر كبير على مجرى تاريخ الصومال في القرن العشرين وما بعده.

## ردة الفعل الصومالية على الاستعمار

يُلخّص ردّ الصومال على المستعمرين، بصورة عامة، إلى مرحلتين، كانت أولاهما (١٨٨٩ - ١٩٢٧ م) هي حقبة مواجهة القادة التقليديين للاستعمار، وانتهت بهزيمة سلطان المجرتين، السلطان عثمان، الذي أعطى سيفه للحاكم الإيطالي الفاشي De Vecchi في نوفمبر ١٩٢٧ م، فيما عُدَّ لحظةً دراماتيكية.<sup>(٢)</sup> غلبت العفوية والتشتت على ردّ الصوماليين

(١) W. Mitchell, Journal of the Royal United Service Institution. Whitehall Yard, Volume 57, Issue 2, 997.

(٢) سلّم سلطان عثمان سيفه في مدينة حرديا الساحلية (الواقعة حالياً في أرض بونت في دولة الصومال). لمزيد من التفاصيل، انظر:

Abdisalam M. Isse - Salwe, The Collapse of the Somali State: The Impact of Colonial legacy (Haan Publishing; 2nd edition (1996), 45.

على الاستعمار في مراحله الأولى، فكانت الصومال وقتها تتألف من قبائل وسلطناتٍ متشرذمة، فيما جعلت قوى الاستعمار إلى إنفاذ خططها الاستعمارية بالعمل بسياسة العصا والجزرة، فضلاً عن استخدام عتادٍ حديث.<sup>(١)</sup> ومما يوضح تشتت المقاومة الصومالية ما حدث في بلدة وأرشيخ (الواقعة ٤٠ كم شمالي مقديشو) حينما قُتل ضابطان بالبحرية الإيطالية، Bertorello و Zavaglio، عام ١٨٩٠ م.<sup>(٢)</sup> وتبع ذلك بعض مظاهر المقاومة الأخرى التي قامت في بلدة عدله في مايو ١٨٩١ م، حينما لقي ٥٥ صومالي وستة جنودٍ حتفهم.<sup>(٣)</sup> وكانت بلدة عدله هي أولى قواعد الصومال الإيطالي تحت حكم Vincenzo Filonardi الذي كان أول حاكمٍ إيطالي عام ١٨٩٩ م. وقادت هاتان الحادثتان إلى تغيراتٍ جذريةٍ في السياسات الاستعمارية الموضوعة للتعامل مع السكان المحليين. ونظم الشيخ أحمد أيبكر جيبو (١٨٤٤ - ١٩٣٣ م) قصيدةً وطنيةً لاستثارة روح المقاومة في وجه الاستعمار الإيطالي، يمكن ترجمة مضمونها كالتالي:

«قاتلوا أعداء الصومال! ارفضوا المستعمرات الكافرة! فليكن لكم ما تذكرون به بعد موتكم، فقريباً لن يبقى منكم سوى التراب وستنهش الديدان أبدانكم، فلتكونوا مثلاً للأجيال القادمة.»<sup>(٤)</sup>

(١) استخدمت بريطانيا، مثلاً، سلاح الطيران العسكري بقصف مقر حركة الدراويش في تليح عام ١٩٢٠ م.

(٢) Mukhtar, Historical Dictionary, 204.

(٣) تمّ اعتقال ثلاثة أشخاص عندما قام أهل عدله على الاستعمار. وأدى ذلك إلى إثارة مزيداً من الغضب والمقاومة، والذي أدى إلى مزيدٍ من القتل من سلالة عبد الله أرون التي تنحدر من قبيلة هرتي أبغال. انظر:

Salah Mohamed Ali, Hudur and the History of Southern Somalia. (Cairo: Nahda Publishing, 2005), 5-6.

(٤) النص الأصلي للقصيدة باللغة الصومالية كما يأتي:

«Somalian u dagaalamayna; Kuwa dulmaaya la dood gelayna; Kufriga soo degay diida leenahay; Dabeysha mawdka intey I daadeyn; Hilibka duud cunin ooan deeb noqon; Dadka tusaan danahiisa leeyahay; Kuwa dambaan udarii q falaaaya! »

وقد يكون لهذه القصيدة دورٌ في استنهاض شعب وأرشيخ في ثورتهم ضد الإيطاليين. ويُضاف إلى ذلك قرار الإيطاليين بإرسال حملةٍ عقابيةٍ دُمّرت كلاً من وأرشيخ وعدله، وقتلت أكثر من ٨٠ مواطن في عام ١٨٩١ م. ونظم الشيخ أحمد جابيو قصيدةً أخرى تصف كرب الشعب في أعقاب المجزرة الإيطالية، ويمكن ترجمة كلمات القصيدة كما يأتي:

«لقد جرح هؤلاء الدخلاء رجولتنا، فما هم أنبياءٌ أرسلهم الله. نحن نرفضهم، ولكنهم لم ينصتوا لنا. العار على من أتوا متأخرين، عندما كنا نقاتل قوةً عاتيةً كهذه. لقد جرح هؤلاء الدخلاء رجولتنا.»<sup>(١)</sup>

طُعِنَ الضابط الإيطالي Maurizio Talmone في بلدة مركة وهو ما أدى إلى مقتله، وكان ذلك في تشرين الأول ١٩٨٣ م، «في نفس اليوم الذي رُفِع فيه العلم الإيطالي في البلدة.»<sup>(٢)</sup> وتبع ذلك مقتل ضابطٍ إيطاليٍّ آخر، Giacomo Tervis، في مركة في عام ١٨٩٧.<sup>(٣)</sup> فنضجت صور المقاومة المتفرقة هذه لتأخذ شكلاً منظماً أكثر. ف وقعت مسؤولية قيادة القوى المدافعة عن أرض المسلمين من غزو المسيحيين على عاتق العلماء المسلمين في مرحلتها الأولى.

---

Mukhtar, Historical Dictionary, 204.

(١) النص الأصلي للقصيدة باللغة الصومالية كما يأتي:

«Ragow hadoo qalbi waa rafaadaa! Rujulka kaafira oo rugtaan yimid; Sidii Rasuul Rabi nooma soo dirin; mana rabne naga reed bax waa niri; Hadaase ruux la dagaasho kaa roon; reekaad u kasha laheedna raagaan; Ragow hadda qalbi waa rafaada!»

Mukhtar, Historical Dictionary, 205

(٢) Salah, Hudur, 7.

(٣) المصدر السابق، صفحة ٨. يُقال بأن شاباً صومالياً، عمر حسن يوسف، اغتال المستوطن الإيطالي Giacomo Tervis.

تغيّر ذلك في المرحلة الثانية (١٩٤٣ - ١٩٦٠م) التي شهدت انتقال قيادة التصدي الصومالي للاستعمار إلى نخبةٍ وطنيةٍ جديدة. وكان الاختلاف بين الفترتين هو أن الصّدّ الأول كان رفضاً تاماً للغزو المسيحي على أراضي المسلمين، وحُشدَ الناس بالفعل تحت راية الإسلام، أما المرحلة الثانية فقد وجهها هدف إقامة دولةٍ مستقلةٍ أسوةً بالنظام العالمي الجديد الذي صاغته قيام الدول القومية. وشكّلت هذه المرحلة فترة التحول من النضال الذي كان تحت قيادة العلماء الوطنيين إلى صراعٍ نخبويٍّ حديثٍ يهدف إلى إقامة دولةٍ صوماليةٍ معاصرة. وقد اصطلحَ تسمية تلك الفترة الزمنية التي امتدت إلى ١٥ عاماً، بين عامي ١٩٢٧م و١٩٤٣م، «بالتشت الصومالي»، فقد كانت تلك الفترة فترةً انتقاليةً أخذت بالصومال من هيمنة النخب التقليدية إلى نهوض النخب القومية. وقاسى الصوماليون تجاربٍ عسيرةً خلال تلك السنوات كتورط البلاد بالحرب الإيطالية الأثيوبية (١٩٣٥ - ١٩٤١م) والحرب العالمية الثانية (١٩٤١ - ١٩٤٥م) بصفتهم جنود مستعمرات الجهات المتحاربة. فتقول سجلات التاريخ، على سبيل المثال، بأن «قوات المستعمرات الصومالية قاتلوا باستماتة ضد الأثيوبيين الذي يرى فيهم الصوماليون أعداءً تقليديين لهم». وشارك أكثر من ٦٠٠٠ ألف جنديٍّ صوماليٍّ منتظم في الحرب الإيطالية الأثيوبية، فيما يُقدّر عدد الجنود الصومالين غير المنتظمين في تلك الحرب بأربعين ألفاً.<sup>(١)</sup> وكان هناك أيضاً عددٌ كبيرٌ من الصومالين الذين حاربوا في صفّ الأثيوبيين ضد الاستعمار الإيطالي، من بينهم ٢٢ من الشخصيات الصومالية المرموقة.<sup>(٢)</sup>

---

(١) Robert Hees, Italian Colonialism, 174.

(٢) يمكن إيجاد الأسماء الـ ٢٢ في:

Pankhurst, Ex - Italian Somaliland, 17

ويظهر بأن الرقم ٢٠٠٠ الذي يذكره سمر هو مبالغة كبيرة. انظر:

Samatar, Socialist Somalia, 52.

انظر أيضاً:

Abdurahman Abdullahi, —Tribalism, Nationalism and Islam: The crisis of the political Loyalties in Somalia (MA thesis, Islamic Institute, McGill University, 1992), 66.

كما أن جنود المستعمرات الصومالية حاربوا في صفّ الإيطاليين والبريطانيين على سواء على جبهات قرن أفريقيا خلال الحرب العالمية الثانية، وتحديداً حرب ١٩٤٠ - ١٩٤١. وكان للجنود الصوماليون أيضاً وجوداً في مشهد حرب بورما، فانضوى الجنود الصوماليون تحت الألوية الأفريقية التابعة للقوات البريطانية خلال الحرب العالمية الثانية،<sup>(١)</sup> فضلاً عن قتال جنود صوماليين من جيبوتي ضمن الألوية الأفريقية في الجيش الفرنسي، فلم يكونوا أكثر من مجرد كبش فداءٍ رخيص خلال الحرب العالمية الأولى، وشارك الجنود الصوماليون أيضاً في تحرير فرنسا عام ١٩٤٤. <sup>(٢)</sup> ويجدر الذكر بأن التاريخ العسكري الصومالي يُنظر إليه على أنه فجوةٌ سوداء في تاريخ الصومال وفي «البحث بالنسبة للمؤرخين».

تحسّن تنظيم المقاومة الصومالية للاستعمار تحت قيادة العلماء المسلمين الذين كانوا يتبعون الطرق الصوفية. فأنهكت حروب العصابات التي شنتها حركة الدراويش تحت قيادة سيد محمد عبد الله حسن (١٨٥٦ - ١٩٢١م) كاهل البريطانيين، والإيطاليين، والأثيوبيين لأكثر من ٢٠ عاماً. ويبقى، بذلك، سيد محمد رمزاً صومالياً قومياً لفصاحة شعره التي لم يكن يضاهيها أحد، وإيقاده لشعلة الحركة المناهضة للاستعمار. وعُرفَ عن الصوفية بأنها أرقّت مضجع الحكم الاستعماري ونظام التعليم الذي لُقِّح بالقيم الغربية.<sup>(٣)</sup> وبرزت طرقُ

---

(١) Ashley Jackson, The British Empire and the Second World War (London: Hableton Continuum, 2006), 213.

(٢) Jonathan Sutherland and Diane Canwell, Vichy Air Force at War: The French Air Force that Fought the Allies in World (Pen and Sword Aviation, 2011), 32.

(٣) ناهضت القادرية مناهضةً شديدة محاولات الإدارة البريطانية لفتح مدارس علمانية. I.M. Lewis, A Modern History of the Somali: Nation and State in the Horn of Africa (Ohio University Press, 2003), 37.

أيضاً:

I.M. Lewis, Saints and Somalis: Popular Islam in a Clan - Based Society (Sea Press, 1998), 9.

متنوعةً لمقاومة الاستعمار، واستخدمتها طرقٌ صوفيةٌ مختلفة في ظلّ ظروفٍ مختلفة. فليس هناك أساسٌ تاريخي للافتراض الشائع الذي يُعلي منزلة الطريقة الصالحية بصفقتها بطلّة الصراع ضد الاستعمار على حساب الطريقة القادرية التي وُصمت بالإذعان، بل وأيضاً بأنهم قدّموا يد العون للمستعمرين. بل إن الحقيقة المثبتة تاريخياً هي أن «الشيخ أويس دعا لمقاومة المستعمرين الأوربيين في تنزانيا، التي كانت ترزح تحت الاحتلال الألماني، وحتى أوغندا وشرق الكونجو»<sup>(١)</sup> وتبيّن الأدلة التاريخية أن صدّ القادرية للاستعمار كان محكوماً بالظروف، فتبني منهجيةً أحادية أو تقديم الحل العسكري على المقاومة السلمية لم يكن حلاً محمود العواقب. فيجب النظر إلى أن كلاً من هاتين المنهجيتين تكمل الأخرى بما يتلاءم مع الحالة وتقييم الخيارات المتاحة. فإذا نظرنا، مثلاً، إلى أشكال مقاومة الاستعمار التي انبثقت من المناطق الريفية، فسرى بأن الجانب العسكري قد طغى عليها على النقيض من الحركات المناهضة للاستعمار في المناطق الحضرية والزراعية - الرعوية التي كانت في معظمها حركات سلمية. ويمكن الاسترشاد بهذه الفكرة لشرح منهجيات حركة الدراويش، التي كان يقودها سيد محمد عبد الله حسن، وجماعة الشيخ أويس البراوي في الصومال.

ويُلاحظ، في المقابل، أن المنهجيات التي لجأت إليها الطريقة القادرية التي نشطت في جنوب الصومال كانت محكومةً بمستوطناتهم البدوية الزراعية والحضرية بالرغم من أن مفهوم الجهاد كان حاضراً. فضّل أتباع الطريقة القادرية، في بعض الأحيان، سبيل المقاومة المسلّحة كما كان الحال في حادثة لفولي عام ١٨٩٦ م التي وُجّهت فيها أصابع الاتهام إلى محاربين من قبيلة وعدان وجيليدي، وهم الذين كانوا من أتباع الشيخ أحمد حاج مهدي (توفي عام ١٩٩٠) شيخ الطريقة القادرية. وكان الردّ الإيطالي يوم ٢٠ نيسان ١٨٩٧ م بقصفهم لمدينة نيمو، موطن الشيخ أحمد، وهو ما أسفر عن مجزرة بحق السكان المدنيين.<sup>(٢)</sup>

(١) المصدر السابق، صفحة ٣٦.

(٢) رحل الشيخ أحمد حاج عن مقديشو بعد أن استولى عليها الإيطاليون، واعتبرها «دار الكفر»، وأسس «دار الإيمان» في نيمو. وتورّط أيضاً عريان كانا يعيشان في مقديشو في حادثة لافاو هما المترجم الشخصي لفيلوناتدي أبو بكر بن عود والثاني هو إسلام بن محمد. انظر:



وكانت حركة مقاومة بيمال (١٨٩٦ - ١٩٠٨ م) حركة مقاومةٍ أخرى برزت في الجنوب، وقادها معلم مرسل يوسف والشيخ أبيكر جفلي، وقاومت الحركة الاستعمار لمدة وصلت إلى ١٢ عاماً.<sup>(١)</sup>

ويكتب السفير صالح محمد بعبارات واضحة: «لم يكن هناك حركة مقاومة تجاري مقاومة بيمال في عنادها، وطولها، وعزمها، سوى حركة الدراويش التي قادها سيد محمد.»<sup>(٢)</sup> واتصلت حركات المقاومة الجنوبية بحركة الدراويش الجنوبية في تحرك أبان عن وحدة الغاية، والوعي الإسلامي. كما كان هناك أيضاً المقاومة التي وقفت في وجه التوسع الإيطالي في إقليم بنادر، والتي قادها الشيخ حسن برسني (١٨٥٣ - ١٩٢٧ م) والتي كانت تتبع الطريقة الأحمدية/ الرحمانية. وكان هناك أيضاً الشيخ بشير يوسف (١٩٠٥ - ١٩٤٥ م)، أحد شيوخ الطريقة الصوفية الصالحية، الذي سار على خطى الجهاد خلفاً لسيد محمد عبد الله والتعاليم القومية التي نظّر لها فارح أومار ضد الاستعمار البريطاني في منطقة برعو الواقعة في إقليم تجظير. ولكن سُحِقَت كل هذه الحركات تحت سطوة القمع بحلول عام ١٩٢٤ م، وكان مصير قادتها إما الإقصاء أو الاحتواء. وكان آخرها حركة سلطنة مجرتين المستقلة التي قُمِعَت بوحشية كبيرة بعد عامين من المقاومة في عام ١٩٢٧ م لتحكم بذلك إيطاليا قبضتها الاستعمارية على الصومال، وشكّل ذلك نقطة فارقة أنهت صور القيادة المستقلة في المجتمع الصومالي. لقد احتاجت القوى المستعمرة ١٠٠ عامٍ إذاً، لفرض سيطرتها الكاملة على الأراضي الصومالية منذ اتفاقية البريطانيين مع القبائل الصومالية في بربره عام ١٨٢٧ حتى

---

Exploration of History and Society.

متاح على الرابط:

<https://operationoverload.wordpress.com/category/anti-colonization-wars/>

(تم الوصول بتاريخ ١٤ فبراير ٢٠١٧).

(١) Isse - Salwe, The Collapse of Somali State, 22.

(٢) Salah Mohamed, Hudur, 17.

الانتصار الإيطالي على سلطنة مجرتين عام ١٩٢٧م.<sup>(١)</sup> وآت الطرق الاستعمارية الأولى باحتواء الرموز من كبار رؤساء القبائل عبر الترغيب والترهيب ثمارها، وفي المقابل تعرّض العلماء الصوماليون للقمع والتهميش والاستبعاد في ظلّ مقاومتهم للمشروع الاستعماري باستخدام السلاح وغيره من طرق المقاومة السلمية. وقد خلّد التاريخ الصومالي أولئك الذين اختاروا طريق السلاح، ولكن نظرائهم من الناشطين السلميين فقد أهملهم وهمّشهم التاريخ. ودرس علماء الاستعمار المقاومة المسلّحة ونظروا إليها، في كتاباتهم، على أنها تهديدٌ لحكمهم. ويبدو بأن القوميين الصوماليين، الذين نسبوا إلى أنفسهم صور المقاومة المسلّحة بمختلف صورها على أساس أنها جزءٌ من تاريخ الحركة القومية الصومالية، كانوا يميلون إلى حلّ الميليشيات في صراعهم مع هيمنة إثيوبيا، ولعل ذلك كان السبب وراء عدم حصول العلماء المسلمين الذين انخرطوا في الأنشطة الثقافية وبرامج الإصلاح على حقهم من التقدير في التأريخ الصومالي، وكذلك الأمر للعلماء الذين أحيوا المقاومة الداخلية في وجه الهيمنة الاستعمارية الثقافية.<sup>(٢)</sup>

وطوّرت الدول المستعمرة سياساتٍ للتعامل مع القادة التقليديين بعد فرض سيطرتها على كامل الأراضي الصومالية. فتمتّع القادة التقليديون، الذين كانوا ينقسمون إلى شيوخ القبائل وعلماء الإسلام، بالوجاهة والقيادة في مجتمعاتهم قبل أن تعيد الدول المستعمرة رسم المعادلات الاجتماعية وتغيّر معطيات السلطة. فكان أن تعاملت الأنظمة المستعمرة مع هؤلاء القادة عبر «الإدماج البيروقراطي» الذي استهدف شيوخ القبائل الذين وقعوا في البداية اتفاقياتٍ مع القوى المستعمرة ليتمّ الاعتراف بهم شركاء محليين. وكان مما سهّل ذلك التقارب بين طبيعة القوانين العلمانية التي وضعتها الدول المستعمرة والقوانين العرفية

---

(١) Ahmed Samatar, *Socialist Somalia: Rhetoric and Reality* (Zed Books Ltd, 1988), 19.

(٢) ومما يُستثنى من ذلك هو اهتمام البروفيسور مختار بهذه القضية في كتابه *Historical Dictionary of Somalia* والأعمال التي حرّرها سعيد سمر الذي شكّك فيما شاع من التأريخ الصومالي عقب إعادة دراسته الحركات القادرية والصالحية، وشدّد على الحاجة للتحقيق والبحث بصورة أكبر.

الصومالية التي عرفت باسم حير، والتي صانها شيوخ القبائل. وهكذا كان من السهل إقناع وجهاء الصومال بالتعاون مع القوى المستعمرة في ظل وجود شيءٍ من التقاطع بين القانونين. فوظفت الدول المستعمرة شيوخ القبائل بوضعها خطوط سياساتٍ عريضة، بل ووقرت لهم رواتب، واستخدمتهم بصفة ممثلين رسميين لمجتمعاتهم. ويمكن القول، في ظل ذلك، بأن الاستعمار أرسى أسس نظام حكمٍ ذا تسلسلٍ إداريٍّ في هذا المجتمع القائم على المساواة، والذي سادت فيه ثقافة حكم أول النظراء. وبالعودة إلى السجلات التاريخية، كان هناك ٩٥٠ من شيوخ القبائل الذين تُصرف لهم الرواتب في نهاية الخمسينات في الصومال الإيطالي، و٣٦١ في الصومال البريطاني (British Somaliland)،<sup>(١)</sup> فيما كان التعامل مع علماء الإسلام بسياسة الاحتواء، فتعرضت هذه الفئة للقمع والتهميش، ولو أن بعضاً منهم أُدخلوا إلى الإدارة الاستعمارية لاحقاً. فهناك Sorrentino، على سبيل المثال، المفوض الإيطالي في مقديشو عام ١٨٩٦م، الذي قام بتوزيع ٢٩٦ تالر (عملية معدنية أوروبية مصنوعة من الفضة كان يتم التداول بها في الماضي) على شخصياتٍ مرموقة وعلماء مسلمين «لاستمالة أصدقاء لإيطاليا».<sup>(٢)</sup> نظرت القوى المستعمرة للإسلام على أنه تهديدٌ لمهمة المستعمرين

---

(١) كان هناك ثمانية زعماء من شغاني، على سبيل المثال، ممن استفادوا من صرف رواتب ثابتة، كان منهم زعيم قبيلة أبغال شريف حداد مولانا وشريف حبيب بن حامد، وعشرة أئمة من حمرويني من بينهم حسن جيدي أبتو (رير متان) وحسن سوكر (مرسدي). انظر هوامش:

Salah Mohamed Ali, *Hudur and the History of Southern Somalia*. (Cairo: Nahda Publishing, 2005), 10.

وأيضاً:

Abdurahman Abdullahi, —Tribalism and Islam: The Basics of Somaliness. In *Variations on the Theme of Somaliness*, edited by Muddle Suzanne Lilius (Turku, Finland: Centre of Continuing Education, Abo University, 2001): 227-240, 229.

(٢) Robert Hess, *Italian Colonialism in Somalia* (University of Chicago Press, 1966), 33.

التي قيل بأنها «مهمة تمدين» وهيمنة ثقافية، ولهذا كان لا بد من تحييده. وبالفعل كان معظم علماء الإسلام يبدلون الجهد في مقاومة موجة الاستعمار عبر طرق العنف، أو يحاولون حشد العوام وإقناعهم برفض التعاون مع الكفار.

حسم انتصار الاستعمار نهاية المقاومة المسلحة، ولكن استمرت المقاومة السلمية، وتمّ تبني منهجيات جديدة تدريجياً. وانطبق ذلك أيضاً على القوى المستعمرة، في المقابل، التي توجهت هي الأخرى إلى إيجاد طرق أكثر حساسية لإرضاء المشاعر الدينية الشعبية، ووضعت سياسات للفوز بقلوب الناس وعقولهم. فكانت سياسة إيطاليا خلال الحكم الفاشي هي كسب دعم المسلمين ضد المسيحيين الأرثوذكسين في أثيوبيا.

فأعلن موسوليني نفسه حامي الإسلام عام ١٩٣٧م خلال زيارته إلى ليبيا.<sup>(١)</sup> ودفعت هذه المنهجية المحافظات الاستعمارية، وتحديدًا محافظات الفاشية الإيطالية، إلى بناء المساجد، واحترام علماء الإسلام، وقبول القوانين الإسلامية في الجوانب الحساسة مثل الأحوال الشخصية، وبناء محاكم إسلامية وتعيين علماء مسلمين فيها كمصلحين وقضاة.<sup>(٢)</sup> كما تبنت بريطانيا أيضاً سياسة الحكم غير المباشر، فقوّت شوكة شيوخ القبائل ودعمت مدارس القرآن أملاً في كسب دعم الشعب، وتمّ أيضاً منع أنشطة بعثات التبشير النصرانية في الصومال البريطاني عام ١٩١٠م، وتمّ تطبيق هذه القاعدة الصارمة بعد ذلك أيضاً،<sup>(٣)</sup> فضلاً عن تقييد البعثات الكاثوليكية في جنوب الصومال لتفادي أي استفزازات.

---

(١) Jakob Kraiss, —Shakib Arslan's Libyan Dilemma: Pro - Fascism through Anti - Colonialism in La Nation Arabe? (Orient - Institut Studies 1, 2012).

متاح على الرابط:

[file:///C:/Users/Abdurahman/Downloads/kraiss\\_dilemma.doc.pdf](file:///C:/Users/Abdurahman/Downloads/kraiss_dilemma.doc.pdf)

(تم الوصول بتاريخ ١٩ أبريل ٢٠١٧).

(٢) بنى الإيطاليون مساجد لا تزال عاملة حتى اليوم في بيدوا، وبيلدوين، وداغبور.

(٣) Lewis, A History, 103.

أرادت الكنيسة السودانية أن تعود إلى الصومال بعد الحرب العالمية الثانية، ولكن الإدارة البريطانية العسكرية منعتها من الدخول.

بدأت المرحلة الثانية من مقاومة الاستعمار بعملية طويلة هدفت إلى بناء نخبة جديدة تحمل رؤية جديدة للمجتمع والدولة، فيما سعت القوى الاستعمارية إلى توظيف صوماليين أكثر في المستويات الدنيا من منظومات العمل المدني والعسكري الاستعمارية، وفتحت مدارس انتقائية تمتع فيها أطفال النخب التقليدية بالأولوية والامتيازات.<sup>(١)</sup> وامتص النظام الاقتصادي والسياسي الاستعماري الأراضي الصومالية بالتدرج تماشياً مع هذه الاستراتيجية. ولكن هذا لم يعنِ الاندثار الكامل للخطاب المناهض للاستعمار من السنوات الأولى، ولكنه تحوّل إلى صراعٍ سياسيٍ حديثٍ ومسالمٍ نحو الاستقلال.<sup>(٢)</sup> فبدأ تشكيل الدولة الحديثة في الصومال على أرض الواقع بتأسيس منظماتٍ مجتمعٍ مدني كانت مختلفةً بهيئتها وعملها عن المؤسسات التقليدية مثل المؤسسات الدينية التي هيمنت عليها الطرق الصوفية ووجهاء القبائل. وكانت بداية هذه المنظمات المدنية في الصومال البريطاني ولاحقاً في جنوب الصومال تحت الإدارة البريطانية العسكرية (BMA) عام ١٩٤١م، فيما تمّ حظر جميع صور التنظيم في جنوب الصومال خلال حكم الفاشية.<sup>(٣)</sup> بدأ التنظيم الاجتماعي بتشكيل الجمعية الإسلامية الصومالية عام ١٩٢٥م في عدن على يد المنفي حاج فارح أومار لدعم أنشطته السياسية وللنداء بتحسين أوضاع الموظفين الصوماليين الذين يعملون في الإدارة البريطانية.<sup>(٤)</sup> وظهرت المزيد من المنظمات تدريجياً، مثل الخيرية عام ١٩٣٠م، التي نادى بتحسين الرعاية الاجتماعية والتعليم، واتحاد الضباط الذي تأسس عام ١٩٣٥م، وكان ينادي بالمساواة في الحقوق بين الموظفين الصوماليين والوافدين، وجمعية أولاد الكبار (SOBA)

---

(١) Sylvia Pankhurst, Ex - Italian Somaliland (London: Watts, 1951), 212-214.

(٢) عن تطور القومية الصومالية، انظر:

Saadia Touval. Somali Nationalism: International Politics and the Drive for Unity in the Horn of Africa (Cambridge: Cambridge University Press, 1963).

(٣) M. Lewis, A Modern History of the Somali: Nation and State in the Horn of Africa (Ohio University Press, 2003), 121.

(٤) Touval, Somali Nationalism, 65.

التي انبثقت عن اتحاد الضباط. وكانت جمعية الخيرية الوطنية أول منظمة يتم تأسيسها في جنوب الصومال، وكان ذلك عام ١٩٤٢م،<sup>(١)</sup> وتلاها لجنة التحسين المحلي (NBC) في نفس العام،<sup>(٢)</sup> ونادي الشباب الصومالي (SYC) عام ١٩٤٣. وبدأ التطور السياسي الحديث في الصومال في السنوات الأولى من الحرب العالمية الثانية بعد أن تكبدت الفاشية الإيطالية الهزيمة في قرن أفريقيا وبسطت الإدارة البريطانية العسكرية سيطرتها على معظم الأراضي الصومالية. وأرست بيئةً سياسيةً محسّنةً بإلغاء «التقييدات التي فرضتها الإدارة الفاشية على الجمعيات والنوادي السياسية المحلية.»<sup>(٣)</sup> بالرغم من قرارها بتدمير المشاريع الاقتصادية الصغيرة القائمة وقتها وكذلك البنى التحتية، ومن بينها خط السكة الحديدية الذي كان يصل مقديشو، وجهر، وجسر أفجوي، وآلة إنتاج الملح في هافون، ومناجم مجيان وقندلة.<sup>(٤)</sup> ورحبت السياسة الجديدة التي وضعتها الإدارة البريطانية العسكرية بنهوض الوعي السياسي للصوماليين بعد أن شارك العديد منهم في خمس حروبٍ مختلفة هي حروب المقاومة الصومالية (حركة الدراويش، والمقاومة بيمال وغيرها)، والحرب الإيطالية - التركية

---

(١) Mohamed Mukhtar, Historical Dictionary of Somalia: African Historical Dictionary Series, 87 (Lanham, MD: Scarecrow Press, 2003), 106..

أيضاً:

Salah Mohamed Ali, Hudur and the History of Southern Somalia (Cairo: Mahda Bookshop Publisher, 2005), 340.

(٢) Abdurahman Abdullahi, —Non - state Actors in the Failed State of Somalia: Survey of the Civil Society Organizations during the Civil War (1990-2002).|| Darasat Ifriqiyyah, 31 (2004): 5787 - . See Salah Mohamed, Hudur, 361.

(٣) I. M. Lewis, A Modern History, 121

(٤) انظر:

Poalo Tripodi, The Colonial Legacy in Somalia: Rome and Mogadishu: from Colonial Administration to Operation Restore Hope (London: Macmillan Press, 1999), 45.

(١٩١١ - ١٩١٢ م)، والحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨ م)، والحرب الإيطالية - الأثيوبية (١٩٣٥ - ١٩٣٦ م)، والحرب العالمية الثانية (١٩٤١ - ١٩٤٥ م). وتأسس نادي الشباب الصومالي بتاريخ ١٥ مايو من عام ١٩٤٣ في مقديشو، وهي منظمة صومالية شبابية محلية، بتشجيع الإدارة البريطانية العسكرية.<sup>(١)</sup> وتطور النادي من الأعضاء الثلاثة عشر الذين أسسوه إلى حزب سياسي عام ١٩٤٦ م، وأعيدت تسميته عصبة الشباب الصومالي.<sup>(٢)</sup> وبدأت نهضة مشابهة في الوعي السياسي الصومالي بالزوغ في الصومال البريطاني، وهو ما أدى إلى تأسيس الحزب المعروف باسم العصبة الصومالية القومية (SNL) في الخمسينات. وتبنى كلا الحزبين، عصبة الشباب الصومالي والعصبة الصومالية القومية، خطاباً قومياً متقارباً في الخمسينات، ورافق ذلك تحول عددٍ من الأحزاب الأخرى أصغر حجماً إلى خطابٍ أقرب إلى القومية. وتم تقرير مصير الصومال بعد شدّ وجذبٍ دام خمس سنوات حول مستقبل المستعمرات الإيطالية التي هُزمت في الحرب العالمية الثانية. وقررت الأمم المتحدة في النهاية منح إيطاليا سلطة إدارية على الصومال تحت مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة، وكان ذلك بتاريخ ٢١ نوفمبر عام ١٩٤٩ م، ولو أن هذا القرار تم اتخاذه في ظلّ بعض التناقضات لما شهدت مهمة الأمم المتحدة إلى الصومال تمرداً قومياً عنيفاً

---

(١) عن العلاقة بين نادي الشباب الصومالي والإدارة البريطانية العسكرية، يمكن الرجوع إلى:

Cederic Barnes, "The Somali Youth League, Ethiopian Somalis and the Greater Somali Idea c1946-1948". Journal of East African Studies, v.1, no.2, 2007, 277-291.

(٢) الآباء المؤسسون للقومية الصومالية هم حاج محمد حسين، ومحمد حوسي نور (سيدي)، وعبد القادر سخاء الدين، وعلي حسن محمد (فيردورا)، وظيري حاج ظيري، ومحمد علي نور، وطاهر حاج عثمان، ومحمد عبد الله فارح (هايسي)، وخليف هودو محمد، ومحمد فرح هلولي (فارناجو)، وياسين حاج عثمان، ومحمد عثمان باربي، وعثمان جيدي راجي. انظر:

Abdulaziz Ali Ibrahim —Xildhiban®, Taxanaha Taariikhda Somaaliya (London: Xildhiban Publications, 2006), 13.

ضد الإيطاليين يوم ١١ يناير عام ١٩٤٨م حينما قُتل ٢٤ صومالي و٥١ إيطالي.<sup>(١)</sup> وتم إعادة المستعمرة الإيطالية بصورة رسمية إلى إيطاليا في الأول من نيسان ١٩٥٠. وشكّل القرار بإعادة الصومال إلى إيطاليا هزيمة كارثية لمشروع الصومال الكبير الذي نادى به Ernest Bevin، وزير خارجية بريطانيا في ذاك الوقت.<sup>(٢)</sup> وتم احتواء الهزيمة الدبلوماسية للمشروع العظيم بعد أن قامت القوى الأربع (الولايات المتحدة، والاتحاد السوفيتي، وفرنسا، وبريطانيا) بالتغاضي عن طموحات الشعب الصومالي بالوحدة وإظهار التعاطف مع الادعاءات الأثيوبية التي أملت بالإبقاء على الأراضي الصومالية التي احتلتها في السابق، فضلاً عن تمنية إيطاليا لنفسها بإحياء أجندتها الاستعمارية. في المقابل، توجّست النخب السياسية الصومالية، وتحديدًا عصبة الشباب الصومالي، من الحكم البريطاني.<sup>(٣)</sup> وأضاع القادة السياسيون فرصة سياسية تاريخية في ذلك الوقت، بتقاعسهم عن الالتفاف والتوحد في دعمهم للاقتراح الذي تقدّم به الوزير Bevin الذي كان يفضي إلى توحيد الأقطار التي يسكنها الصوماليون في منطقة القرن الأفريقي، وذلك على الرغم من اختلاف أجندة الدول المنتصرة نفسها. وهكذا إذا عاد إقليم الصومال الإيطالي إلى الوصاية الإيطالية من جديد عام ١٩٥٠م رغماً عن رغبة الصوماليين بأن يحكمهم مجلس وصاية تديره القوى الأربع الكبرى. وطبقاً لمهمة الأمم المتحدة، تعيّن على إيطاليا إدارة المستعمرة وإعطائها استقلالاً كاملاً عام ١٩٦٠م، ليكون هذا القرار نهاية فصلٍ من تجربة جنوب الصومال في تغيير هيئة الحكم. رزح جنوب الصومال تحت حكم الاستعمار لمدة وصلت إلى ٦٢ عاماً، من بينها فترة تكوينية امتدت إلى ٢٤ عاماً كانت الصومال خلالها تحت الاستعمار الإيطالي (١٨٩٩ - ١٩٢٣م)، وتلا ذلك الحكم الفاشي الذي استمر لـ ١٨ عاماً (١٩٢٣ - ١٩٤١م)،

---

(١) Poalo Tripodi, The Colonial Legacy, 46-47.

(٢) Salah Mohamed, Hudur, 229 - 324.

(٣) أثارت سياسات الإدارة البريطانية العسكرية حنق النخبة الصومالية، وكانوا، في ظلّ ذلك، ضد مقترح عودة الصومال إلى إيطاليا واستمرار الحكم البريطاني. المصدر السابق، صفحة ٣١٣ - ٣٢٠.



ومن ثم ١٠ سنواتٍ كان الحكم فيها للإدارة البريطانية العسكرية (١٩٤١ - ١٩٥٠م)، و١٠ سنواتٍ أخرى تحت حكمٍ إيطالي بإشراف مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة (١٩٥٠ - ١٩٦٠م). وشهدت هذه السنوات بسط إدارةٍ واحدةٍ لسيطرتها على معظم الأراضي الصومالية في مناسبتين، امتدت أولاهما لخمس سنوات، وكان ذلك جزءاً مما عرف «بشرق أفريقيا الإيطالي»، حينما أحكمت فاشية إيطاليا السيطرة على إقليمين صوماليين هما أوجادين والصومال الإيطالي إلى جانب أثيوبيا وأرتيريا. ووقعت أرض الصومال تحت حكم الإدارة الفاشية لفترة ثمانية أشهر (آب ١٩٤٠ - آذار ١٩٤١).<sup>(١)</sup> واعتمدت مقديشو عاصمةً لشرق أفريقيا الإيطالي. المرة الثانية كانت بعد هزيمة الحكم الفاشي في مسرح عمليات القرن الأفريقي، وهو ما أدى إلى انتزاع الإدارة البريطانية العسكرية لجنوب الصومال، وهو ما عني بأن أمور الحكم آلت إلى الإدارة البريطانية العسكرية في جميع الأراضي الصومالية باستثناء الصومال الفرنسية. ومن ثم تولّت إيطاليا مسؤولية إعداد جنوب الصومال للاستقلال خلال فترة قصيرة جداً في ظلّ جذبٍ كبيرٍ في الموارد المالية.<sup>(٢)</sup>

وشهدت تلك الفترة التكوينية دمج عددٍ من الرموز الإسلامية البارزة في عملية الوصاية أملاً في كسب الدعم والشرعية الشعبية. ولكن كان علماء الصومال في تلك الفترة مركزين على الأنشطة الاجتماعية الثقافية وهم يراقبون بتوجس صعود النخب الجديدة ورسوخ

---

(١) يحاجج Sally Healy بأن القوميين الصوماليين كانوا يتخيّلون وجود احتماليةٍ لاعتماد ترتيب حدود جديد بسبب «الحكم الاستعماري المتغيّر باستمرار». وكان القوميون الصوماليون يتصوّرون وجود احتمالية لتوزيع جديد للأراضي. انظر:

Sally Healy, —Reflections on the Somali state: What Went Wrong and why it Might not Matter. In Milk and Peace, Drought and War: Somali Culture, Society and Politics edited by Markus Hoehne and Virginia Luling (London: Hurst&Company, 2010), 271.

(٢) اقتطع ربع ميزانية الحكم الإيطالية عام ١٩٥١. انظر:

Tripodi, The Colonial Legacy, 60-61.

الهيمنة الاستعمارية. بقي شمال الصومال تحت الانتداب البريطاني منذ عام ١٨٨٨ م حتى الاستقلال الصومالي عام ١٩٦٠ م، باستثناء ثمانية أشهر وقعت فيها تحت الاحتلال الإيطالي (آب ١٩٤٠ - آذار ١٩٤١)، فلم تقاس تلك المنطقة بتغير أيدي الاستعمار والمضامين التي ترافق ذلك. لجأت بريطانيا أيضاً إلى الحكم بطريقة غير مباشرة، بحيث مُنحت المؤسسات التقليدية السلطة لإدارة الشعب تحت إشراف السلطة الاستعمارية، وبهذه الطريقة لم تهدم السلطات التقليدية مقارنةً بجنوب الصومال الذي وقع تحت حكم إيطالي مباشر، وهو ما همّش المؤسسات التقليدية.

## **تأثير الاستعمار على التعليم والسياسة**

استخدم الاستعمار أداتين رئيسيتين لتحويل المجتمع الصومالي، كانت أولاهما هي نظام تعليمٍ بقيمٍ غربية، وهو ما سمح بخلق الأداة الثانية، وهي نخبةٌ سياسيةٌ مهجّنةٌ غربياً. وسيحلّل هذا الجزء العملية التي استخدمت لتحقيق هذه الأهداف. لقد كانت الفترة الزمنية المتاحة لإرساء الإصلاح المطلوب محدودةً جداً وكانت الموارد شحيحةً أيضاً. ولهذا أفرزت هذه العملية نخبةً سياسيةً ضعيفةً وجهازاً بيروقراطياً افتقر إلى التدريب الصحيح. كما غرّبت هذه العملية القادة التقليديين، وتحديدًا علماء الإسلام، وخلقت حالةً من التشعب بين النخب وصراعاً بين الدولة والمجتمع.

## **تأسيس التعليم الحديث**

بدأت أولى خطوات الاستعمار في إعادة تشكيل المجتمع الصومالي ببناء نظامٍ تعليمي حديث في الصومال، وهو ما كان أهم عاملٍ في نهوض وانتشار القومية الصومالية وانبثاق النخب الحديثة. فكانت مقاليد السلطة السياسية والدينية في حقة ما قبل الاستعمار بيد النخب التقليدية التي اشتملت على شيوخ القبائل وعلماء الإسلام. فتمّ تهيمش النخب التقليدية في ظل انتشار التعليم الحديث وإفرازه للنخب الحديثة. ولكن دخل التعليم الحديث إلى الصومال متأخراً نسبياً بسبب التحديات التي واجهت البعثات المسيحية، وهم من كانوا

رواد التعليم في مستعمرات أفريقيا، حيث قام علماء الإسلام الصوماليون بصدّ أنشطتهم.<sup>(١)</sup> ويُضاف إلى ذلك عدم تخصيص حكومات الاستعمار الموارد الكافية لتطوير تعليم حديث في ظلّ الاضطراب السياسي، والوضع الأمني المتقلّب، وعدم وجود فوائد شخصية محقّقة. وأدّى هذا إلى بطء العملية إلى تشكل نخبة صومالية خاملة ومنقوصة ومتشعّبة عانت أيضاً في ظلّ الحرب الباردة والشدّ بين المسلمين والمسيحيين.

يمكن تصنيف الأنظمة التعليمية في الأراضي الصومالية إلى أنظمة تقليدية، وأنظمة حديثة، إما أن تكون تابعة للدولة أو غير تابعة لها. فبقي النظام التقليدي إسلامياً في جوهره بالتركيز على حفظ القرآن الكريم ودراسة اللغة العربية والفقه التي بقيت المواضيع الرئيسية. ونجحت معظم النخب الحديثة في إتمام حفظ القرآن الكريم في مراحل مبكّرة من الطفولة. أما التعليم الحديث فقد دخل الصومال في ظلّ الحقبة الاستعمارية، وكان التعليم بلغة المستعمر مع تبني مناهج الدول المستعمرة التي رُوّجت لنظرة عالمية غربية، إذ صارت اللغتان الإيطالية والإنجليزية اللغات الرسمية للتعليم على حساب العربية التي صارت جزءاً ثانوياً من المنهج الدراسي. واشتمل التعليم الحديث غير الحكومي على مزيج من المدارس والمناهج المختلفة، من مدارس البعثات المسيحية، إلى المدارس المصرية العربية، والمدارس الإيطالية، وغيرها.<sup>(٢)</sup> ومُنِح خريجو هذه المدارس منحاً دراسية للدراسة في

---

(١) كانت ٩٩٪ من المدارس تحت سيطرة المسيحيين، وبقي الوضع طويلاً كذلك حتى عام ١٩٤٢، وكان أكثر من ٩٧٪ من الطلاب في أفريقيا يدرسون في مدارس تبشيرية. وبحلول العام ١٩٤٥، كان عدد الأفريقيين الذين تعلّموا القراءة والكتابة ولم يتلقوا كل تعليمهم أو أيّاً منه في مدارس تبشيرية أقل مقارنةً بما كان عليه الحال قبل ذلك.

Magnus O. Bassey, Western Education and Political Domination in Africa: A Study in Critical and Dialogical Pedagogy (Bergin & Garvey, 1999), 27

وفي الصومال تم نفي البعثات التبشيرية المسيحية، ومن بقي منها كان متحفّظاً للغاية خوفاً من نقم الشعب المسلم.

(٢) كان من بين هذه المدارس المدرسة الروسية الثانوية بانادير، ومدارس إيطالية، ومدارس التضامن الإسلامي السعودية.

الخارج.<sup>(١)</sup> وسينتقل تركيزنا إلى نظام التعليم الحكومي في محاولتنا لتحليل تكوين النخب في الصومال والبذور التي زرعتها هذه المرحلة في خلق مجتمع متصادمٍ أيديولوجياً.

كانت النخب الحديثة نتاج التعليم الحديث الذي بدأ بوصول القوى الاستعمارية التي كانت تتبنّى، مجملاً، قيم العلمانية. فغذّت القوى الاستعمارية القيم الغربية ونظام الحكم القائم على الفصل بين الدين والدولة. ورسم الدور المبكر الذي لعبته البعثات التبشيرية المسيحية في التعليم إدراكاً في عقول الشعب الصومالي بأن التعليم الحديث يتوازى مع المسيحية، وأنه يجب أن يضمن تحقيق هيمنةٍ استعماريةٍ دائمة عن طريق إدخال الناس بدين المسيحية والاستيعاب الثقافي. وكما قال عبد الرحمن أحمد نور: «استندت منظومة التعليم التي قدّمها الاستعمار على (أ) مستوى قبول الشعب الأفريقي لتغيير الدين والاستيعاب الثقافي. و(ب) طبيعة القوى العاملة المدربة التي اشترطتها القوى الاستعمارية. و(ج) درجة قبول الناس لهذا التعليم أو ممانعتهم له.»<sup>(٢)</sup> فإذا قامت بعض البرامج التعليمية البسيطة قبل الحرب العالمية الثانية في المستعمرة الإيطالية السابقة وأوكلت أمورها إلى الكنيسة الرومانية الكاثوليكية، وحُدّدت أهداف هذه البرامج التعليمية بتوفير عمالٍ مؤهلين لوظائف لا تناسب «العرق الإيطالي المتفوق».<sup>(٣)</sup> كما منع النظام الإيطالي الفاشي، الذي انتهت إليه مقاليد السلطة عام ١٩٢٣ م، التعليم في جميع المستعمرات الإيطالية.<sup>(٤)</sup> ويوجد وثيقةٌ اكتشفت عام

---

(١) تم ابتعاث العديد من الطلاب الصوماليين للدراسة في روسيا، وأوروبا الشرقية، والصين، وإيطاليا، ومصر، والولايات المتحدة الأمريكية، وسوريا، والعراق، وغيرها من البلدان، وكان ذلك بعد عام ١٩٦٠.

(٢) Abdirahman Ahmed Noor, —Arabic Language and Script in Somalia: History, attitudes and prospects‖ (PhD diss., Georgetown University, 1999), 48.

(٣) حكم نظامٌ فاشيٌّ دولة إيطاليا في الفترة ١٩٢٢ - ١٩٤٣، وكان هذا النظام يركز على أيديولوجيا يمينية متطرّفة تقوم على العنصرية والسلطوية.

(٤) Mohamed Sharif Mohamud, —Abdirizaq Haji Hussein, Rais Wasara al-Somali (1964- 1967), 2009‖,

١٩٣٩م بعد هزيمة الإيطاليين في حرب شرق أفريقيا نصّت على أن «هدف التعليم هو تدريب الطلاب على العناية بالتربة أو لتأهيلهم لوظائف لم يتقبلها العرق الإيطالي».<sup>(١)</sup> ويضاف إلى ذلك الإشارة إلى أن الهدف من التعليم كان تمييزاً، فكان هناك مدارس «ثقافية» خصّصت حصراً لأبناء الشخصيات المرموقة «المطاوعة» وكان يُتوقع من هؤلاء الأطفال خلافة آبائهم في خدمة أسيادهم المستعمرين بعملهم كمترجمين، أو موظفين، أو «صبيان» مكاتب.<sup>(٢)</sup>

اختلف الوضع في إقليم الصومال البريطاني، فقد أذى حظر البعثات المسيحية التبشيرية عام ١٩١٠م، والتوجس الذي طغى على المشهد العام، فضلاً عن الحركة الجهادية التي قادها سيد محمد عبد الله حسن، إلى إرجاء جميع محاولات إنشاء نظام تعليمي حديث إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية.<sup>(٣)</sup> فكان هناك مزيجٌ من العوامل التي أجّلت قيام نظام تعليمي حديث في إقليم الصومال البريطاني تمثّلت في المقاومة الصومالية لفرض الضرائب، وتوجسهم من خلط المسيحية بالتعليم الحديث، وجذب الميزانية المالية لقوى الاستعمار. ولكن طرأ شيءٌ من التغيير في ظلّ الجهود المركّزة لنخبٍ صوماليةٍ صغيرة تعلّمت في السودان، والمساهمات اللافتة للصوماليين في الحرب العالمية الثانية، فالتحق ٤٠٠ طالب في عام ١٩٤٥م بسبع مدارس أساسية، إلى جانب مدارس قرآنية عديدة كانت الإدارية البريطانية تدعمها، إلا أن نمو التعليم الحديث كان بطيئاً للغاية بسبب جذب الموارد، ولم تُؤسّس أول مدرستين متوسطتين حتى عام ١٩٥٠م. وُجّه سؤالٌ للسيد Lyttelton، وزير بريطانيا للمستعمرات، في البرلمان البريطاني عام ١٩٥٢م عن وضع التعليم في الأراضي الصومالية الواقعة تحت الوصاية البريطانية، وكان جوابه كما يأتي: «يُقدّر تعداد السكان بـ ٦٤٠ ألف

---

متاح على الرابط:

<http://arabic.alshahid.net/columnists6110/>

(تم الوصول بتاريخ ٢١ أبريل ٢٠١٠).

(١) Pankhurst, Ex - Italian Somaliland, 212.

(٢) Abdullahi, Tribalism, 63.

(٣) Touval, Somali Nationalism, 64.

نسمة، وهناك ١١٣٠ طالب في مدارس أساسية ومتوسطة حكومية، و ٥٠ في مدارس ثانوية، ومن بينهم ٢٥ طالب يدرسون في الخارج تحت رعاية الحكومة.<sup>(١)</sup> وأفاد الوزير بأن ميزانية التعليم تُقسّم إلى ٤٨٥١١ جنيه أسترليني خُصّصت من صندوق الوصاية، و ١٧ ألف جنيه أسترليني من برنامج التطوير الاستعماري والرعاية الاجتماعية. وأضاف بأن عدد المدارس الأساسية هو ١٣ مدرسة تضمّ ٨١٥ طالباً، وثلاث مدارس متوسطة، واحدة منها هي مدرسة تجارية فيها ٣١٥ طالب، ومدرسة إعدادية واحدة.<sup>(٢)</sup> تطوّر التعليم بصورة تدريجية فيما تلا ذلك من أعوام، فزاد عدد الطلاب في أرض الصومال من ٦٢٣ طالباً في عام ١٩٤٨ إلى ٦٢٠٩ طالباً في عام ١٩٥٩ طبقاً للسجلات الحكومية التي كشف عنها أحمد سمتر. أي أن عدد الطلاب قد وصل إلى عشرة أضعاف ما كان عليه في فترة لم تتجاوز العشرة أعوام.<sup>(٣)</sup>

بدأ التعليم الحديث في المستعمرة الإيطالية السابقة التي سيطرت عليها الإدارة البريطانية العسكرية «بدون سقف»<sup>(٤)</sup> بعد الحرب العالمية الثانية، فقد أبدى الصوماليون اهتماماً كبيراً بالتعليم الحديث بفضل مبادرات محلية قام بها ناشطون اجتماعيون وأحزاب سياسية. فكانت الأحزاب السياسية الصاعدة تتنافس فيما بينها على كسب دعم العامة بالاستثمار في مجال التعليم. ولعبت عصابة الشباب الصومالي دوراً رائداً في هذا السباق،

---

(١) للاطلاع على الأسئلة والأجوبة التي أفاد بها وزير الخارجية البريطاني السيد Lyttelton لشؤون المستعمرات، انظر:

[http://hansard.millbanksystems.com/written\\_answers/1952/nov/12/education-british-somaliland](http://hansard.millbanksystems.com/written_answers/1952/nov/12/education-british-somaliland)

(تم الوصول بتاريخ ١٢ أبريل ٢٠١٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) Samatar, Socialist Somalia, 47.

(٤) هذا مصطلح صكّه صالح محمد، ويعني منح الحرية الكاملة في تأسيس المدارس وحتى المنظمات المحلية. كانت هذه الأنشطة محظورة تحت الحكم الفاشي. انظر:

Mohamed, Hudur, 358.

فكان تطوير التعليم الحديث واحداً من الأهداف الرئيسية التي أخذتها العصبة على عاتقها.<sup>(١)</sup> فأقام الحزب عدداً من صفوف التعليم الليلية للبالغين بفضل المساهمات السخية لأعضائه، وبحلول العام ١٩٤٨ كان ٦٥٪ من هذه الصفوف تُدرّس باللغة الإنجليزية مقارنةً بـ ٣٥٪ التي كان التدريس فيها باللغة العربية.<sup>(٢)</sup> انتشرت هذه الصفوف بكثرة في المدن الكبرى مثل مقديشو، ومركا، وكيسمايو، وبيدواه، وبوصاصو، وهرجيسا.<sup>(٣)</sup> واقتدت الأحزاب السياسية الأخرى بهذه الطرق، وبدأت بتأسيس برامج تعليمية مشابهة، ولو أنها كانت أصغر في نطاقها وحجمها. وفي عام ١٩٤٧م كان هناك فقط ١٩ مدرسة تعليم أساسي، تموّلها الدولة، تعلّم اللغة العربية لغةً أولى والإنجليزية لغةً ثانية في الصومال الإيطالي التي انتهت الحكم فيها للحكم البريطاني العسكري. ووصلت ميزانية هذه المدارس إلى ١٦١٩٨ جنية إسترليني من مجموع نفقات الإدارة البريطانية في الصومال التي وصلت إلى ١٣٧٦٧٥٢ جنية إسترليني (مليون وثلاثمائة وستة وسبعين ألفاً وسبعمئة وإثنين وخمسين) أو ما يعادل ١٪.<sup>(٤)</sup> وخلال تلك الفترة اشتهر اسم معلم جامع بلال الذي كان مديراً لأحد أوائل المدارس في مقديشو،<sup>(٥)</sup> وتطوّر الأمر بعد ذلك ليصل عدد المدارس إلى ٢٩ مدرسة بحلول عام ١٩٥٠م يدرس فيها

---

(١) كانت عصبة الشباب الصومالي (SYL) أول حزبٍ سياسيٍّ في الصومال. تأسّس الحزب على أساس كونه منظمّةً شبابية عام ١٩٤٣م، وتحوّل إلى حزبٍ سياسي عام ١٩٤٧م. وحكم الحزب الصومال في الفترة ١٩٥٦ - ١٩٦٩م لَمّا كان الحزب القومي الأول في الصومال.

(٢) Noor, Arabic Language, 63.

(٣) حسن مكي، السياسات الثقافية في الصومال الكبير (١٨٨٧١٩٨٦) (المركز الإسلامي للبحوث والنشر، ١٩٩٠)، ١٤١.

(٤) تماشت سياسة تعليم اللغة العربية في مدارس التعليم الأساسي مع الممارسات السائدة في الصومال البريطاني. انظر:

Salah Mohamed, Hudur, 358-359.

افتتحت عصبة الشباب الصومالية أول مدرسة إعدادية في مقديشو عام ١٩٤٩، وعيّن السيد إسماعيل علي حسين مديراً لهذه المدرسة. انظر: مكي، السياسات، ١٤١.

(٥) Noor, Arabic Language, 52.

١٦٠٠ طالب ويعمل فيها ٤٥ مدرّس.<sup>(١)</sup> ويجدر الذكر إلى أن أول مدرسة ثانوية في تاريخ الصومال تأسست على يد شريف بانا أبا في منطقة حمر - ججب في مقديشو في عام ١٩٤٩ م بدعم لجنة التحسين المحلي، مؤسّسة خيرية محلية.<sup>(٢)</sup> وكان شريف بانا تاجراً صومالياً محسناً ورئيس لجنة التحسين المحلي. وكانت هذه المؤسّسة تباع السكر بهدف استخدام الأرباح لتمويل مشاريع تطوير اجتماعي في التعليم، وبناء دور أيتام، وتقديم مساعدات إنسانية.

تغيّرت أهداف التعليم بصورة جذرية بعد أن صادقت الأمم المتحدة على المهمة الإيطالية في الصومال («AFIS» *Amministrazione Fiduciaria Italiana della Somalia*) عام ١٩٥٠ م التي كان الهدف منها إعداد الصومال للاستقلال خلال فترة زمنية لا تتجاوز العشر سنوات. فتمثّلت هذه الأهداف، كما يبيّن Tripodi، في «حصول النسبة العظمى من الشعب الصومالي على تعليم أساسي على الأقل، وتقديم فرص تعليم عليا للنخبة المثقفة الصغيرة، وتعزيز عملية تأسيس نخبة جديدة تتمتع بتعليم جيد.»<sup>(٣)</sup> وتمّ وضع برنامج تطويريّ مدته خمسة أعوام، بالاستناد على هذه الأهداف، عام ١٩٥٢ م بالتعاون مع اليونيسكو. وتمّ تأسيس مدارس حديثة، ومعاهد تقنية، وبرامج لتدريب المعلمين بالتماشي مع هذه الخطة، وأثمرت هذه البرامج، وفقاً للبروفيسور Lewis، «بالتحاق ما يقارب ٣١ ألف طالباً من كلا الجنسين في المدارس الأساسية بحلول العام ١٩٥٧، فيما وصل عدد الطلاب في المدارس

---

(١) Lee Cassanelli and Farah Sheikh Abdulkadir, —Somali Education in Transition (Bildhan, vol. 7, 2007), 91-125.

يوجد تضارب في البيانات الإحصائية الخاصة بعدد الطلاب الملتحقين. فتقول مجلة بيلدان بأن العدد هو ١٦٠٠، فيما يقول Tripodi بأن العدد هو ٢٨٥٠. انظر:

Tripodi, *The Colonial Legacy*, 59.

(٢) أسّست الجمعية الخيرية مدرسة تستطيع استيعاب ٥٠٠ طالب في العام الدراسي ١٩٤٨ - ١٩٤٩، مع بناء محوي داراً للأيتام. انظر:

Salah Mohamed, Hudur, 361-62.

(٣) Tripodi, *The Colonial Legacy*, 59.



الإعدادية إلى ٢٤٦، و٣٣٦ طالباً في المعاهد التقنية، وبضع مئات آخرين في مؤسسات تعليم عالي<sup>(١)</sup>. وكان ذلك بالفعل تقدماً لافتاً على صعيد التعليم الحديث مقارنةً بما كان عليه الحال قبل الخمسينات، حينما كان عدد الطلاب المستفيدين من برامج التعليم لا يتجاوز ألفي طالب. ولكن لم يكن هناك سوى ثمانية مدارس إعدادية حكومية، وسبعة من هذه المدارس الثمانية كانت تدرّس باللغة الإيطالية<sup>(٢)</sup>. ظهرت أيضاً عددٌ من المدارس المختصة، إلى جانب توسيع رقعة المدارس الحكومية، مثل معهد السياسة والإدارة التي تأسست في مقديشو في الخمسينات، وكان الهدف من هذا المعهد هو تدريب المسؤولين الصوماليين والقادة السياسيين ودمجهم في نظام الحكم الإيطالي.

وكان عددٌ كبيرٌ ممن يدرسون في هذا المعهد أعضاء في عصبة الشباب الصومالي وغيرها من الأحزاب السياسية. وقدّمت بعض المنح الدراسية لبعض من خريجي هذا المعهد لإكمال تحصيلهم التعليمي في جامعة بيروجيا في إيطاليا، فيما تمّ توفير آخرين خلال برنامج الحكومة الصومالية الذي سار بوتيرة سريعة، وإعطائهم وظائف إدارية في الحكومة بعد ١٩٥٦ م. وكان هناك ٤٣٨٠ صوماليٍّ يعمل في وظائف حكومية خلال تلك الفترة، أي ٨٨٪ من القوى العاملة، وكان هذا رقماً كبيراً مقارنةً بإقليم الصومال البريطاني خلال ذات الفترة، فلم يتجاوز عدد الموظّفين الـ ٣٠٠ موظّف في إدارة الدولة، من بينهم ثلاثون فقط (١٠٪) من أصولٍ صومالية<sup>(٣)</sup>. وتأسست معاهد أخرى عام ١٩٥٤ م، وكان أهمها المعهد العالي للقانون والاقتصاد، والذي تحوّل لاحقاً إلى كلية الصومال الجامعية، وتمّ توسّعها

---

(١) Lewis, A History, 140

(٢) Noor, Arabic Language, 59

(٣) البرنامج الحكومي الصومالي كان برنامجاً لتوكيل الصوماليين مسؤولية إدارة البلاد عبر تدريبهم على يد مسؤولين إيطاليين. وكان الفرق كبيراً وواضحاً في الأساليب الإدارية ورفد النخبة الجديدة بين مستعمرة البريطانيين ومستعمرة الإيطاليين تحت وصاية الأمم المتحدة. انظر:

Tripodi, The Colonial Legacy, 75.

لتكون نواة جامعة الصومال الوطنية عام ١٩٦٩ م.<sup>(١)</sup> وكان هناك أيضاً منحٌ دراسية، وندوات، وزياراتٌ رسميةٌ إلى إيطاليا قُدمت للنخب الصومالية لتلقيهم اللغة والثقافة الإيطالية، وهو ما أدّى إلى الظهور التدريجي لنخبةٍ صوماليةٍ جديدةٍ تحمل قيم الثقافة الإيطالية، وتتمتع بتعليمٍ حديثٍ أفضل وامتيازاتٍ وظيفيةٍ أعلى. وتقلّدت هذه النخبة قيادة الأحزاب السياسية، والوظائف الحكومية العليا، ورئاسة القطاعات، وأخذوا أيضاً مناصب محافظي المحافظات، فضلاً عن إيجاد وظائف لهذه النخبة الجديدة في الأجهزة الأمنية للدولة.<sup>(٢)</sup> وتنامى دور النخبة الجديدة بصورةٍ متسارعةٍ أكثر في ظلّ تدشينهم أنفسهم نخبةً حاكمَةً عام ١٩٥٦ م حينما استبدلوا الإيطاليين في جميع المناصب الإدارية العليا على طريق إعداد الصومال للاستقلال عام ١٩٦٠ م. ولكن لم يكن هناك أي إنجازٍ أو تطورٍ يستحق الذكر على صعيد التعليم العالي. «فوفقاً لتقريرٍ نشرته الأمم المتحدة عن الصومال قبل ثلاث سنوات من موعد الاستقلال المحدّد، لم يكن هناك ولا طبيبٌ صوماليٌّ واحد، أو صيدلي، أو مهندس، أو معلّم ثانوية في كل الصومال.»<sup>(٣)</sup> ولكن كان هناك ٣٧ طالبٍ صوماليٍّ في الجامعات الإيطالية في

(١) Lewis, A History, 141.

انظر أيضاً موقع الجامعة الصومالية الوطنية:

<http://snu.edu.so/overview/>

(تم الوصول بتاريخ ١٩ أبريل ٢٠١٧).

(٢) تم إرسال أول ثمانية ضباط شرطة إلى إيطاليا لتلقي تدريبهم هناك يوم ٢٥ أغسطس ١٩٥٢. وكانوا محمد سياد بري، وحسين كلمي أفرح، ومحمد إبراهيم (ليقلقتو) ومحمد أبشير موسي، وعبد الله علي محمد، وداوود عبد الله حربي، ومحمد أينانشي جوليد، ومحمد بن خميس. وتم إرسال أول ١٣ ضابطاً مدنياً عام ١٩٥٣، وكانوا حاج عمر شيجو، وحجي بشير إسماعيل، وعبد الرشيد علي شرمكي، وظاهر حاج عثمان، وعلي شيدو عبدي، وعلي عمر شيجو، ونور أحمد عبد الولي (كاستيلي)، وأحمد عدي موني، وعثمان عمر شيجو، وحسين محمد حسين (واكوي)، وعبدي شيخ عدن، ومحمد شيخ جيبو، وأويس شيخ محمد. انظر:

Maxamad Ibrahin Maxamad —Liiq - liiqatoll, Taariikhda Somaaliya: Dalkii Filka Weynaa ee Punt (Mogadishu: 2000), 127.

(٣) Noor, Arabic Language, 52.

العالم الدراسي ١٩٥٧-١٩٥٨، من بينهم ٢٧ طالبٍ كان يُتَوَقَّعُ تخرجهم في عام ١٩٦٠. (١)

انتهت مقاليد الحكم إلى النخب الحديثة الذين صاروا القادة الوطنيين للدولة الصومالية مع إعلان الاستقلال عام ١٩٦٠م بتوحيد الأراضي الصومالية الواقعة تحت محمية البريطانيين مع الصومال الإيطالي. وتعمّدت مشكلة الشدّ والتنافس بين اللغتين الإيطالية والعربية مع دخول اللغة الإنجليزية التي كانت اللغة الرسمية لنخب إقليم الصومال البريطاني. فتمّ اعتماد سياسة تعليمية توافق بين اللغات الثلاث، الإنجليزية والعربية والإيطالية، في ظل ذلك. فكانت العربية هي لغة التعليم الأساسي، وكانت الهيمنة للإنجليزية في التعليم المتوسط والثانوي، ولكن بقيت الإيطالية هي اللغة الإدارية وحافظت على دورها بفضل المدارس الإيطالية المتخصصة والمنح الإيطالية. كما طغت اللغة الإيطالية على المستوى الجامعي في السبعينات. بدأت التوجهات الصومالية السياسية بالتبلور بعد الاستقلال، وكان هناك عداوة شديدة بين معسكر الشرق ومعسكر الغرب، حلال الحرب الباردة، ومزّق هذا التنافس دولة الصومال. ركّزت هذه المنافسة على ثلاثة محاور، التعليم، والجيش، والتطور الاقتصادي.

فركّز تنافس اللاعبين الخارجيين في قطاع التعليم على تقديم منح دراسية لخريجي المدارس الثانوية الذين كان يُتَوَقَّعُ لهم أن يشكّلوا التوجهات السوسيوسياسية لنخب المستقبل. فتُظهر بيانات إحصائية غير مكتملة، على سبيل المثال، ما يلي من التوجهات: كان هناك ٥٠٠ طالبٍ مدني يدرسون في الاتحاد السوفيتي في الستينات، و٢٧٢ في إيطاليا، و١٥٢ في السعودية، و٨٦ في الولايات المتحدة الأمريكية، و٤٠ في السودان، و٣٤ في

---

(١) في عام الاستقلال، ١٩٦٠، لم يحصل سوى ٢٧ صوماليّاً على شهادتهم الجامعية في إيطاليا. تَخَصَّصَ واحدٌ منهم في الطب، وستّة في العلوم السياسية، وواحدٌ في علم الاجتماع، وتسعة في الاقتصاد وإدارة الأعمال، وواحدٌ في الصحافة، وثلاثة في الطب البيطري، وإثنان في العلوم الزراعية، وواحدٌ في العلوم الطبيعية، وواحدٌ في الصيدلة، وواحدٌ في اللغويات. انظر:

بريطانيا، و٣٢ في فرنسا، و٢٩ في الهند.<sup>(١)</sup> ويُستشفى من هذه الأرقام هذا أن مجموع المنح المقدمة من الدول الغربية كان أقل من عدد المنح التي قدّمها الاتحاد السوفيتي وحده. ولكن تبقى هذه الأرقام غير مكتملة، فهناك عددٌ من الدول العربية القومية التي قدّمت منحاً سخية للصومال، مثل مصر، وسوريا، والعراق، ولكن لم يتم ذكرها من بين هذه الأرقام، وكذلك الأمر لمنح أخرى أيضاً من دولة الصين، وغيرها من دول المعسكر الشرقي مثل تشيكوسلوفاكيا، وبولندا، ورومانيا، وألمانيا الشرقية. وكان من الواضح بأن الشرق نجح في استمالة الصومال، فتدرّبت النخب الجديدة في بلدانٍ اشتراكية إضافةً إلى حلفائهم من الدول العربية التي لعبت دوراً هاماً في المستقبل السياسي الصومالي. فبالانتقال إلى القطاع العسكري، نرى هذه التوجهات بصورة أوضح، فاغتنم الاتحاد السوفيتي عدم رضا الصومال عن حجم المساعدات الزهيدة للصومال في مجال التطوير العسكري، ووافق على مساعدة دولة الصومال، عام ١٩٦٢م، على بناء جيشٍ قوي، وهو ما كان جزءاً من استراتيجية الاتحاد السوفيتي خلال الحرب الباردة التي كانت تسعى إلى موازنة الوجود الأمريكي في أثيوبيا. فطبقاً لـ Laitin وسمتر، قدّمت الدول الغربية مقترحاً مشتركاً لمساعدة الصومال بمبلغ يصل إلى ١٠ ملايين دولار لجيشٍ يبلغ تعدادُه ٥٠٠٠ مقاتلاً، مقارنةً بعرض الاتحاد السوفيتي الذي أبدى استعداد لإقراض الصومال ٥٢ مليون دولار وجيشٍ يبلغ عدده ١٤ ألف مقاتلاً. وطبعاً كانت الغلبة للاتحاد السوفيتي الذي نجح في انتزاع زمام تدريب الجيش الصومالي.<sup>(٢)</sup> قُدّر عدد الضباط الصوماليين الذين تدرّبوا في الاتحاد السوفيتي فقط بـ ٥٠٠ ضابط بحلول عام ١٩٦٩م. فإذا تشرّبت الجزء الأكبر من النخب الصومالية الحديثة، بطريقةٍ أو

---

(١) Luigi Pastaloza, The Somali Revolution (Bari: Edition Afrique Asie Amerique Latine, 1973), 350.

(٢) انظر:

David D. Laitin and Said Samatar, Somalia: Nation in Search of a State (Boulder: Westview Press, 1987), 78.

بأخرى، الأيديولوجيا الاشتراكية، ولو أنهم تلقوا تعليمهم في البداية في كنف نظامٍ تعليميٍّ غربي.<sup>(١)</sup> وأضفت النخب التي تمّ تدريبها في بلدانٍ اشتراكيةٍ توجهاً يسارياً متطرفاً على عملية الغربنة المتزايدة، وهي ظاهرةٌ تجلّت في النظام العسكري عام ١٩٦٩ م.

## بروز العشائرية السياسية

كان الهدف من سياسات الاستعمار في اختيار أبناء شيوخ العشائر هو ترسيخ تتابع سلاطنتي في النخب الحاكمة. فصارت النخب التقليدية الآن تستطيع أن تسكن في المدن، والبلدات، والقرى لأن معظمهم كان يُصرف لهم رواتب، وكانت لهم علاقاتهم بالحكومات الاستعمارية، وفي المقابل استقر كثيرٌ من علماء الإسلام التقليديين في المناطق الشعبية، أو أسسوا مستوطناتهم وقراهم الخاصة.<sup>(٢)</sup> ومكّن ذلك أبناء هذه النخب التقليدية من الدراسة في المدارس الحديثة، والحصول على فرص عملٍ مبكرةٍ في مؤسسات الدولة. وطبعاً كان هناك سياقٌ تنافسيٌّ مدنيٌّ آخر في الصومال الذي هيمن عليه أولئك الذين تواصلوا مبكراً مع الإيطاليين والبريطانيين، أو كانوا محاربين غير نظاميين شاركوا في الحروب المختلفة، واستقروا بعد ذلك في المدن. كما هناك أيضاً نخبةٌ تجاريةٌ صغيرةٌ شكّلت الغالبية في المناطق الحضرية مع الشريحة المتمدّنة الأصلية التي كانت تسكن ساحل بنادر. وضمن الأبناء المتعلّمون للنخب التقليدية استمراريةً شكّلتها قرابة الدم بين النخب التقليدية والنخب الحديثة. ويظهر بأن تهميش النخب التقليدية لم يكن مشكلةً في ظل تمكين نسلهم في مؤسسات الدولة الحديثة. فحدّدت، بهذه الطريقة، معالم أدوار النخب التي كانت تجمعها قراباتٌ، فكان الآباء وأولاد العمومة مسؤولين عن الشؤون الاجتماعية، فيما هيمن أبناءهم على المشهد السياسي الحديث.<sup>(٣)</sup>

---

(١) Ahmed Samatar, *Socialist Somalia*, 78.

(٢) كانت البلدات في الصومال تُبنى بالقرب من مصادر المياه. ويمكن أن تكون هذه المصادر أنهاراً، أو بحاراً، أو سدوداً. وكان التجار الأوائل هم الذين تعلّموا القراءة والكتابة وتلقوا تعليمًا إسلاميًا تقليدياً. وكان يوجد مسجدٌ في كل مستوطنة، ومدرسةٌ قرآنية، وتم أيضاً تأسيس حلقاتٍ لتعليم الدين.

(٣) عن تشكيل النخب الحديثة، انظر:

Abdullahi, *Tribalism*, 62-75.

ويجدر الذكر أيضاً بأن الزواج من الأقارب كان عادةً طاغيةً بين النخب التقليدية لعددٍ من الأسباب، من بينها ضمان وجود مجتمعٍ متناغم، ولهذا كان هناك العديد من صلات القرى التي تجمع شيوخ القبائل وعلماء الإسلام. كما أن النخب الصومالية المبكرة كانوا في جملتهم مهاجرين جدد استقروا في الحضر أو جنوداً تم تجنيدهم في الحقبة الاستعمارية. وهكذا كانت الفجوة بين النخب التقليدية والنخب الحديثة ضيقة جداً، بل ومثل بعضهم نخباً تقليدية أعادوا تكييف أنفسهم ليصبحوا نخباً حديثة. جرت هذه العملية بعد عام ١٩٥٠ مع تأسيس المجلس الإقليمي في الجنوب والذي بلغ عدد أعضائه ٣٥ عضواً، وهيمنت النخب التقليدية على عضويته. وهيمنت النخب التقليدية أيضاً في إقليم الصومال البريطاني، حيث تجلّت هذه الظاهرة بصورة أوضح لما تشكّل المجلس الاستشاري حصراً من شيوخ قبائل.<sup>(١)</sup>

وكبرت الفجوة بين النخب التقليدية والنخب الحديثة مع توسع رقعة التعليم الحديث والتمدن. فتشرب أبناء النخب التقليدية ثقافات وأعراف الحضر، وصاروا متمدّنين. فكان التغيير، على هذا الصعيد، تدريجياً أو في بعض الأحيان نتيجة حدوث نقلة ثقافية. فقد وفرّ التعليم الحديث تعليماً موحداً لجميع السكان، أي أن الامتيازات التي كانت حصراً في السابق على أبناء الشخصيات المرموقة صارت الآن متاحةً لشرائح اجتماعية أخرى. وكان الأطفال يتفاعلون ويحتكون مع أبناء الحارة عوضاً عن أبناء قبيلتهم، فكانت ألعابهم مختلفة، وكانوا يشاهدون الأفلام، ويتردّدون على دور السينما. وكان بعضهم يزورون النوادي الليلية، ويدخنون، ويشربون الكحوليات، ويعاشرون النساء خارج الإطار الشرعي. وكانوا يلبسون ثياباً أوروبية، ويقرأون كتباً ومجلاتٍ أوروبية، ويأكلون أطعمةً أوروبية. فبدأت عملية التغريب الثقافي هذه بتحويل الجيل الصومالي الحضري الذي تم تحفيزه لمحاكاة عادات شعوب البيض الأوروبيين المهيمنة. وطفّت على السطح ثقافةٌ مدنيّةٌ مهجّنةٌ وحركةٌ اجتماعيةٌ مضطّرة بعد الاستقلال عام ١٩٦٠ في ظل هجرة سكان المناطق البدوية إلى المدينة كانت نتيجة تمازج الثقافة الصومالية البدوية مع ثقافة متمدّنة تشربت القيم الأوروبية. ويبدو بأن

---

(١) Lewis, A History, 144.

النخب القومية وجدت أنفسها على مفترق طرقٍ خلال هذه السنوات بين رؤاهم الشعبية الأصلية وبين القيم النخبوية التي برزت بين تعليمٍ دينيٍّ محافظ، وبين تعليمٍ ليبراليٍّ حداشي من جهة، وبين الاتكالية على العشيرة، والاعتماد على الذات في ظل حياة المدينة من جهةٍ أخرى. وتأججت حالة من النقم في صدور علماء الإسلام المحافظين على هذه الثقافة الغربية المتنامية التي كان لها أثرها على الحياة الاجتماعية.

فشلت النخب الحديثة في تجاوز الانقسامات والتبعيات التقليدية على المشهد السياسي. فبقيت الأحزاب السياسية في الخمسينات تقوم على الانقسامات العشائرية، باستثناء عصبة الشباب الصومالي الذين كانوا ينادون بقيم وأفكارٍ قومية. <sup>(١)</sup> وكانت الأحزاب السياسية الرئيسية في الصومال الإيطالي في الخمسينات هي عصبة الشباب الصومالي، وحزب دجل ومرفله (HDM) والاتحاد الصومالي الوطني (SNU)، وعصبة الصومال الكبير (GSL)، وحزب الشباب الصومالي الليبرالي (PLGS). <sup>(٢)</sup> وكانت الأحزاب الرئيسية، خلال نفس الفترة، في إقليم الصومال البريطاني هي العصبة الصومالية القومية، والحزب الصومالي الموحد (USP)، والجبهة الوطنية الموحدة (NUF). <sup>(٣)</sup> وحاربت كل هذه الأحزاب العشائرية

---

(١) كانت عصبة الشباب الصومالي حزباً قومياً، ولكن كان معظم أعضائه من عشيرتي دارود (٥٠٪) وهويه (٣٠٪) فلم يستطع الحزب تجنيد أعضاء له من عشائر كبيرةٍ أخرى، مثل دجل ومرفله، وقد شكّلت هاتان العشيرتان حزبهما الخاص (HDMS). انظر:

Lewis, A History, 146

ولكن تبقى هذه الإحصائيات أرقاماً تخمينية، ولا تغطّي سوى السنوات المبكرة لعصبة الشباب الصومالي، وقد هيمنت هاتان القبيلتان على الحزب في سنواته الأولى.

(٢) شاركت هذه الأحزاب الخمسة في الانتخابات البلدية والانتخابات العامة التي أقيمت عام ١٩٥٤م، وعام ١٩٥٨م، وعام ١٩٥٩م. وفاز حزب عصبة الشباب الصومالي بأغلبية ساحقة في هذه الانتخابات، فيما نُظر لحزب دجل ومرفله على أنه الحزب الثاني المعارض في البلاد. للحصول على تفاصيل أداء هذه الأحزاب في هذه الانتخابات، انظر:

Touval, Somali Nationalism, 88.

(٣) تشكّل حزب العصبة الصومالية القومية عام ١٩٥١م، وكان ينادي بنفس البرنامج القومي لحزب العصبة

والقبائلية، وكانت تحاول تقويضها في كل مناسبة. واللافت للنظر أن هذه الأحزاب جميعها، سواءً في الجنوب أو الشمال، كانت تحاول أن تتحدث بلغة الحداثة، مناديةً بأيدولوجيا قومية تدمّ العشائرية وتنادي بإقصائها. ولكن في النهاية كانت العشائرية السياسية تسود المشهد دون أي رادعٍ أو منافس، فلم يكن هناك أي طريقةٍ للوصول إلى مناصب سياسية في البرلمان أو في الحكومة إلا عبر النجاح في اختبار العشائرية السياسية الشائك. وكانت العشائرية السياسية هي المكان الوحيد الذي يقوم فيه الجميع بحشد عشيرته للتصويت له في دائرته الانتخابية. وتشكّلت أسس الثقافة السياسية الصومالية خلال السنوات الأولى من التجربة السياسية في الخمسينات.<sup>(١)</sup> وكانت هذه الثقافة مزروعةً في جزءٍ منها داخل النظام السياسي، وتفرّعت، جزئياً أيضاً، من الثقافة الصومالية التقليدية. يمكن تلخيص هذه الثقافة السياسية في النقاط التالية: حتمية وضرورة التبعية العشائرية، وسلوكيات المحاباة التي تنجم عن ذلك، وتعميم السياسية في سبيل الكسب الاقتصادي، وشيوع التزوير، والاحتيال، والعنف كوسائل سياسية، والتخبط والتبعية للرعاية الأجنبية. وأنجبت هذه الثقافة السياسية المتخبطة التي تركز على الارتباطات العشائرية والمصالح الشخصية ولاءاتٍ راسخة ونهماً شخصياً. ولا يمكن وضع حدٍّ لها سوى بالقفز فوق الحدود القومية والسعي لإيجاد رعاةٍ أجنب. وطفّت على السطح،

---

الشباب الصومالي، وانبثقت الجبهة الوطنية الموحدة (NUF) مع طفو قضية الهاود، حينما تمّ إعطاء أراضي صومالية لأثيوبيا، لتكون منصةً ميسرةً ومشتركةً لجميع الأحزاب والمنظمات، ولكن تطوّرت الجبهة لتصبح حزباً سياسياً منفصلاً له أجندةٌ قوميةٌ قوية. وتأسّس الحزب الصومالي الموحد عام ١٩٦٠م وجذب بعضاً من الأعضاء السابقين في عصبة الشباب الصومالي في الصومال البريطاني. انظر:

Somali Nationalism, 104-108.

(١) عن العشائرية السياسية، يمكن الرجوع إلى:

Aweys Osman Haji and Abdiwahid Osman Haji, Clan, sub-clan and regional representation 1960-1990 - Statistical Data and findings (Washington D.C., 1998).

أيضاً:

Maryan Arif Qasim, Clan versus Nation (Sharjah: UAE, 2002).



نتيجةً لذلك، ظاهرة عشائرية سياسية جديدة في ظل التمدن داخل النخبة الصومالية الحديثة خلال سنوات النشاط السياسي الأولى في الخمسينات. وتمايزت هذه الظاهرة من النظام العشائري التقليدي في ظل المناخ الإيكولوجي ونمط الحياة القائم على التمدن والجماعية. وصارت بهذا العشائرية السياسية صورةً من صور التعاون والاحتكاك الجماعي بين أبناء العشائر الذين يقيمون في المدن بتطورها داخل الوسط المدني كاستمرارية لشبكات العوائل الممتدة. فتعاون وتآلف أبناء العشائر على مساعدة المهاجرين الجدد من الريف وأبناء مجتمعات المحتاجين، مع تنظيم مراسم الزواج والعزاءات. لقد خلق أبناء العشائر شبكات تنظيمية غير رسمية لها ممثلون معترف بهم في المدن. فاستطاعت العشائر، بهذه الطريقة، أن تصون شبكاتها العشائرية في وسط الحضر عن طريق إعادة تنظيم أنفسهم والتعاون مع العشائر الموجودة في مناطقهم الأصلية. ولكن تشكّل وعي سياسي محدّد لهذه الشبكات بصورة تدريجية، وهو ما أدّى إلى مقارنة الدور السياسي لأعضائها من أبناء العشيرة الواحدة مع غيرهم من أبناء العشائر الأخرى. فكان زعماء العشائر يحرصون على تفهم وظائف أبناء العشيرة وتحسين وضعهم الاقتصادي ودورهم السياسي. وكان «تسجيل المواقف» أمراً مهماً جداً لحساب المساهمات الاجتماعية، وكان ذلك يُسمّى (Qaraan). ونرى إذاً بأن هذه الشبكات كانت تعمل بفعالية عالية، وكان كلّ منها يسعى للحصول على الامتيازات وتطوير شبكاته المجتمعية المحدّدة. وكانت النخب السياسية التي تسعى لدخول غمار الانتخابات في دوائر مناطقهم حريصةً على استغلال هذه المنظّمات الشبكية العشائرية، وهكذا تم تسييس العشائر إلى درجة كبيرة. كما أن النظام الانتخابي الذي وضعه الإيطاليين عزز هيمنة العشائرية السياسية وأضعف الأجندة القومية. وينقل Tripodi عن Mario d'Antonio في نقده للنظام الانتخابي الصومالي:

«كان السير بخطى حذرٍ أمراً ضرورياً على طريق رسم تدابير مبتكرةً راديكالية، حتى في ظروف كهذه. فيجب الموافقة بين نزعتان تنطويان على بنية اجتماعية مختلفة، وأسلوب حياة مختلفة، وعقلية مختلفة في الصومال. فهناك الصومال القديمة، الصومال القبلية، التقليدية،

البدوية، المرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالماضي والعرق والدين، وهناك، على طرف النقيض، صومالٌ حديثةٌ تنشأ لها شعب مدنها وقراها الصغيرة، والتي أسست بلدياتٍ انتخابيةً منظّمةً في أحزابٍ سياسيةٍ متنوّعة، وتكيّفت سريعاً على أسلوب حياةٍ حديث وتبنت بعض التقنيات المنتجة التي جاء بها الغرب.<sup>(١)</sup>

لم تحصل هذه الموافقات على النحو المؤسّساتي، إلا أن النظام العشائري التقليدي، والأحزاب السياسية كانا يداريان بعضهم البعض، وكانت العشائرية السياسية تضرب جذوراً عميقةً في أنساق النخبة الجديدة، بعيداً عن الخطاب القومي. وعلى صعيدٍ آخر، كانت النخب الحديثة، تدفع باتجاه مواجهة ما اعتبروه أخطر تهديدٍ على القومية: التأثير الخبيث للعشائرية السياسية أو «سرطان الدولة الصومالية»،<sup>(٢)</sup> عوضاً عن محاولة إيجاد صورةٍ تصالحٍ أو تفاهم. فحاولت النخب الحديثة تطبيق ثلاثة وسائل، ولو أناً أيّاً منها لم يأتِ بأي نتيجة. فكانت أولى هذه الوسائل هي التمثيل النسبي للعشائر في الحكومة، والمناصب، والخدمة العامة على أمل إيجاد مجتمعٍ متوازن يكون فيه لجميع المواطنين نسبةً بالاعتماد على التفاوت العشائري. ولكن صيانة هذا التوازن لم يكن سهلاً على أرض الواقع، فحظيت بعض العشائر بفرصٍ اقتصاديةٍ وتعليميةٍ أفضل واستغلت هذه الامتيازات وحصلت على مناصب حكومية هامة. وخلقت هذه المشكلة حالةً من الاستياء لدى العشائر المهمّشة. وكانت الوسيلة الثانية هي تبجيل القومية الصومالية وقدح العشائر والعشائرية ورفضها، وبموقفهم هذا، اعتقد القوميون بأن استئصال العشائرية سيكون أسهل كلما كان الحديث أقلّ عنها، وهكذا كان، فانهال المديح والتبجيل على القومية في الأوساط الإعلامية العامة، وعبر الأغاني والأشعار، فيما

---

(١) Tripodi, The Colonial Legacy, 77-78.

(٢) Abdalla Omar Mansur, —Contrary to a Nation: The Cancer of the Somali State, in Jumale (ed.), The Invention of Somalia (Lawrenceville: The Red Sea Press, 1995), 107-116.

اعتبرت العشائرية بأنها التحدي والمرض القومي الأعظم. أما الطريقة الثالثة فقضت بأن العشائرية يجب أن يتم التعامل معها عبر القوى التشريعية والقوانين التي توضع للحد من تأثير العشائرية. وكانت الغاية من هذه القوانين هي تقليل سلطة شيوخ العشائر وتقليص التضامن العشائري، واقتضى هذا التشريع حظر استخدام اسم العشيرة. بل إن النظام العسكري الذي قام عام ١٩٦٩م أخذ منحى أكثر راديكالية بحلّ نظام الدية (تعويض ما يُسْفَك من الدم بدفع مبلغ مالي يتكفّل به أبناء العشيرة بصورة جماعية)، وأعاد تسمية شيوخ العشائر، ودشّن نظام تأمين للمركبات ليحلّ محلّ نظام الدية الجماعي في الأوساط الحضرية. وترتّب على ذلك أن التأمين يتكفّل بدفع الأضرار في حال وقوع حادث بدلاً من العشيرة. وعمدت النخبة الحديثة إلى دفن صورة العشائرية بعيداً عن الذاكرة العامة تحت ظلّ النظام العسكري باستخدام دعاية اشتراكية، وصار التخلص من آفة العشائرية برنامجاً ذا أولوية سُمّي Dabar-goynta qabyaaladda، ويعني «إقصاء العشائرية». ولكن لم تُؤت أيّ من هذه الوسائل ثماراً ملموسة. ورأى علماء الإسلام، من زاوية أخرى، بأنه يمكن تلطيف أثر الانقسام العشائري دون التخلص منه، وآمنوا بأنه يمكن توحيد الشعب الصومالي ولكن لا بدّ من إحياء قيم الإسلام المتمثلة بالأخوة والتكافل، وهي بحاجة لاقت صدىً تاريخياً في ممارسات جماعات الطرق الصوفية. وانطلقت النخب الإسلامية من هذا المنظور لرسم أجندةً مختلفةً للصومال. ولكن كان يجب اعتماد تغييراتٍ بنوية للقوانين الانتخابية ونظام الأحزاب السياسية من شأنها إضعاف العشائرية السياسية وتجفيف عيون بيئتها السامة، إلى جانب رفع القيم الإسلامية والقومية.

\*\*\*

## صحوة النخب الإسلامية

تطوّرت النخبة الإسلامية الحديثة عبر قناتين، كانت أولاهما التعليم الرسمي في المدارس العربية/ الإسلامية لمّا حظي بعض خريجي هذه المدارس بفرصة إكمال تحصيلهم العلمي في مؤسسات تعليمٍ عليا في بلدانٍ عربيةٍ مختلفة مثل مصر، والسودان، وسوريا، والعراق، والمملكة العربية السعودية. ولكن هذا لم يعني بأن هؤلاء الطلاب تشربوا بصورة تلقائيةً الأجندة الإسلامية، فمعظم مؤسسات التعليم العالي في الدول العربية قد مرّت بمرحلة علمنة تحت ظلّ الحقبة الاستعمارية وما تلاها من حركاتٍ عربيةٍ قومية، إلا أن طلاب المدارس العربية تشبّعوا الثقافة الإسلامية/ العربية، وصار بعضهم على درايةٍ بالتوجهات الإسلامية الجديدة في العالم الإسلامي، سواءً أكان ذلك بالتواصل المباشر معها، أو بقراءة أدبياتٍ منشورة. والعملية الثانية هي عبر أولئك الذين سافروا إلى خارج الصومال بعد أن أصبحوا يُعدّون علماء إسلامٍ بالطرق التقليدية في الصومال لينضموا إلى مؤسسات تعليمٍ عالي. وتواصل هؤلاء مع علماء وطلابٍ مسلمين من شتى بلاد الإسلام التي شهدت قيام حركات نهضةٍ إسلامية. وسُمّي هؤلاء فيما بعد «علماءً إسلاميين انتقاليين» وجاءت التسمية من عمل هؤلاء على ردم فجوة الانقسام بين التعليم الإسلامي التقليدي وبين التعليم الإسلامي الحديث. وصار هؤلاء العلماء رواد الحركات الإسلامية الحديثة في الصومال. ومن أبرزهم الشيخ علي صوفي، وسيد أحمد شيخ موسى، والشيخ عبد الغني شيخ أحمد، والشيخ نور علي علو، والشيخ محمد أحمد نور (جاريان)، والشيخ محمد معلم حسن، والشيخ عبد الله معلم، والشيخ عبد الرحمن حسين سمتر، والشيخ علي إسماعيل، والشيخ إبراهيم حاشي، وشريف محمد وغيرهم.

بدأ تهميش النخب الإسلامية بحرمانهم من التساوي في فرص العمل. فلم يكن، على سبيل المثال، بمقدور خريجي المدارس الثانوية والجامعات العربية التنافس على الوظائف المحلية مع خريجي المدارس الحكومية وغيرها من المدارس غير الحكومية بسبب عائق

اللغة. فبقيت اللغة الإدارية في الصومال الإيطالية أو الإنجليزية إلى أن تم كتابة اللغة الصومالية المكتوبة عام ١٩٧٢ م. كما أن المدارس الثانوية العربية كانت محدودةً في نطاقها وكانت تقدّم شهاداتٍ ثانويةٍ عامة في الفنون والعلوم، فيما ركّزت مدارس الأزهر على علوم الفقه واللغة العربية، فيما كانت المدرستان الثانويتان الإيطاليتان في مقديشو تقدّمان شهاداتٍ ثانويةٍ علميةٍ عامة، وشهاداتٍ فنيةٍ متخصصةٍ أيضاً.<sup>(١)</sup> واستهدف التعليم التقني توفير قوى عاملةٍ مدربةٍ للعمل في الخدمات الحكومية المدينة والشركات الخاصة. وقدّمت هذه المدارس تخصصاتٍ في مجالات المحاسبة، والإدارة، والتدريب التقني على الهندسة المدنية. وهكذا لم يستطع التعليم العربي التنافس مع السوق المحلي، سواءً على النطاق اللغوي أو التأهيلي. ولهذا كانت فرص العمل المتاحة لخريجي المدارس والجامعات العربية هي القضاء أو تدريس اللغة العربية والإسلام برواتب زهيدة، أو الالتحاق بالجيش.

خلقت هذه اللامساواة البنيوية تشعباً في أنساق النخب في ظلّ تنوع المناهج واللغات، فكان التمييز بحق النخب التي درست باللغة العربية فيما كان يفترض به أن يكون فرص عملٍ متساويةً لجميع المواطنين عاملاً أجبر كثيراً من هؤلاء النخب بالتفكير بطرقٍ بديلة أو تغيير النظام. فكان طلاب علوم الإسلام يرون زملاءهم الذين تخرّجوا من مدارس إيطالية وإنجليزية يحصلون على فرصٍ أفضل، بل ويُبعثون إلى الولايات المتحدة الأمريكية، أو يحصلون على رواتب أعلى في مؤسساتٍ حكومية. فأدرك الطلاب الذين يدرسون باللغة العربية بأن الفرص المتساوية التي يمكن لهم الحصول عليها ستكون فقط إما بالانضمام إلى الجيش أو البحث عن منحٍ في بلدانٍ اشتراكيةٍ مثل الاتحاد السوفيتي، وألمانيا الشرقية، والصين. فكان جميع الصوماليين متساويين في هذه البلدان، حيث أن عليهم جميعاً تعلم لغةٍ جديدة. وكانت الاستثناءات هي المنح المدنية والضباط المتدربين الذين يتم إرسالهم إلى

---

(١) كانت هاتان المدرستان هما «liceo scientifico» و«Scuola Reineria and Geometero» وكان المتخرّجون من هذه المدارس يتمتّعون بفرصٍ عاليةٍ للحصول على الوظائف. أكسماد كالي كولوسو في مقابلةٍ مع المؤلف بتاريخ ٢٠ يونيو ٢٠٠٩ في العاصمة الكينية نيروبي

إيطاليا، والذي يُشترط أن يكونوا قد تخرّجوا من مدارس إيطالية، وفي المقابل كان يجب على المستفيدين من المنح المدنية والضباط المتدربين الذين يُرسلون إلى مصر، وسوريا، والعراق أن يكونوا ملّمين باللغة العربية.

وخلق توجه إرسال الصوماليين الشباب إلى بلدانٍ شرقيةٍ وغربيةٍ تحكمها أيديولوجياتٌ اشتراكيةٌ أو رأسماليةٌ حالةٌ من الانفصام الثقافي والأيديولوجي مع مرور الزمن على أوتار حمى الحرب الباردة. فلم يستطع عددٌ كبيرٌ من الصوماليين المحترفين الذين تخرّجوا من العديد من الجامعات من مختلف دول العالم أن يحصلوا على وظائف إبان عودتهم إلى بلادهم. فقد كانت هذه البطالة نتيجة الفساد والمحابة التي نهشت جسد الحكومة، فكان لا بد على من يريد الحصول على وظيفةٍ جيدةٍ أو ترقيةً ميسرة، في ظلّ هذا الحال، أن يتمتّع بوجاهةٍ عشائريةٍ تشدّ عضده أو من يقوم قادةٌ سياسيون نافذون بتزكيتهم. وخلقت هذه الأوضاع العديد من التوترات التي حتمت إحداث تغييرٍ في النظام. ولم يكن أمام علماء الإسلام، بمواردهم وقدراتهم الهزيلة، سوى أن ينادوا بإحياء الثقافة الإسلامية واحترام اللغة العربية.

بلورت تشعبات النخب وتطوراتها في الصومال أربعة أنواعٍ من النخب. فكان هناك النخب التقليدية التي تتألف من شيوخ العشائر والعلماء المسلمين التقليديين، والنخب الحديثة التي تتألف من غير الإسلاميين المتأثرين بالغرب، والإسلاميين. وكانت النخب الحديثة نخباً بنويةً إلى حدٍ كبير، وهو ما كان نتيجة التعليم الحديث بصورةٍ رئيسية. وكانت تفاعلات الإسلام (التقليدي والحديث)، والعشيرة (التي مثلها الشيوخ)، والدولة (التي مثلتها النخب غير الإسلامية المتأثرة بالغرب) أكثر قضيةً تقصّ مضجع الصومال.

كانت العلاقات بين النخب التقليدية وديةً وتعاونية، فكان هؤلاء يسعون إلى صون تماسك المجتمع، فيما كانت العلاقة بين غير الإسلاميين المتأثرين بالغرب والإسلاميين علاقة عداوة بسبب المواقف المختلفة التي تبناها كلّ من هاتين الكتلتين بخصوص طبيعة الدولة. فكانت النخب غير الإسلامية المتأثرة بالغرب، الذين ورثوا دولة ما بعد الاستعمار، قد حزموا أمرهم على صون علمنة الدولة، أما الإسلاميون فكانوا ينادون بضراوة بأسلمة

الدولة.<sup>(١)</sup> وسحبت النخب غير الإسلامية المتأثرة بالغرب حق الاختيار من المواطنين عبر العملية الديمقراطية، الذي كان يفترض أن يكون الحلّ السلمي لهذا النزاع، بدعمٍ من القوى الغربية، وكانت نتيجة ذلك هي تولّد التطرف وسدّ آفاق الإسلام المعتدل بصورةٍ عامة.

\*\*\*

## خلاصة

يقدم هذا الفصل نظرةً تاريخيةً عامة على إعادة تشكيل المجتمع الصومالي في فترة ما قبل الاستعمار. وكان هناك عاملان رئيسين، هما الطرق الصوفية وتجلياتها الإسلامية، وقوى الاستعمار المختلفة ومعها مشروعاتها الحديثة. أرست الطرق الصوفية الأسس الحضارية في الصومال عبر أخذ أسلوب الحياة من رعوي بدوي إلى مجتمعاتٍ مستقرة، وتأسيس مراكز حضرية، وتقديم وسائل زراعية تعاونية. كما أسست الطرق الصوفية مجتمعاتٍ منظّمة بنظام عشائريٍّ عمومي يحكمه مبادئ الإسلام، ولهم أن يتبعون الشيوخ الذي يختارون. وأسست الطرق الصوفية أيضاً مراكز لنشر الإسلام يقصدها طلاب العلم الشرعي، ويحصل هؤلاء على منحٍ مجتمعيةٍ مجانية. ولم يحرص علماء الصوفية، إلى جانب كل هذه المنجزات السابق ذكرها، على تحدي سلطة شيوخ العشائر، ولكن تعاونوا معهم لخلق مجتمعٍ متناغم. فكان شيوخ الصوفية واعين للغاية بثقافة المجتمعات وعمدوا إلى السعي لتحقيق أهدافهم بنشر الإسلام بطرقٍ مطوّرة.

كان العامل الثاني في إعادة تشكيل المجتمع الصومالي هو الاستعمار، والذي قدّمه المستعمرون على أنه رمزٌ للرقى، والعظمة، والفرص الاقتصادية. فصدّر المتسعمرون قيمهم السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية للشعوب التي استعمروها عبر التثقيف والتعليم.

---

(١) صمّم مؤلّف هذا الكتاب الرسم البياني للنخب الصومالية وعلاقاتها. انظر:

Abdurahman Abdullahi, —Tribalism, Nationalism and Islam: The crisis of the political Loyalties in Somalia (MA thesis, Islamic Institute, McGill University, 1992), 92-101.

ودفعت الصومال، على وجه التحديد، ثمن موقعها الاستراتيجي، فجذبت أطماع عددٍ من القوى الاستعمارية التي قسّمت الشعب الصومالي إلى أربع قوى استعمارية. وعمّقت هذه الصورة الاستعمارية الانقسامات الاجتماعية الموجودة أصلاً (العشائر المتشظية) إلى صورة أكثر تشتتاً (التقسيم الاستعماري للصومال إلى خمسة أجزاء). ودقّ شعب الصومال المنقسم أبواب القرن العشرين منهكاً من هذا التشطي المزدوج، ومرّ على الصومال أنظمة ثقافية وإدارية مختلفة. وكانت ردة الفعل الصومالية هي المقاومة العنوية، إلا أن تيارات المقاومة انتظمت بصورة أفضل مع مرور الوقت تحت قيادة الطرق الصوفية.

نجحت القوى الاستعمارية أخيراً في السيطرة على الصومال عام ١٩٢٧م بعد سحق آخر جيوب المقاومة. وبدأ صراعٌ جديدٌ عام ١٩٤٣م عندما تأسست عصبة الشباب الصومالي. وبدأت توجهاتٌ سياسية أكثر بالظهور بتأسيس المزيد من الأحزاب السياسية بحلول عام ١٩٤٧م. وشجّعت الإدارة البريطانية العسكرية على التنمية السياسية والتعليم بعد أن كانا محظورين تحت الحكم الفاشي الإيطالي، واستمر الحال على ذلك بعد عودة الانتداب الإيطالي على الصومال تحت وصاية الأمم المتحدة عام ١٩٥٠م. وتحسّن التعليم، في ظلّ موارد مالية محدودة، وتم إعداد النخب الصومالية على عجلة لإدارة مؤسسات الدولة الحديثة. وكانت هناك عملياتٌ مشابهةٌ وموازيةٌ تحدث في إقليم الصومال البريطاني، ولو أنها كانت على نطاق أضيق. وانتشرت في تلك الفترة العشائرية السياسية بفضل نظام الحكم، والقوانين الانتخابية، ونظام الأحزاب السياسية في ظلّ وجود خطاباتٍ مفرغةٍ من الروح تنادي بمحاربة العشائرية السياسية.

بدأت النخب السياسية بمحاكات القيم الثقافية التي صدّرتها القوى الاستعمارية بعد حصول الصومال على الاستقلال عام ١٩٦٠م لتحلّ محل ثقافة الحكم الرشيد. ونهضت كتلتان نخبويتان بعد تهميشهما في السنوات الأولى من الاستقلال، وهما الاشتراكيون والإسلاميون الحداثيون. وارتكزت جمهورية الصومال على القومية في سعيها لتهميش كلّ من الإسلام والعشيرة أملاً في خلق حالة مثالية من الوحدة. وكانت النتيجة هي إضعاف



المجتمعات الصومالية المتناغمة، التي كان شيوخ العشائر وعلماء الإسلام يعملون فيها يدًا واحدة. وركزت التنمية الإسلامية الحديثة على محاربة الابتداع في الإسلام بتوجيه أنظارها إلى فتح جبهة مع الطرق الصوفية وأنهك ذلك التعاون التاريخي بين علماء الإسلام وشيوخ العشائر. أخيراً، همّشت النخب الصومالية المتأثرة بالغرب، مع مناداتهم بالقومية والحداثة وقدحوا بالإسلام والعشيرة، الزعماء التقليديين. ويظهر بأن الأيدولوجيات المستوردة التي استخدمت لبناء الدولة، والتأويلات المتطرّفة للإسلام، وتسييس العشائر الذي مهّدت له قوى الاستعمار، قد مزّقت المجتمع الصومالي المتجانس. وبالمحصلة، فإنه ما لم يتمّ تدجين تلك الأيدولوجيا فسوف تستمر الأزمة والآلام.

\*\*\*

## الفصل الرابع

### نهوض القومية الصومالية وسقوطها

#### البحث عن الوحدة بين الاعتدال والتطرف

كانت شبه الجزيرة الصومالية نواةً لعددٍ من الحضارات القديمة التي أنشأت سلاطين خلال الحقبة الإسلامية الوسطى. ولكن هيمنت سلطناتٌ بدويَّةٌ ودولٌ مدينةٌ منفصلةٌ على التاريخ الصومالي فيما قبل الاستعمار. وكان المناخ العام لهذه الفترة متميزاً بدور السلطة الروحية للطرق الصوفية، وتلا ذلك سيطرة القوى الاستعمارية المتعددة التي بدأت بالتوافد في نهايات القرن التاسع عشر. وأعاد هذان العاملان تركيب وصياغة المجتمع الصومالي من جديد، وينطبق ذلك بصورةٍ أخصَّ على الاستعمار الذي أسَّس نظام حكمٍ جديد. مرَّ عددٌ من القوى الاستعمارية المتتابعة على الجنوب الصومالي من الفترة التأسيسية للحكم الإيطالي، والحكم الفاشي الإيطالي (١٩٢٣ - ١٩٤١م) بسياساته القاسية ومشاريعه الطموحة، والإدارة البريطانية العسكرية (١٩٤١ - ١٩٥٠م)، ومن ثم الانتداب الإيطالي الذي تمَّ تحت وصاية الأمم المتحدة (١٩٥٠ - ١٩٦٠م)، وكانت وتيرة التغيير متسارعةً ومضطربةً، فشهدت الصومال تغير نظام الحكم ثلاث مرات في ظرف ٢٧ سنة، وهو ما كان له أثرٌ لم يقتصر فقط على الجهاز الإداري، بل أيضاً على أسلوب الحكم، واللغة الإدارية، والنظام القانوني. شارك الشعب الصومالي أيضاً في خمس حروبٍ كبرى خلال ٤٥ عاماً، وهي حركات جهاد الدراويش (١٩٠٠ - ١٩٢٠م)،<sup>(١)</sup> والحرب الإيطالية - التركية (١٩١١ -

(١) أودت حركة مقاومة الدراويش بحياة ما يُقدَّر بثلاث سكان شمال الصومال. وهناك عددٌ من الأعمال الأكاديمية التي تناولت سيد محمد عبد الله حسن وحركة الدراويش. انظر:

Said Samatar, Oral Poetry and Somali Nationalism: The Case of Mohamed Abdulle Hassan (Cambridge University Press, 1982); Abdi Sheikh Abdi, Divine Mad-

١٩١٢م)،<sup>(١)</sup> والحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م)،<sup>(٢)</sup> والحرب الإيطالية - الأثيوبية (١٩٣٥ - ١٩٣٦م)،<sup>(٣)</sup> والحرب العالمية الثانية (١٩٤١ - ١٩٤٥م).<sup>(٤)</sup> ورفعت هذه الأحداث مستوى الوعي السياسي الذي مهد الطريق لنهوض القومية الصومالية الذي يُعدّ العامل الثالث في إعادة تشكيل المجتمع الصومالي.

ترتكز أيّدولوجية القومية على صهر الحياة العامة والخاصة في قالبٍ واحد على أساس الفكرة القاضية بأن لكل شعبٍ الحق في تقرير مصيره وصياغة دولته القومية.<sup>(٥)</sup> وارتبطت

---

ness: Mohamed Abdulle Hassan (1856-1920) (Zed Book, 1993); Aw Jama'a Omar Isse, Taariikhdiid Daraawiishta iyo Sayid Moxamed Cabdulle Xassan (1895-1921) (Wasaaradda Hiddaha iyo Tacliinta Sare, Edited by Akademiyadda Dhaqanka, 1976).

(١) قاتل مايزيد عن ١٠٠٠ صوماليّ من مقديشو جنباً إلى جنب مع الجنود الأتريين والإيطاليين. وعادت معظم المجموعات الصومالية المقاتلة إلى موطنها في عام ١٩٣٥م، ولا يُعرف عدد قتلاهم ومفقودهم. انظر:

W. Mitchell, Journal of the Royal, 1997.

(٢) Antoby Beevor, The Second World War (Little, Brown and Company, 2014).

(٣) David Nicole, The Italian Invasion of Abyssinia 1935-1936 (Westminster, Maryland: Osprey, 1997).

(٤) Anthony Adamthwaite, The Making of the Second World War (New York: Routledge, 1992), and Angelo Del Boca, Italiani in Africa Orientale: La caduta dell'Impero (Roma - Bari: Laterza, 1986).

أيضاً:

F. Marino, —Military Operations in the Italian East Africa, 1935-1941: Conquest and Defeat. A thesis submitted to the United States Marine Corps, Command and Staff College, 2009.

(٥) درس مؤلّف هذا الكتاب الكتب الثلاثة التالية التي تناولت القومية:

Hans Kohn, The Idea of Nationalism: A Study in its Origins and Background (New York: the Macmillan Company, 1956).

أيضاً:

هذه الفكرة تاريخياً بالانتصارات التي حققتها الثورات الفرنسية والأمريكية في القرن الثامن عشر، قبل أن يصل صدى ذلك إلى أوروبا في القرن التاسع عشر، ومن ثم باقي دول العالم في القرن العشرين، لتبسط هذه الفكرة هيمنتها على العالم بأسره في القرن العشرين. وصارت هذه الأيدولوجيا هي الأيدولوجيا السياسية المهيمنة، وحرّضتها عوامل مختلفة في سياقات شعوبٍ مختلفة. وكانت حالة القومية الصومالية حالةً مشابهةً لحالات الشعوب التي وقعت تحت حكم الاستعمار في أفريقيا وآسيا وهو ما أيقظ هذه الفكرة بعد بدء برنامج إنهاء الاستعمار حول العالم.<sup>(١)</sup> تم تبني فكرة إنهاء الاستعمار بصورة رسمية، وأعلن عنها في بيانٍ سياسيٍّ خلال اجتماع جمع الرئيس الأمريكي Franklin Roosevelt ورئيس وزراء بريطانيا Winston Churchill في الميثاق الأطلسي بتاريخ ١٤ آب عام ١٩٤١ م.<sup>(٢)</sup> ويتألف هذا الميثاق من ثمانية مبادئ، من بينها حقّ الشعوب الخاضعة للاستعمار في تقرير مصيرها، وتمّ إدماج هذه المبادئ في ميثاق الأمم المتحدة عام ١٩٤٥ م لاحقاً. فنصّ المادة ١ (٢) من ميثاق الأمم المتحدة على أن أحد غايات مؤسّسة الأمم المتحدة هي «إنماء العلاقات الودية بين الأمم على أساس احترام المبدأ الذي يقضي بالتسوية في الحقوق بين الشعوب وبأن يكون لكل منها تقرير مصيرها، وكذلك اتخاذ التدابير الأخرى الملائمة لتعزيز السلم العام.» وشكّلت هذه السياسة نقلةً في نظام العالم الجديد، وأرست الأسس لتحرير الشعوب

---

Benedict Anderson, *Imagined Communities: Reflections on the Origins and Spread of Nationalism* (London: Veso, 1983), and Eric Hobsbawm, *Nations and Nationalism since 1780: Programme, Myth, Reality* second Edition (Cambridge: Cambridge University Press, 1992).

(١) Assa Okoth, *A History of Africa: African Nationalism and the De - Colonialism Process* (East African Publisher, 2006).

(٢) انظر نص الميثاق الأطلسي. متاح على:

///C:/Users/Abdurahman/Downloads/Atlantic%20Charter.pdf (Accessed on January 23, 2017).

(تمّ الوصول بتاريخ ٢٣ يناير ٢٠١٧).

المستعمرة. وكان ذلك بفضل الرئيس Roosevelt، الذي نادى بمبدأ تقرير المصير، بالرغم من أن هذا المبدأ لم يلقَ رواجاً في أوروبا التي كانت وقتها تحكم قبضتها على معظم الشعوب المستعمرة.<sup>(١)</sup>

وبالنظر إلى سياق الصومال، فقد تأخر نشوء الوعي السياسي والتجلي المؤسسي للقومية في مستعمرات الصومال الإيطالي خلال الحقبة الفاشية (١٩٢٣ - ١٩٤١ م)، والتي حُظرت فيها جميع الأنشطة السوسيوسياسية. ولكن تغير الوضع بعد هزيمة إيطاليا في الحرب العالمية الثانية في مسرح عمليات القرن الأفريقي عام ١٩٤١ م، وأحكمت الإدارة البريطانية العسكرية سيطرتها على الأراضي الصومالية، وكانت سياسته أكثر تسامحاً مع حرية التعبير والانتماءات.<sup>(٢)</sup> وهكذا بدأت عملية تحرير الصومال من الاستعمار مع نشأة أول حركة قومية التي كانت نادي الشباب الصومالي بتاريخ ١٥ مايو ١٩٤٣ م. واستغرق نهوض القومية الصومالية وعملية بناء الدولة والشعب وقتاً طويلاً ولم يكن انهيارها أمراً حدث فجأة، بل كان ذلك تراكمًا للعديد من التقلبات السلبية والإيجابية. وكانت كلا العمليتين متقاطعتين ومتقطعيتين حتى موعد السقوط الأخير، انهيار النظام وانهيار الدولة. وتحاول الصفحات التالية تناول تاريخ صعود وسقوط القومية الصومالية ودولتها وشعبها الأيقونين بالتجوال بين المعالم التاريخية على خط نهوض وتشكيل النخب القومية. وتدرس أيضاً هذه الصفحات

---

(١) Elizabeth Borgwardt, A New Deal for the World (Harvard University Press, 2007)

(٢) Robert Patman, The Soviet Union in the Horn of Africa: The Diplomacy of Intervention and Disengagement (Cambridge: Cambridge University Press, 1990), 34.

أيضاً:

Cedric Barnes, —The Somali Youth League, Ethiopian Somalis and the Greater Somalia Idea, 1946-1948. J. Journal of Eastern African Studies Vol. 1, No. 2, 277, 291 - 80, 2007.

أداء النخب القومية في عملية بناء الدولة، والتعامل مع العشائرية السياسية ومشروع الصومال الكبير، ومن ثم يُختتم هذا الفصل بالخلاصة.

\*\*\*

## صعود وسقوط القومية الصومالية

(١٩٤٣ - ١٩٩١ م)

بدأت البذور الأولى لفكرة القومية الصومالية بالتبلور مع تشكيل منظمات المجتمع المدني، والتي تطوّر بعضٌ منها لاحقاً ليصبح أحزاباً سياسية قائمةً بحد ذاتها. وكانت هيئات هذه المنظمات مختلفةً بالكلية، على صعيد بنيتها ووظائفها، عن المؤسسات التقليدية كالنظام الديني الذي تمحور حول الطرق الصوفية ونظام العشائر وهما النظامان الوحيدان الذين ألفتهما الصوماليون قبل دخول الاستعمار. وبدأت العملية في أعقاب الهزيمة النهائية لمقاومة القادة الشعبين التي تجلّت في أوضح صورها بسحق حركة الدراويش (١٩٢١ م) وآخر سلطنات مجرتين المستقلة (١٩٢٧ م).<sup>(١)</sup> وكان تأسيس منظمات المجتمع المدني هو ثمرة الانبثاق المبكر للنخب الجديدة عبر التعليم الحديث والاحتكاك بالشعوب المستعمرة الأخرى التي كانت هي أيضاً تصبو للحرية والاستقلال. وبدأت أولى منظمات المجتمع المدني في المناطق الواقعة تحت الانتداب البريطاني، بفضل قربها من عدن، وعلاقاتها التجارية، والحكم البريطاني المشترك بين المنطقتين الذي مكّن الصوماليين المغتربين من تأسيس أول منظمات المجتمع المدني الصومالي، وهي الجمعية الإسلامية عام ١٩٢٥ م. وكان مؤسس هذه الحركة هو حاج فارح أومار، كما هو واضح من اسم المؤسسة، متأثراً بالوعي الإسلامي الذي برز في هذا الوقت، فضلاً عن انحداره من عائلة دينية تتبع الطريقة القادرية في بربره.<sup>(٢)</sup> وتأسست الجمعية الإسلامية لتكون منصةً عبر فيها الناس عن استيائهم

(١) Abdurahman Abdullahi, The Islamic Movement in Somalia: A case Study of Islah Movement, 19502000 - (London: Adonis & Abby, 2015), 79.

(٢) Muse Eid, —What do you know about Haji Farah Oomaarl (Somaliland young politi-

من «إهمال وسوء حكم» الإدارة البريطانية.<sup>(١)</sup> درس حاج فرح في كل من عدن والهند، وهناك تأثر بالصحة المبكرة للعالم الإسلامي والصراع ضد الاستعمار الذي قاده المهاتما غاندي ومحمد علي جناح في الهند، ليصبح حاج فارح رائد القادة القوميين الأوائل.<sup>(٢)</sup> وظهرت المزيد من منظمات المجتمع المدني في السنوات التي تلت بصورة تدريجية في المستعمرات البريطانية، ومنها الخيرية (١٩٣٠م)، وعطيات الرحمن (١٩٣٥م)، واتحاد الضباط (١٩٣٥م)، والرابطة الصومالية القومية (SNS) (١٩٣٦م).<sup>(٣)</sup> وانبثقت منظمات مشابهة في جنوب الصومال بعد هزيمة إيطاليا عام ١٩٤١ إذ كان الحكم الفاشي يحظر أي نوع من هذه النشاطات في تلك المناطق قبل ذلك. وتضمنت هذه المؤسسات الجمعية الخيرية الوطنية (١٩٤٢م)، ونادي الشباب الصومالي (١٩٤٣م).<sup>(٤)</sup> وتحولت بعض من هذه المنظمات لاحقاً إلى أحزاب سياسية قائمة بذاتها بحلول العام ١٩٤٦م، فأعيدت تسمية نادي الشباب الصومالي ليصبح عصبة الشباب الصومالي، وتحولت الجمعية الخيرية الوطنية إلى حزب دجل ومرفله. وتمثل الفرق بين هذين الحزبين في أن العصبة كانت حزباً قومياً، بينما كان الآخر حزباً إقليمياً خصوصياً اقتصر بصورة رئيسية على من يتحدثون بلهجة الماي،

---

cians, 2008). Available from <http://somalilandyoungpolitician.blogspot.ca/2008/11/what-do-you-know-about-hajifarah.html> (accessed on April 13, 2017).

(١) Abdi Samatar, *The State and Rural Transformation in Northern Somalia* (1884-1986) (University of Wisconsin, 1989), 49

(٢) كان محمد علي جنة (١٨٧٦ - ١٩٤٨) زعيم رابطة مسلمي عموم الهند من عام ١٩١٣ حتى استقلال باكستان بتاريخ ١٤ أغسطس ١٩٤٧. أما المهاتما غاندي (١٨٦٩ - ١٩٤٨) فقد كان القائد الأبرز للحركة الهندية القومية، وعرف باستخدامه لأنشطة العصيان المدني السلمية.

(٣) Abdurahman Abdullahi, —Non - State Actors in the Failed State of Somalia: Survey of the Civil Society Organizations in Somalia during the Civil War.‖ *Darasaat Ifriqiyyah* 31 (2004): 57-87, 65.

(٤) Abdullahi, —Non - State Actors,‖ 82

أحد تفرعات اللغة الصومالية. كما أن الحزبين آمنا برؤية مختلفة لبنية الدولة الصومالية، فنادى حزب دجل ومرفله بنظام فيدرالي، أما العصبة فكانت تفضل نظام حكم مركزي. وفي المستعمرات البريطانية، تحولت الرابطة الصومالية القومية إلى العصبة الصومالية القومية في عام ١٩٤٨م، وصار الحزب سلطة أمر واقع. وانتشرت سياسة الأحزاب لتصبح النموذج الجديد، فتأسست عدد من الأحزاب لأسباب مختلفة وعبرت هذه الأحزاب عن نداءات العشائر والمصالح.

وبعد نهاية الحرب العالمية الثانية، طفى على السطح سؤال المستعمرات الإيطالية التي أصبح مصيرها مجهولاً، واقترحت بريطانيا عقد مؤتمر يجمع القوى الأربع الكبرى في العالم (الولايات المتحدة الأمريكية، وبريطانيا، والاتحاد السوفيتي، وفرنسا) وعقد المؤتمر عام ١٩٤٦م، وكان اقتراح بريطانيا هو وضع الأراضي الصومالية تحت الإدارة البريطانية العسكرية.<sup>(١)</sup> ولاقت الخطة البريطانية لتوحيد الأراضي الصومالية، أيّاً كانت أهدافها الحقيقية، رضىً واسعاً من الشعب الصومالي، وأوقد مقترح الوزير البريطاني Ernest Bevin طموحات القوميين بتحويل حلم الصومال الكبير إلى واقع على الأرض. ولكن تنكّرت القوى الكبرى الأخرى، الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي وفرنسا، لمقترح بريطانيا تنكراً كاملاً لأسباب مختلفة، فاستجابت الولايات المتحدة، على سبيل المثال، للوبي الأثيوبي القوي وصوّتت لصالح أثيوبيا مقابل موافقة الأخيرة على إقامة قاعدة عسكرية في أرتيريا، التي كانت تابعة لأثيوبيا في ذلك الوقت.<sup>(٢)</sup> فكانت أثيوبيا، لو سارت الأمور وفقاً لخطة Bevin، ستخسر الأراضي الصومالية

---

(١) عن قضية التعامل مع المستعمرات الإيطالية انظر:

S. Kelly, Cold War in The Desert: Britain, the United States and Italian Colonies (Macmillan Press Ltd, 2000).

(٢) استولت بريطانيا على الراديو مرينا، مركز اتصالات إيطاليا في أرتيريا، خلال الحرب العالمية الثانية. واستلمت الولايات المتحدة خط وصول لها إلى القاعدة من البريطانيين في ١٩٤٢م. وأعلن الرئيس Franklin Roosevelt بأن أثيوبيا تتمتع بالأهلية للاستفادة من برنامج Lease - Lend للمعونات العسكرية. وبدأت موقع اتصالات الولايات المتحدة بالعمل في ١٩٤٣م، وسُمي لاحقاً محطة كاجنيو. انظر:



التي سيطرت عليها خلال توسعها في الشرق في القرن التاسع عشر. وفي المقابل، كان الاتحاد السوفيتي يدعم عودة إيطاليا إلى الصومال للتأثير على فوز الأحزاب اليسارية في الانتخابات الإيطالية المقبلة. وكان السوفييت يتوقعون فوز التحالف اليساري، الجبهة الديمقراطية الشعبية، في عام ١٩٤٨ م، وبهذا تصبح إيطاليا حليفةً للسوفييت. وكانت فرنسا مهتمةً بمصير مستعمرة الصومال الفرنسية (جيبوتي) وكانت تعتقد بأن تدشين دولةٍ صوماليةٍ موحدة تحت التأثير البريطاني سيؤدي إلى وحدةٍ صوماليةٍ كاملة، وهو ما يهدد نفوذها في جيبوتي.<sup>(١)</sup>

أحيلت القضية إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة بعد ما يزيد عن أربع سنواتٍ من المفاوضات والخلافات بين القوى الأربعة الرئيسية في ظلّ مشهدٍ سياسيٍ كانت تحكمه موازين الحرب الباردة في ذلك الوقت. وصوّتت الأمم المتحدة لصالح إعادة المستعمرات الصومالية إلى إيطاليا، بتاريخ ٢١ نوفمبر ١٩٤٩ م، ولكن تحت وصايةٍ أممية.<sup>(٢)</sup> وهكذا وقعت الصومال «ضحيةً لقرار الأمم المتحدة» على حدّ تعبير السفير محمد عثمان.<sup>(٣)</sup> لقد

---

Getachew Metaferia, Ethiopia and United States, History, Diplomacy and Analysis (Algora Publishing, 2009), 49.

أيضاً:

Jeffery Lafebvre, Arms for the Horn: US Security Policy in Ethiopia and Somalia 1953-1991 (Pittsburgh: University of Pittsburgh Press, 1991), 55-58.

(١) للاطلاع على سردٍ مفصّلٍ لخطة Bevin للصومال الكب vn والاجتماعات المختلفة التي عُقدت حول مستقبل الصومال، انظر:

Mohamed Osman Omar, The Scramble in the Horn of Africa: History of Somalia (1927-1977). 500-526.

أيضاً:

Tripodi, 92.

(٢) S. Kelly, Cold War in The Desert, 110-131.

(٣) Mohamed Osman Omar, Somalia Past and Present (Somali Publications Pvt. Ltd.), 138.

كان من الشناعة أن تكون الصومال هي المستعمرة الإيطالية السابقة الوحيدة التي عادت إلى قبضة إيطاليا، بينما رُسم مصيرٌ مختلفٌ للمستعمرتين الإيطاليتين الأخيرتين ليبيا وأرتيريا. فحصلت ليبيا على الاستقلال بتاريخ ٢٤ كانون الأول ١٩٥١م، وكان ذلك بفضل مناصرة قوية من الجامعة العربية، في حين صارت أرتيريا جزءاً من اتحادٍ فيدراليٍّ مع أثيوبيا وهو ما خالف إرادة شعبها.<sup>(١)</sup> ووفقاً لمهمة الأمم المتحدة، توجب على إيطاليا أن تحكم الأراضي الصومالية، بحيث تحصل الصومال على استقلالٍ كاملٍ في ١٩٦٠م.<sup>(٢)</sup> فلم تملك إيطاليا سوى نافذةً زمنيةً ضيقة لم تتجاوز عشرة أعوام في ظل ديمقراطيةٍ هشّةٍ واقتصادٍ منهكٍ بعد خروجها مهزومةً من الحرب العالمية الثانية. وبالنظر إلى مجرى الأمور وقتها، يمكن القول بأن قرار الأمم المتحدة بوضع الصومال تحت وصاية الإيطالية فيما سُمي بإقليم الصومال الإيطالي كان البذرة الأولى لبناء دولةٍ ضعيفةٍ تعاني من تبعيةٍ اقتصاديةٍ تجلّت في صومالٍ مقسّمةٍ تقاسي ويلات صراعٍ وانقساماتٍ مع شعبه ومع جيرانه. لقد كانت هذه أيضاً فرصةً مهددةً لإقامة مشروع الصومال الكبير الذي طمح له شعب الصومال.

واتخذت الحركة القومية هيئتها المؤسّساتية الأولى بتاريخ ١٥ مايو ١٩٤٣م، عندما قام ١٣ شاباً صومالي من عشائر مختلفة بالاجتماع في مقديشو لإرساء الأسس الأولى لنادي الشباب الصومالي، ودعمت الإدارة البريطانية العسكرية هذه الحركة، وحضّت الصوماليين

---

(١) المصدر السابق، انظر أيضاً:

Ronald Bruce St John, *Libya and the United States, Two Centuries of Strife* (University of Pennsylvania Press, 2002).

(٢) Lawrence S. Finkelstein, —*Somaliland Under Italian Administration: A case Study of in United Nation's Trusteeship* (Carnegie Endowment for International Peace, 1955).

متاح على الرابط:

[https://archive.org/stream/somalilandunderi00fink/somalilandunderi00fink\\_djvu.t xt](https://archive.org/stream/somalilandunderi00fink/somalilandunderi00fink_djvu.t xt)

(تمّ الوصول بتاريخ ٢٣ يناير ٢٠١٧).

الذين يعملون في خدمة الإرادة البريطانية بالانضمام إلى هذه الحركة، وكان من بينهم مدنيون وعسكريون كالشرطة، والقضاة، والموظفين على النقيض من الحياد الذي يجب أن يلتزموا به بصفتهم يعملون في القطاع العام. وفقاً للبروفيسور سعيد سمتر والبروفيسور David Laitin، فإن توقيت انبثاق الحركة القومية الصومالية «يُرجع إلى عددٍ من العوامل المعقدة التي ساعدت في رعاية هذه العقلية الجديدة: منها ذكرى المقاومة القومية لحركة الدراويش، وعملية التوحيد التي جرت أخيراً مع وجود شبح انقسامٍ آخر يحوم فوق البلاد، والإهانة العامة التي تجرعتها القوى المستعمرة (أولاً البريطانيون ومن ثم الإيطاليين) الذين ظنّ الناس، حتى ذلك الوقت، بأنهم لا يُقهرُونَ، وتطور التعليم وتعمّد الاقتصاد، وبروز نخبةٍ فصيحة اللسان، وقرار القوى الحاكمة الجديدة برفع الحظر عن الفضاء السياسي.»<sup>(١)</sup> ويضيف البروفيسور Saadia Touval، الذي استفاض في دراسة القومية الصومالية، العوامل المشتركة التي وُجدت أيضاً عند الشعوب الأخرى التي عاشت تحت الاستعمار، والتي تضمّنّت تغيراتٍ اجتماعيةٍ واقتصادية، وتدشين مبادئ التقرير، والمساواة، وحرية الشعوب.<sup>(٢)</sup> وكان هناك أيضاً ثلاثة عواملٍ خاصّةٍ بالصومال وفقاً لـ Saadia Touval، أولها هو نقم الصوماليين على حكومات الاستعمار التي حكمت البلاد دون أن تهزم الصوماليين في معركةٍ من قبل. وكان أن وجد الصوماليين أنفسهم مكرهين، وهم الذين لم يألّفوا قبلاً

---

(١) David Laitin and Said Samatar, Somalia: Nation in Search of a State (Boulder: Westview, 1987), 63.

(٢) Saadia Touval, Somali Nationalism (Harvard: Harvard University Press, 1963), 76-78.

انظر أيضاً:

James Colman, "Nationalism in Tropical Africa", In African Politics and Society, (ed.) Irving Markovitz, (New York: The Free Press, 1970), 153-178.

انظر أيضاً:

Abdi Sheikh - Abdi, Somali Nationalism: Its origin and Future. The Journal of Modern African Studies, Vol. 15, 7 (1977), 657-665.

إدارة حكومية مؤسسية، على تحمل ضرائب باهظة والعمل القسري وسياساتٍ عرقية فرضها الحكم الفاشي تحديداً.<sup>(١)</sup> كما عملت السلطة الاستعمارية أيضاً بسياسةٍ مخصصة الأراضي الزراعية، أي أنها تدخلت فيما كان يُعدّ سابقاً سلطةً تقليدية.<sup>(٢)</sup> ويُضاف إلى ذلك أن « الصوماليين الرعاة، والمستقلين، والمستقردين وجدوا أنفسهم في مواجهة حكومية منظمة، وهو ما أدى في النهاية إلى أحقادٍ وصراعات.»<sup>(٣)</sup> وارتبط العامل الثاني بالعداء الديني للقوى الأوروبية وأثيوبيا. فتجسّد القوى الاستعمارية دين المسيحية، على النقيض من الصوماليين الذين كانوا مسلمين ملتزمين بتعاليم الإسلام. ولا يوجد طبعاً مفهوم الفصل بين الدين والدولة في الإسلام، وهو ما جعل «قبول شعبٍ مسلمٍ لحكمٍ غير مسلمٍ أمراً صعباً ومهيناً بصورةٍ لا تُطاق.»<sup>(٤)</sup> وكان العامل الثالث هو «التحريض المدروس من حكوماتٍ متعددة» لتحقيق أهدافهم الاستراتيجية. فكانت الفاشية الإيطالية، على سبيل المثال، تطمح بتأسيس إمبراطوريةٍ إيطاليةٍ قويةٍ في شرق أفريقيا (Africa Orientale Italiana)، وصبّ الغزو الإيطالي على أثيوبيا في عام ١٩٣٥ م لصالح الصومال. فضمت إيطاليا الأراضي الصومالية التي احتلتها أثيوبيا في السابق إلى حكمها فيما كان جزءاً من خطتها التي عرفت باسم الصومال العظيمة «La Grande Somalia». وكان هناك أيضاً مقترح وزير الخارجية البريطاني Ernest Bevin عام ١٩٤٦ م الذي كان يقول بأن مجلس العموم البريطاني بدأ «بالتفكير بصورةٍ واقعيةٍ بصومالٍ كبيرة»، وهو ما أجبّج آمال الصوماليين أكثر وأكثر.<sup>(٥)</sup> ولعبت

(١) Touval, Somali Nationalism, 61

(٢) تزايد عدد الأراضي الزراعية المتنازل عنها للإيطاليين بصورةٍ لافتة، فقفز العدد من أربع أراضٍ في عام ١٩٢٠ م إلى ما يزيد عن ١١٥ في عام ١٩٣٣ م. وبحلول نهاية العام، كان الإيطاليين قد مُنِحوا ٨٧٤٨٧ هكتاراً من الأراضي المختارة كان يملكها ١١٩٢ مالكاً مختلفاً، وجميعهم من غير الصوماليين الأصليين. انظر:

Abdullahi, Tribalism, Nationalism and Islam, 65.

(٣) Touval, Somali Nationalism, 62.

(٤) المصدر السابق.

(٥) كان Bevin وزير الخارجية في بريطانيا عام ١٩٤٦ م، وكشف «Bevin عن مقترحٍ لتوحيد الصوماليين تحت الحكم البريطاني في خطابٍ ألقاه أمام مجلس العموم بتاريخ ٤ يونيو ١٩٤٦ م» انظر:

مصر الثورية أيضاً دوراً هاماً في بثّ الأفكار القومية في الخمسينات بتدشين نظامٍ تعليميٍّ حديث يُدرّس باللغة العربية ويُولي فكرة القومية العربية اهتماماً كبيراً.<sup>(١)</sup> ومن المهم أيضاً الإشارة إلى أن القومية الصومالية انبثقت كفكرةٍ مضادةٍ للعشائرية السياسية أملاً في الوصول إلى وحدةٍ وطنية. ونزعت القومية الصومالية إلى إضعاف وقمع الوعي العشائري واستبداله بوعيٍّ قومي. وهكذا تشرب الشعب الصومالي فكرة الهوية القومية والدين بالولاء حصراً للدولة القومية. ولم يتنكر القوميون الصوماليون للإسلام كدين، ولكن اختاروا تحييده سياسياً بالتناغم مع الأفكار العلمانية ووفقاً للأفكار الأولى للحدثاء والدول القومية.

لم تغب يوماً مشاعر التكافل والوعي بالهوية الشخصية من أذهان الصوماليين، إلا أن القومية الصومالية لم تنبثق إلا بعد احتكاك الصومال بالاستعمار الأوروبي، وهكذا اعتمد قيام القومية على تقدّم العلم الحديث، والتقدم السوسيواقتصادي، والتنمية السياسية. ومن هنا كان من المهم فهم التنمية التعليمية، والاقتصادية، والسياسية خلال السنوات العشر في إقليم الصومال الإيطالي لتتبع نمو القومية الاقتصادية. كما يدلّل التحليل المقارن للتنمية السوسيواقتصادية والسياسية بين إقليم الصومال البريطاني وبين جنوب الصومال، بإقليم الصومال الإيطالي، للأزمة التي تفاقمت بين الكتلتين بعد الاستقلال والتوحيد. فتطوّرت، خلال تلك الفترة، ثقافة النخب السياسية وانخفض مستوى عجز التعليم والتبعية الاقتصادية في جمهورية الصومال. وسنلقي نظرةً على البيانات الإحصائية للتعليم الاستعماري، ومؤشّر التجارة، والخدمة العسكرية، والأحزاب السياسية والانتخابات في محاولةٍ لتبيين هذه العوامل.

كان قرار الحدّ من التعليم في جنوب الصومال قراراً متعمّداً خلال الحكم الفاشي لأن الهدف الرئيسي من التعليم الاستعماري كان توفير تدريبٍ انتقائي يهدف فقط إلى خدمة

---

Saadia Touval, Somali Nationalism, 79.

(١) Abdullahi, The Islamic Movement, 105-113.

الأسياذ المستعمرين.<sup>(١)</sup> وبقيت هذه السياسة على حالها حتى فترة الوصاية (١٩٥٠ - ١٩٦٠ م) عندما فُتحت أبواب التعليم المجاني لكل طفل، وزادت معدلات الالتحاق بالمدارس بصورة كبيرة. فلم يكن هناك، مثلاً، سوى ست مدارس أساسية تُديرها بعثات التبشير الكاثوليكي في الأراضي الصومالية قبل عام ١٩٣٩ م، وكانت هذه المدارس تضم بصورة رئيسية الأيتام واللقطاء.<sup>(٢)</sup> ولكن ارتفع معدل التحاق الأطفال بالمدارس من ١٣٩٠ طالب في عام ١٩٣٠ م إلى ١٧٧٦ في عام ١٩٣٩ م، وتُظهر دراسة مقارنة لإنفاق المستعمرة في الفترتين ١٩٣١ - ١٩٣٦ م و١٩٣٦ - ١٩٤٠ م بأن النفقات العسكرية قفزت من ٣٩٪ من الصرف الكلي للمستعمرة إلى ٥٥٪، وانخفضت التنمية الاقتصادية إلى ٢٪ من ٣٪. ولم يُخصَّص سوى ١٪ من الميزانية لكوته التعليم.<sup>(٣)</sup> وانخفضت نسب التعليم الحكومي بصورة أكبر حتى في السنوات الأولى للإدارة البريطانية العسكرية التي انتزعت السيطرة على الأراضي التي كانت تحكمها إيطاليا إبان الهزيمة التي تلقَّتها الأخيرة في الحرب العالمية الثانية. ولكن حافظت الكنيسة الكاثوليكية على نشاطاتها وتمتعت دور الأيتام التي تديرها بدعم البريطانيين، فُخصَّص ٦٥, ٠ شلن يومياً لكل يتيم.<sup>(٤)</sup> وانخفض عدد الطلاب الملتحقين بالمدارس إلى

---

(١) Abdullahi, Tribalism, Nationalism and Islam, 62.

(٢) وصلت الكاثوليكية إلى الصومال في نهايات القرن التاسع عشر وكان المؤمنون بها من المهاجرين الإيطاليين وبعض العبيد السابقين المنحدرين من عرق البانتو الذين تحولوا إلى دين النصرانية. وبُنيت الكاتدرائية الكاثوليكية في مقديشو عام ١٩٢٨ م، وكانت الأكبر على سطح القارة الأفريقية. وتمَّ تخريبها خلال الحرب الأهلية. كان هناك ٨٥٠٠ من أتباع الطائفة الكاثوليكية يعيشون في الصومال عام ١٩٥٠ م.

(٣) انظر:

Pankhurst, Ex - Italian Somaliland (Publisher, Watts, 1951), 96; and Ahmed I. Samatar, Socialist Somalia: Rhetoric and Reality (Zed. Books, London, 1988), 51.

(٤) Salah Mohamed Ali, Hudur and the History of Southern Somalia (Cairo: Nahda Publishing, 2005), 360.

٣٩٩، وانخفضت كوة التعليم في الميزانية إلى ٥ ٪، من مجموع النفقات الكلية.<sup>(١)</sup> قفز عدد الطلاب خلال سنوات المهمة الأمية لإيطاليا، وتحديدًا من ١٩٥٠م إلى ١٩٥٨م، من ٦٤٥٩ إلى ٣١٥٢٤ طالب، وزاد عدد طلاب المدارس الثانوية إلى ١٠٢٩ بعد أن كان لا يتجاوز ١٩٣ طالب، وارتفع عدد طلاب التعليم العالي من ١٤ طالباً إلى ٥٨.<sup>(٢)</sup> «وكان هناك أيضاً ٢٠٠٠ طالب يتلقون التعليم الثانوي، والتقني، والجامعي من الصومال الإيطالي في عام ١٩٥٧م عبر منح في الصين، ومصر، وإيطاليا.»<sup>(٣)</sup> وكان تشكل النخب المتمتعة بالتعليم الحديث في إقليم الصومال البريطاني بطيئاً نسبياً بسبب مستوى التنمية المنخفض للتعليم الحديث في المستعمرة، ويُرجع ذلك إلى ثلاثة أسباب: عدم وجود تمويل حكومي للتعليم، ورفض السكان المحليين قبول الضرائب المفروضة لتمويل التعليم، ومعارضة القادة الدينيين للتعليم الحديث بسبب خشيتهم من استخدامه لبث دعاية البعثات التبشيرية المسيحية.<sup>(٤)</sup> وهكذا لم يكن هناك سوى مدرسة حكومية واحدة فقط للتعليم الأساسي في عام ١٩٣٤م وكانت تضم ١٢٠ طالباً، ولم تتجاوز الميزانية المخصصة للتعليم ٥٠٠ دولار أمريكي.<sup>(٥)</sup> وارتفع هذا العدد إلى ١٣ مدرسة حكومية للتعليم الأساسي والمتوسط في عام ١٩٥٢م وارتفع عدد الطلاب إلى ١١٣٠ طالباً، من بينهم ٥٠ طالباً في المرحلة الثانوية. ولكن ارتفع عدد الطلاب، طبقاً للسجلات الحكومية التي كشف عنها البروفيسور أحمد سمر، إلى ٦٢٠٩ طالباً في عام ١٩٥٩م مقارنةً بـ ٦٢٣ طالباً في عام ١٩٤٨م من أصل مجموع السكان الذي يصل إلى ٦٥٠ ألف نسمة، وكانت نسبة الالتحاق بالمدارس ٩ ٪،<sup>(٦)</sup>

(١) Pankhurst, Ex - Italian Somaliland, 192.

(٢) محمد عبد المنعم يوسف، الصومال: وطناً وشعباً (القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٢)، ١١٢ - ١٢٤.

(٣) Helen Chapin Metz (ed.), Somalia: A Country Study (Washington: GPO for the Library of Congress, 1992), 21

(٤) Tauval, Somali Nationalism, 64, 65.

(٥) المصدر السابق، صفحة ٦٤.

(٦) Ahmed Samatar, Socialist Somalia: Rhetoric and Reality (London: Zed Books, 1988), 47.

ولعبت السياسات المتبنّاة دوراً في تطور النخبة الحديثة على صعيد التنمية الاقتصادية الاستعمارية، فوجّهت التنمية الزراعية لجذب المزيد من المستوطنين الأوروبيين على حساب إبقاء المزارعين الصوماليين في طبقة البروليتاريا. وارتفع عدد الأراضي الصالحة للزراعة التي تم التنازل عنها للإيطاليين بصورة ملحوظة في المستعمرة الإيطالية خلال الحقبة الفاشية (١٩٢٣ - ١٩٤١ م)، ليصل إلى ١١٥ في عام ١٩٣٣ م مقارنةً بأربعة فقط في عام ١٩٢٠ م. وتم منح الإيطاليين ما يصل إلى ٨٧٨٤٧ هكتار من الأراضي المختارة مع نهاية عام ١٩٣٣ م، ولم يكن هناك أيّ صوماليّ أصلي من مالكي الأراضي الذي وصل عددهم في ذلك الوقت إلى ١١٩٢. (١) ولم تتجاوز نسبة الصادرات ٢٠٪ من نسبة الواردات في الفترة ١٩١٩ - ١٩٣٩ م، وكان الصوماليون محظورين، بموجب مرسومٍ قانوني، من المشاركة في تجارة الصادرات والواردات. (٢) كان ما نسبته ٦٠٪ من عائدات المستعمرة في الفترة ١٩٣١ - ١٩٣٦ م هي منحاً مالية، وذلك نتيجةً لتطبيق سياساتٍ مضادةٍ للتنمية، والجهود التي كانت تهدف لخلق حالةٍ من التبعية لدى الصوماليين. (٣) وكان الاقتصاد الإيطالي في حالةٍ يُرثى لها عندما تم تدشين إقليم الصومال الإيطالي تحت وصاية الأمم المتحدة عام ١٩٥٠ م، فقدّر معدل دخل الفرد الواحد في ذلك الوقت في إيطاليا بـ ٣٠٠ دولار وكان الأقل في كل أوروبا. (٤) فاضطرت إيطاليا، بسبب اقتصادها المنكمش، إلى اقتطاع ربع ميزانية إقليم الصومال الإيطالي، أي من ٨٠٠٠ مليون ليرة إلى ٦٠٠٠ مليون ليرة في ١٩٥١ م. (٥) ووصلت نسبة

---

(١) المصدر السابق، صفحة ٥٠.

(٢) Pankhurst, Ex - Italian Somaliland, 197

(٣) المصدر السابق.

(٤) Poalo Tripodi, The Colonial Legacy in Somalia: Rome and Mogadishu: from Colonial Administration to Operation Restore Hope (Macmillan Press Limited, 1999), 60

(٥) Tripodi, The Colonial Legacy, 61.

كان معدّل الصرف من الليرة إلى الدولار يوم ٢١ سبتمبر ١٩٤٩ م هو ١ دولار أمريكي = ٦٢٥ ليرة.



الإعانات من الحكومة الإيطالية إلى ١٣,٥ مليون دولار أمريكي من أصل مجموع النفقات الذي قُدِّر بـ ١٨,٣ مليون دولار أمريكي،<sup>(١)</sup> بالرغم من أن هذه النسبة انخفضت بصورةٍ حادةٍ في السنوات التي تلت ذلك. ولكن ظَلَّت الفجوة كبيرة، ففي عام ١٩٥٧م وصل مجموع النفقات إلى ١٤,١ مليون دولار أمريكي، منها ٦,٩ مليون دولاراً على شكل عائداتٍ محلية، والباقي، ٧,٢ مليون دولار، كان منحاً إيطالية.<sup>(٢)</sup> أي أن أكثر من ٥٠٪ من رواتب الموظفين الصوماليين كان يُدفع عبر المنح الإيطالية. ويُظهر الجدول التالي (١) مؤشِّر الميزانية لإقليم الصومال الإيطالي في الفترة ١٩٥١ - ١٩٥٧م. تمت صياغة هذه الأرقام من الجدول الذي قدَّمه البروفيسور أحمد سَمْتَر الذي اقتبسه من دراسات Mark Karp لاقتصاد إقليم الصومال الإيطالي عام ١٩٦٠.<sup>(٣)</sup>

القيمة/ بالمليون	١٩٥١	١٩٥٢	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	١٩٥٧
النفقات	١٨,٣	١٤,٢	١٢,٨	١٢,٣	١٤	١٤,٩	١٤,١
العائدات	٤,٨	٤,٨	٤,٣	٥,٢	٥,٨	٦,٢	٦,٩
المعونات الإيطالية	١٣,٥	٩,٤	٨,٥	٧,١	٨,٢	٨,٧	٧,١
المجموع	١٨,٣	١٤,٢	١٢,٨	١٢,٣	١٤	١٤,٩	١٤,١

جدول رقم (٤): مؤشِّر النفقات/العائدات والمعونات الإيطالية

(١) Ahmed Samatar, Socialist Somalia, 55.

(٢) المصدر السابق.

(٣) Mark Karp, Economics of Trusteeship in Somalia (New York University Press, 1960), 147.

بالاستناد على مؤشر التجارة لقياس التنمية الاقتصادية، يتضح بأن العجز التجاري استمر من عام ١٩٥١م، بقيمة وصلت إلى - ٥,٢، إلى عام ١٩٥٧م بقيمة وصلت إلى - ٥,٧. وكانت نسبة الصادرات/ الواردات هي ٨/١٣,٢ و ١٠,٧/١٦,٤ على التوالي. ويظهر الجدول (٢) بياناتٍ تقارن بين مؤشر الصادرات/ الواردات من عام ١٩٥١م إلى ١٩٥٧م. تمّ تحصيل هذه الأرقام أيضاً من مؤشر الواردات/ الصادرات لإقليم الصومال الإيطالي بين عامي ١٩٥١م و١٩٥٧م نقلاً من البروفيسور سمر الذي أخذها بدوره من البيانات الإحصائية التي أوردها Mark Karp.<sup>(١)</sup>

القيمة/ بالمليون	١٩٥١	١٩٥٢	١٩٥٣	١٩٥٤	١٩٥٥	١٩٥٦	١٩٥٧
الواردات	١٣,٢	١٤,٧	١٠,٩	١١,٥	١٤,١	١٦,١	١٦,٤
الصادرات	٨	١٠,٤	٨,٦	٩,٢	١١,٤	١٠,٩	١٠,٧
التجارة/ العجز	- ٥,٢	- ٤,٣	- ٢,٣	- ٢,٣	- ٢,٧	- ٥,٢	- ٥,٧

#### جدول رقم (٥): مؤشر الاستيراد/ التصدير في الصومال والعجز التجاري

أما السياسات الاقتصادية البريطانية في الأراضي الواقعة تحت انتدابها فتخلّصت بزراعة نبات السرغوم في الأجزاء الغربية من أراضيها، في مناطق مثل بوراما وهرجيسا. وفي عام ١٩٤٩م، قُدّرت المساحات المزروعة بـ ٨٥٠/٥٠ فدان وتضاعف هذه الرقم ثلاثة أضعاف تقريباً في عامي ١٩٥٤ - ١٩٥٥م ليصل إلى ١٤٠ ألف فدان.<sup>(٢)</sup> ولمّا حلّ عام الاستقلال،

(١) Mark Karp, Economic of Trusteeship, 153 and Ahmed Samatar, Socialist Somalia, 55.

(٢) Abdi Samatar, The State and Rural Transformation in the Northern Somalia, 188-486 (The University of Wisconsin Press, 1989), 60.

١٩٦٠م، كان هناك فقط ١٤٠٠ مزرعة صغيرة يصل مجموع مساحتها إلى ١٣٠ - ١٤٠ ألف فدان، وكانت هذه المزارع تنتج السرجوم والذرة بصورة رئيسية. وانحصرت صادرات الصومال بالمواشي التي وصلت قيمتها إلى ١٠٢٠٨٨ جنيه إسترليني (٢٨٨٦٤٤٧ مليون دولار أمريكي) في عام ١٩٥٩م.<sup>(١)</sup> ولم يشكّل هذا، بالمقارنة، سوى ٢٦٪ من صادرات جنوب الصومال عام ١٩٥٧م (١٠٧ مليون دولار أمريكي). ووصلت ميزانية أرض الصومال في ١٩٥٨ - ١٩٥٩م إلى ٤٥٨٤ مليون دولار أمريكي، منها ٣٢٦٣ مليون دولار هي عائدات محلية بعجز وصل إلى ١٣٢١ مليون دولار أمريكي.<sup>(٢)</sup> ولو كان لنا أن نقارن بين الميزانيتين، ميزانية الأراضي الجنوبية وميزانية الأراضي الشمالية في العامين ١٩٥٧/١٩٥٩ (٤,٥٨٤ مليون/١,١٤ مليون) فهي تشكّل ٣٣٪. لم يكن هناك أي نمو حضري لافت في إقليم الصومال البريطاني، ولم يكن هناك أي مشاريع اقتصادية تنموية تُنفذ قبل ١٩٥١م. وبالحديث عن سياسة الإدارة البريطانية، يقول Brock Millman «كان من المفهوم أن هناك مساحة ضئيلة ممكنة للتنمية، أو مسموحة، أو حتى مرغوباً بها».<sup>(٣)</sup> لم يُظهر البريطانيون دافعيةً ليحاولوا حتى أن ينفذوا أي برامج تنموية تستحق الذكر، ولهذا «لم يكن هناك سوى

(١) المصدر السابق، صفحة ٦٤.

معدّل قيمة الصرف من الباوند إلى الدولار الأمريكي في ١٩٥٩م كانت ٨١,٢. وبلاستناد على ذلك تُقدّر قيمة صادرات الصومال في ١٩٥٩م بـ ٨٦٦٤٤٧,٢ مليون دولار أمريكي. معدّل الصرف متاح على:

Lawrence H. Officer, "Dollar - Pound Exchange Rate From 1791," Measuring Worth, 2017URL: <http://www.measuringworth.com/exchangepound/>

(٢) S. Steinberg, The Stateman's Year - Book: Statistical and Historical Annual of the states: The statistical and Historical Annual of the states of the World for the Year 1961 (London: McMillan &Co. LTD, 1961), 1376.

تم تحويل الباوند إلى دولار أمريكي بناءً على معدل ٨,٢.

(٣) Brock Millman, British Somali land: An Administrative History, 1920-1960 (Routledge, 2014), 4-5.

تنمية اجتماعية أو اقتصادية زهيدة في الشمال»<sup>(١)</sup> ويُرجع Douglas Jardine غياب التنمية الاقتصادية عن سياسة البريطانيين في أرض الصومال إلى ثلاثة أسباب: الحرب مع حركة الدراويش التي قيّضت أسس السلام، والطبيعة العقيمة للأجزاء الكبرى من البلاد، والطبيعة المتحفظة والمستقلة لأهلها.<sup>(٢)</sup> كان الشحن بالبواخر هي المنفذ التجاري الوحيد المزدهر في الشمال، ولهذا كان هناك عددٌ كبيرٌ من الصوماليون يعملون كبَحَّارة. تخلّفت شمال الصومال عن نظيرتها الجنوبية في حقبة إقليم الصومال الإيطالي على صعيد البرامج التنموية، وكان لهذا التباين أثرٌ سلبيٌّ على الصومال بعد توحيدها.

كانت الخدمة العسكرية عاملاً آخر أسهم في تطور النخب الحديثة. فكانت السلطات الاستعمارية تجنّد الصوماليين في جنودها، سواءً في المحمية البريطانية أو في المستعمرة الإيطالية في الجنوب، وتحديدًا خلال الحرب الإيطالية الأثيوبية عام ١٩٣٤ - ١٩٣٥ م، فقد زاد عدد المجندين الصوماليين بنسبةً دراماتيكية، فيُقدّر وجود ٦٠٠٠ جنديٍّ صوماليٍّ منتظم وأكثر من ٤٠ ألف جنديٍّ غير منتظم شاركوا في تلك الحرب على الجبهات الإيطالية.<sup>(٣)</sup> ومن المثير للاهتمام بأن الصوماليين كانوا يُكافؤون على إسهاماتهم في الحرب بالإشارة إليهم بـ«صوماليين»<sup>(٤)</sup>، دلالةً على الاحترام، عوضاً عن «سكانٍ أصليين». وشارك الصوماليون أيضاً على الجبهات الأثيوبية وقاتلوا ضد الإيطاليين تحت قيادة ٢٢ شخصية مرموقة، وسجّلت Pankhurst أسماء هؤلاء.<sup>(٥)</sup> وترتّب على هذا الحشد الشعبي والتكيف مع أسلوب الحياة

---

(١) Peter Woodward, The Horn of Africa: Politics and International Relations (London: I.B. Tauris &co., 2003), 26.

(٢) Mohamed Osman Omar, The Scramble in the Horn of Africa: History of Somalia (1827-1977) (Mogadishu: Somali Publications, 2001), xxviii

(٣) I.M. Lewis, A Modern History of Somalia: Nation and State in the Horn of Africa (London: Longmans, 1980), 113.

(٤) Lewis, A Modern History, 111.

(٥) Pankhurst, Ex - Italian Somaliland, 17.

الجديدة خلال الحرب عودة عددٍ من الجنود من الحرب والاستقرار في المراكز الحضرية ليصبحوا لاحقاً جزءاً من القوميين الصوماليين. وشهدت الصومال عملية تمدّن متسارعة، وتحديدًا في مدينة مقديشو، إذ تضاعف عدد السكان في السنوات ١٩٣٣ - ١٩٤٠م، ليصل عدد السكان إلى أكثر من ٦٠ ألف نسمة.<sup>(١)</sup> وبالرغم من غياب البيانات الإحصائية التي يمكن الرجوع إليها لتقدير عدد الصوماليين الذين شاركوا في الحرب العالمية الثانية، يُعتقد بوجود عددٍ كبيرٍ من الصوماليين الذين انضموا إلى القوات المسلّحة التابعة لإيطاليا، وبريطانيا، وفرنسا، وأثيوبيا. وكان هناك أكثر من ٢٤٠٠ صوماليّ ناشطين في قوات الأمن عام ١٩٥٢م.<sup>(٢)</sup> ولكن أثّرت بعض الاضطرابات التي طفت على السطح بعد عام ١٩٤٨م، في أعقاب حادثة مؤسفة تُعرف في التاريخ الصومالي باسم «Dhagax - tuur»، بالمنضويين تحت لواء قوات الدرك من الصوماليين، وكان معظمهم أعضاء في عصابة الشباب الصومالي (٦٠٪)، إلى حدٍّ كبيرٍ بسبب اتهاماتٍ وُجّهت لهم بالمشاركة في ثورة ١٩٤٨. ونتيجةً لذلك تمّ الاستغناء عن ١٣ فرقة مشاة، ولم يُبق سوى على ٦٠٠ عنصرٍ أمني.<sup>(٣)</sup> كان إرث حركة الدراويش والاحتكاك بالبلاد المسلمة المجاورة مثل اليمن والسودان عوامل أخرى ساهمت في انبثاق القومية في إقليم الصومال البريطاني. ولم يكن من المفاجئ، مع ذلك، التباين بين الأفكار التي نادى بها النخب التي تمتّعت بتعليمٍ حديثٍ وأفكار النخب التقليدية. ففضّلت النخب الحديثة سياسات الموافقة والمحاكاة، ومن هنا كان تأسيس الأحزاب السياسية.

كان تشكيل الأحزاب السياسية وعقد الانتخابات أمرين جديدين على الصوماليين، ولعب عامل العشائر دوراً فارقاً في ذلك. ومن الجدير بالذكر بأن أهم المشاكل التي شابت السياسة في الصومال هي وجود ولاءاتٍ متعدّدة لقربانات الدم والأحزاب السياسية. ويؤكد

---

ويظهر بأن رقم ٢٠٠٠ الذي أورده أحمد سمر كان مبالغاً كبيرة. انظر:

A. Samatar, Socialist Somalia, 52.

(١) Lewis, A Modern History, 113.

(٢) Tripodi, The Colonial Legacy, 53

(٣) المصدر السابق، صفحة ٤٨.

البروفيسور Saadia Touval بشكل واضح بأن «أهم ما يجب معرفته عن المشهد السياسي الصومالي هو أساس القبلية»<sup>(١)</sup> ولكن توسط عامل العشيرة يُرجع إلى المدرسة الفكرية الأنثروبولوجية، ولم يكن هو، واقعاً، العامل الوحيد. فصحيحٌ بأنه لا يمكن إنكار وجود عامل العشيرة في الفضاء السياسي في الصومال، ولكن كان هناك عوامل وتوجهات أخرى لا يمكن التغاضي عنها. فقد وجدت النخب الحديثة، الذين اعتنقوا أيديولوجية القومية، أنفسهم في مواجهة خيارٍ محيرٍ في ظلّ ولاءاتهم المتعدّدة. ويمكن ملاحظة ذلك في سياقاتٍ سياسية مختلفة، «فالنخب السياسية الحديثة لا يملكون ارتباطاً قبلياً، ولا يكون لهم ذلك.»<sup>(٢)</sup> فإذا كان للانقسامات القبلية أثرٌ مهمٌ على تشكيل الأحزاب السياسية. لم تملك الأحزاب السياسية والمؤسسات غير العشائرية جذوراً عميقة في الثقافة السياسية في الصومال، وكانت الطرق الصوفية هي الصورة الوحيدة المقبولة اجتماعياً للكتل التي تتعدّى حدود القبائل. ويُتوقع، في ظلّ ذلك، أن تعاني عملية تشكيل هذه المنظّمات في المراكز الحضرية من ضعفٍ تنظيمي، وميوعةٍ أيديولوجية، وولاءاتٍ تقليدية. فعلى سبيل المثال، كان هناك ٢٠ حزباً سياسياً في جنوب الصومال، وشاركت هذه الأحزاب في الانتخابات البلدية عام ١٩٥٤م، ومثّلت المصالح القومية، والإقليمية، والسوسيواقتصادية، والعشائرية أكثر من تمثيلها توجهاتٍ سياسية مختلفة.<sup>(٣)</sup> وكان حزب عصبة الشباب الصومالي الحزب الصومالي العمومي الوحيد في رؤيته وأجندته، وتمتّع الحزب بدعمٍ واسعٍ من مختلف المناطق الصومالية بالرغم من أن العائلتين العشائرتين دارود وهويه كانتا تهيمنان عليه.<sup>(٤)</sup> أما العشائر الرئيسية الأخرى في

---

(١) Touval, Somali Nationalism, 85.

(٢) المصدر السابق.

(٣) Mohamed Abdullahi, State Collapse and Post - Conflict Development in Africa: The Case of Somalia (1960-2001) (Indiana: Perdue University Press, 2006), 74.

(٤) تقدير توزيع أفراد حزب عصبة الشباب الصومالي بين العشائر الرئيسية خلال عام ١٩٥٦: ٥٠٪ دارود، و ٣٠٪ هويه، و ١٠٪ دجل ورحونين. انظر:

الجنوب فكانت العائلتان العشائريتان دجل ومرفله، وكانا بصورة رئيسية ينضويان تحت لواء حزب دجل ومرفله. ومن الجدير بالذكر أيضاً أن كامل العائلتين العشائريتين دارود أو هويه لم يكونا من داعمي عصبة الشباب الصومالي، فاستطاعت عصبة شباب هويه، التي تشكلت قبل ١٩٥٦م، أن تنتزع شيئاً من دعم هويه من عصبة الشباب الصومالي. ودعم المجيرتينيين في إقليم بنادر وجوبا عصبة الصومال الكبير، والتي انشقت أيضاً من عصبة الشباب الصومالي.<sup>(١)</sup> كما استطاع حزب الشباب الصومالي الليبرالي أن يحظى بالجزء الأكبر من دعم فرع أبغال من هويه وييمال في الدير الجنوبية.<sup>(٢)</sup> وكان هناك أحزابٌ أخرى مثل الاتحاد الصومالي الوطني، وكان السواد الأكبر من داعميهم من شعب البنادري، واتحاد مريحان، وهو الحزب الوحيد الذي انبثق من عشيرة فرعية وحمل اسمها بصراحة.<sup>(٣)</sup> وفي الشمال، كانت الانقسامات القبلي وترتباتها على المشهد الحزبي أكثر وضوحاً، وكان أكبر أحزاب الشمال، العصبة الصومالية القومية، يدين بالولاء لعائلة إسحاق العشائرية، أما عصبة الشباب الصومالي فقد حشد دعم من عشائر دارود في الشمال (ظلهنتي ووراسنجلي). وكان ثالث هذين الحزبين هي الجبهة الصومالية الموحدة التي حازت على قاعدة شعبية أصغر وتركزت في فرع هبر تولججلا المنحدر من عشيرة إسحاق.<sup>(٤)</sup> وكان الحزب الرابع هو الحزب الصومالي الموحد الذي تأسس في بداية الستينات، ومثل تحالف العشائر من غير إسحاق في الشمال مثل ظلهنتي، ووراسنجلي، وعيسى، وجدابورسي. وكان الهدف من تأسيس الحزب بالدرجة الأولى هو معادلة الموازين في ظل الهيمنة الجارفة الذي

Lewis, A Modern History, 146.

ويظهر بأن هذه البيانات تخمينية إلى حد بعيد.

(١) Abdullahi, Tribalism, Nationalism and Islam, 69.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) كانت الشخصية القيادية البارزة في هذا الحزب هو Michel Mariano، شخصية سياسية مسيحية في الصومال.

تمتّع بها حزب العصبة الصومالية القومية بين أبناء عشيرة إسحاق. ويجدر بالإشارة إلى أن الأحزاب السياسية كانت غير قانونية في المحمية البريطانية حتى عام ١٩٥٩م، ولم يكن يُسمح بالعملين في القطاع العام بالانضمام إلى هذه الأحزاب.<sup>(١)</sup> وعلى طرف النقيض من ذلك، شجّعت الإدارة البريطانية العسكرية تأسيس الأحزاب السياسية منذ عام ١٩٤٣م، في جنوب الصومال وسمحت بالعملين في القطاع العام والقطاع العسكري بالانضمام إلى عصبة الشباب الصومالي. ولهذا السبب تأخّرت عملية نهوض الأحزاب السياسية في أرض الصومال بصورة كبيرة عن نظيرتها في الأراضي الصومالية الواقعة تحت الوصاية الإيطالية. عُقدت أول انتخابات في الصومال في مايو ١٩٥٤م عندما نظّم إقليم الصومال الإيطالي أول انتخابات بلدية. ولم يكن هناك سوى ٥٠٧٤٠ ذكر مسموح لهم بالتصويت إذ كانوا منتخبتين مسجّلين في الدوائر البلدية، وكانت نسبة المشاركة بين الشريحة التي تستطيع التصويت عالية جداً، إذ وصلت إلى ٧٥٪ (٣٨١١٩).<sup>(٢)</sup> وتم الإعلان عن القانون الانتخابي بتاريخ ٣١ آذار ١٩٥٥م في مرسوم أصدره السفير Anzilotti، مدير إقليم الصومال الإيطالي. وكان أساس هذا القانون كما يلي:

«يحقّ لجميع الذكور المشاركة في الاقتراع العام الذي سيُفرز مجلساً إقليمياً: من الناس المقيمين خارج الدوائر البلدية عبر المؤتمر (الاسم الذي يطلق على تجمعات العشائر)، والممثّلين الانتخابيين، أما الناس الذين يعيشون داخل الدوائر البلدية فلهم التصويت مباشرة. ستكون اختيارات الممثّلين الانتخابيين والمنتخبين الذين يعيشون في الدوائر البلدية مباشرة، وحرّة، وستُصان سرّيتها، وستسير وفقاً لقائمة المرشّحين المشاركين في المنافسات الانتخابية. وسيكون التمثيل بالنظام النسبي.»<sup>(٣)</sup>

---

(١) Maria Brons, Society, Security Sovereignty and the state of Somalia: From Statelessness to statelessness (International books, 2001), 153.

(٢) Tripodi, The Colonial Legacy, 66.

(٣) المصدر السابق، صفحة ٧٨



حققت عصبة الشباب الصومالي فوزاً كبيراً في الانتخابات بنسبة وصلت إلى ٤٧٪ من مجموع الأصوات الكلي، وكان هذا يعني حصول الحزب على ١٤١ من أصل ٢٨١ مقعد في المجلس، وتلاه حزب دجل ومرفله الذي حصل على ٥٧ مقعداً، ووُزعت المقاعد المتبقية على عددٍ من الأحزاب الأخرى الصغيرة.<sup>(١)</sup> غيّرت هذه النتيجة العلاقة بين عصبة الشباب الصومالي وإدارة إقليم الصومال الإيطالي بعد أن حكمتها التوترات، وهكذا بدأت فترة التقارب.

حسّنت عصبة الشباب الصومالي علاقتها بإدارة إقليم الصومال الإيطالي تدريجياً عن طريق عددٍ من الوسائل، كان منها الإقناع. فأخذت التوجهات القومية، التي كانت شديدة في البداية، منحىً أكثر اعتدالاً، وعكس هذا تأثيراً أسماه Johannes «بالترويض السياسي»، فيما أشار إليه محمد شريف محمد «بحكمة وبصيرة» بعض قادة حزب عصبة الشباب الصومالي.<sup>(٢)</sup> وكانت هذه النقلة في السياسات تطوراً طبيعياً إذ أدركت إدارة إقليم الصومال الإيطالي بأن

---

(١) المصدر السابق، صفحة ٦٦.

(٢) حاكت الولايات المتحدة وإيطاليا سياسةً لإبقاء الصومال بيد الغرب. وكانت وسيلتهم هي تغذية توجهاتٍ مناصرةٍ للغرب داخل حزب عصبة الشباب الصومالي المسيطر. وهذا بدوره ضمن لحزب عصبة الشباب الصومالي دعم الغرب ومكّنه من الحفاظ على علو كعبه على الأحزاب الأخرى في ١٩٥٦ م. انظر:

Okbazghi Yohannes, The United States and the Horn of Africa: An Analytical Study of Pattern and Process (Westview Press, 1997), 204-212.

ونجحت القيادات المعتدلة لحزب عصبة الشباب الصومالي، وتحديدًا أدن عبد الله عثمان، في إقناع غالبية أعضاء اللجنة المركزية باتخاذ سبيل السلام والتعاون مع إيطاليا لجعل مهمة الحصول على الاستقلال سلسلةً بقدر الإمكان ضمن النافذة الزمنية المحددة. وعن هذا الموضوع، انظر:

Moh amed Sharif Moh amud, —al - Ra'is Ādan Abdulle Osman Awal Raīs li al Ja mhūriyah alSomāliyah, 2009,

متاح على الرابط:

<http://arabic.alshahid.net/columnists/1458>

(تمّ الوصول بتاريخ ٦ يونيو ٢٠١٠).

عصبة الشباب الصومالي هم حزب الأغلبية، وقد بدأ بالاستعداد ليتولّى مقاليد الحكم في البلاد. إلا أن هذه السياسات الجديدة لم تنل رضا بعض الشخصيات البارزة في الحزب نفسه، مثل حاج محمد حسين، الذي انتخب رئيساً للحزب في ١٩٥٧م. لقد جسّد حاج محمد حسين أفكار النموذج الناصري المتمثلة بتوجه عدم الانحياز الإيجابي، وهو ما رأت فيه إيطاليا والولايات المتحدة الأمريكية نموذجاً مناهضاً للغرب ومناصراً للشيوعية. وبدأ تصنيف قادة الحزب إلى معتدلين مناصرين للغرب، وراديكاليين معادين للغرب في مناخ الحرب الباردة والمفردات السياسية السائدة في ذاك الزمن. لقد نجح حاج محمد في أسر مخيّلات الجماهير والدوائر الدينية بفضل خطابه الذي تمحور حول قضية الصومال الكبير، ومهاراته الاجتماعية الاستثنائية، وإتقانه للغة العربية الذي أسبغه باستشهاده بأبيات الشعر الصومالي والآيات القرآنية. وحظي حاج محمد، على وجه التحديد، بدعم العديد من علماء الإسلام لميوله الإسلامية الواضحة ودعمه للغة والثقافة العربية. ولكن حدث أن حيكت مؤامرة ضد حاج محمد، كان للولايات المتحدة وإيطاليا يدٌ فيها، أدّت إلى إقصائه من الحزب في مايو ١٩٥٨م.<sup>(١)</sup> مثل حاج محمد وغيره من الشخصيات البارزة في الحزب أيّدولوجياتٍ منافسةٍ لم يُحسب حسابها، وقاموا بتأسيس حزب الصومال الكبير. ووصفته وسائط الإعلام الغربي بأنه «متطرّف يحمل نفس مواقف عصبة الشباب الصومالي المعادية لإيطاليا» و«قوميّ كلاسيكي ديماغوجي» ويناصر «سياساتٍ تصبّ في مصلحة مصر».<sup>(٢)</sup> وهكذا، وكما كشفت

---

(١) Tripodi, The Colonial Legacy, 87.

(٢) وصف تريبودي سياسات حاج محمد حسين بأنها «متطرّفة»، فيما يرى توفال بأنه كان ببساطة مناصراً للمصريين. انظر:

Touval, Somali Nationalism, 91;

وأيضاً

Tripodi, The Colonial Legacy, 87

كما وصفت مجلة التايمز حاج محمد حسين بأنه «قوميّ كلاسيكي ديماغوجي». الاقتباس من:

Elby Omar, Fifty Years, and Fifty Stories: the Mennonite Mission in Somalia, 1953

2003 - (Herald Press, 2003), 31.

الأحداث على النقيض من الخطاب الذي شاع وقتها، حالت قوى الغرب دون قيام ثقافة سياسية ديمقراطية في الصومال تحت ذريعة مواجهة الشيوعية.<sup>(١)</sup>

ارتكز قانون الانتخابات على نظام مختلط، وهو ما كان أمراً حتمياً في ظل صعوبة الوصول إلى موقفٍ تجمع عليه غالبية الشعب الرعوي، وأيضاً تسجيلهم في قوائم الناخبين بسبب النافذة الزمنية الضيقة وشح الموارد فكان عدد القاطنين في الدوائر البلدية ٢٣٠,٠٠٠، ولم يتجاوز عدد الذين كانوا يملكون أهلية التصويت ٥٠ ألفاً كانوا ساكنين ومُسجّلين في دوائر انتخابية محدّدة. وبحسب التقديرات، فقد وصل عدد الساكنين خارج هذه الدوائر إلى ١,٥ مليون،<sup>(٢)</sup> بحيث شاركت ١٠ أحزاب في الانتخابات العامة الأولى التي عُقدت عام ١٩٥٦م، ونافست هذه الأحزاب على ٦٠ مقعدٍ كانت مخصّصة للصوماليين في الجمعية التأسيسية. وأبرزت هذه الانتخابات حصول عصابة الشباب الصومالي على ٤٣ مقعد، وحزب دجل ومرفله على ١٣ مقعد، أما المقاعد العشرة المتبقية فقد خُصّصت للإيطاليين، والهنود، والباكستانيين، والعرب. وعزز النظام الانتخابي العشائرية السياسية و«تحتّم على أبناء القبيلة الذكور إيجاد حزبٍ يمثل العشيرة، وصارت التقاطعات بين العشائر والأحزاب أكثر حدة.»<sup>(٣)</sup> ويمكن الاعتقاد بأن اعتماد قانونٍ انتخابيٍّ قائمٍ على نظامٍ مختلطٍ كان يهدف إلى تشظية القاعدة الشعبية لعصابة الشباب الصومالي وإعطاء فرصٍ أكبر للأحزاب المؤيدة لإيطاليا.<sup>(٤)</sup> أي أن العشائرية السياسية لم تكن فقط أمراً جوهرياً في ظلّ نظام تقسيم عشائري في الصومال، كما يقول الأنثروبولوجيون، بل كان هناك أيضاً مساعٍ مقصودة لقوى الاستعمار هدفت إلى ترسيخ هذا النظام أملاً في تسهيل سيطرتها على الشعب.

---

(١) انظر:

Yohannes, The United States and the Horn of Africa, 211.

(٢) Tripodi, The Colonial Legacy, 78-79.

(٣) Tripodi, The Colonial Legacy, 67.

(٤) المصدر السابق.

بدأت فكرة تعزيز العشائرية بوضع سياسة الحكم غير المباشر وصرف رواتب لشيوخ العشائر، وهو ما أوجد منفذاً للفساد في نظام التساوي، وحولّه إلى نظامٍ هرمي ومهادن مع الاستعمار. كما أن غياب توافقٍ يمكن الاستناد عليه حول توزيع التمثيل في المقاعد الانتخابية عقّد إمكانية الوصول إلى تمثيلٍ عادلٍ للعشائر المختلفة في الجمعية. وفشل التوافق المخطّط له، الذي كان يفترض أن يكتمل في ١٩٥٧ م، فشلاً ذريعاً في ثلاثة من الأقاليم الإدارية الستة، وكانت هذه الأقاليم الثلاثة هي مجرتين، ومدج، وجوبا السفلى، فيما تمّ الوصول إلى توافق في بنادر، وجوبا العليا، وهيران.<sup>(١)</sup> وأدّى فشل إقليم الصومال الإيطالي في تحقيق توافقٍ يمكن الاستناد عليه إلى تمثيلٍ أوليّ غير عادل في مقاعد البرلمان، وهو ما أدّى إلى زرع بذورٍ مبكّرة لثقافة التلاعب بالانتخابات. وتمّ اعتماد نظامٍ انتخابيٍّ جديد على عجلة بحلول العام ١٩٥٩ م، واختير أسهل نظامٍ ممكن للناس الذين لا يجدون القراءة والكتابة. وكان النظام مبنياً على الدوائر بطريقة الفائز الفردي، أي أن الفائز يحصد كل شيء. فيسمح هذا النظام كل ناخبٍ لأن يصوّت لمرشّح واحد، ويكون المقعد من نصيب المرشّح الذي يحصد أكبر عددٍ من الأصوات حتى لو كان عدد الأصوات الذي حصده أقل من غالبية الأصوات. وعُقدت أول عملية اقتراع عام بناءً على النظام الجديد يوم ١ آذار ١٩٦٠ م، ولكن معظم الأحزاب قاطعت الانتخابات، وحصدت عصبة الشباب الصومالي، في فوزٍ كان مفروغاً منه على أرض الواقع، ٨٣ مقعداً من أصل ٩٠ مقعد.<sup>(٢)</sup> لقد عزّز النظام الانتخابي المعتمد انقسام العشائر، والصراع، وضمن احتكار العشائر الكبيرة في كل دائرةٍ انتخابيةٍ لمقاعد البرلمان. كما أدّى هذا النظام لاحقاً إلى تكثير الدوائر الانتخابية والغش عن طريق استغلال حدود الدوائر الانتخابية. وبيّن الجدول التالي الأحزاب السياسية عام ١٩٦٠ م وولاءاتها العشائرية. وكما هو موضحٌ في الجدول، فإن عصبة الشباب الصومالي كانت تتمتع بالتمثيل العشائري الأعلى،

---

(١) Tripodi, The Colonial Legacy, 86.

(٢) Nohlen, D, Krennerich, M & Thibaut, B, Elections in Africa: A data handbook (Oxford University Press, 1999), 812.

فيما كانت جميع الأحزاب الأخرى أحزاباً إقليمية أو تتبع عشائر فرعية.

أحزاب ١٩٦٠	عصبة الشباب الصومالي (SYL)	العصبة الصومالية القومية (SNL)	حزب دجل ومرفله (HDMS)	عصبة الصومال الكبير (GSL)	الجبهة الوطنية الموحدة (NUF)	حزب الشباب الصومالي الليبرالي (PLGS)	الاتحاد الصومالي الوطني (SNU)	الحزب الصومالي الموحد (USP)
العشائر	دارود وهويه	إسحاق	دجل ومرفله	مجرتين	تولجلا (إسحاق)	أبغال/ جمالي	بنادري	العشائر الشمالية غير إسحاق

#### جدول رقم (٦): الأحزاب السياسية وولائاتها العشائرية قبل الاستقلال عام ١٩٦٠ م

أجمعت جميع برامج الأحزاب السياسية على أهدافٍ قوميةٍ جوهرية وقت الاستقلال، مثل تأسيس الدولة الصومالية والنضال من أجل الصومال الكبير. وزُرعت هذه الأفكار في أذهان الشعب الصومالي وتشربها قبل عقدٍ من ذلك بين الأربعينات والخمسينات، وكان حزب عصبة الشباب الصومالي في الأربعينات هو الحزب الوحيد الذي يؤمن بأيديولوجية الصومال الكبير، في حين اتفقت جميع الأحزاب الأخرى على المناداة بوحدة الصومال الكبير في الخمسينات. والقضية الوحيدة التي كانت محل جدل هي بنية الدولة الصومالية، فكان حزب دجل ومرفله يريد إقامة دولةٍ بنظامٍ فيدرالي، وهو ما بينه رئيس الحزب جيلاني شيخ بن شيخ في شرحه لأهداف الحزب في ١٩٥٨ م،<sup>(١)</sup> بينما كانت الأحزاب القومية الأخرى في الشمال والجنوب، عصبة الشباب الصومالي والعصبة الصومالية القومية، «تفضل نظام الدولة المركزية»<sup>(٢)</sup>.

(١) «قال قائد الحزب بأن الحزب بات مقتنعاً بأن النظام الوحيد الذي يمكن أن يوحد الصوماليين هو فيدراليةٌ تضمن استقلالاً إقليمياً كاملاً».

Touval, Somali Nationalism, 96.

(٢) المصدر السابق، صفحة ١٠٥.

## القومية الصومالية: بين الاعتدال والتطرف

تنامت العشائرية السياسية منذ بدء مشروع بناء الدولة في الصومال عام ١٩٥٤م، كما رأينا في الجزء السابق. وكانت هناك تشعباتٌ بين الولاءات العشائرية المختلفة والأجندة القومية الموحدة، وهو ما أثر على عملية بناء الدولة بأكملها. كانت الأهداف الأولية لحزب عصابة الشباب الصومالي هي توحيد جميع الصومال باستئصال الانحيازات الاجتماعية والعشائرية الضارة، وتعليم الشباب الأفكار الحديثة والمدنية، وإقصاء أي ظروفٍ لا تتماشى مع المصالح الصومالية، وصياغة نصٍّ يرسم أسس اللغة الصومالية الأصلية. وركّزت عصابة الشباب الصومالي في بادئ الأمر، كما هو مبينٌ في الدستور، على معالجة الآفات الاجتماعية المتفشية مثل ثقافة العشائر المنتشرة التي تقود للخلافات والانقسامات، مع تعزيز التعليم والبرامج الاجتماعية الأخرى. وكان أهم هدفٍ وضعته عصابة الشباب الصومالي هي محاربة العشائرية التي كانت أصل كل صدعٍ في المجتمع الصومالي. وكان من الواضح أن جميع برامج عصابة الشباب الصومالي كانت موجّهةً لتحقيق وحدةٍ صوماليةٍ داخلية. ولكن بعد إعلان Bevin، ودولة بريطانيا، عن رغبتها في إقامة دولة الصومال الكبير تحت وصايتها، كرّس حزب عصابة الشباب الصومالي كل ما يملك لتحقيق حلم الصومال الكبير، وتحوّل الحزب إلى حزبٍ سياسيٍّ بحكم الأمر الواقع عام ١٩٤٦م، إذ صار تحقيق الوحدة الصومالية الداخلية، التي كان يفترض تحقيقها عبر إضعاف مشارب العشائرية، وتحقيق وحدةٍ صوماليةٍ خارجيةٍ تجمع الأقاليم الصومالية الخمسة التي احتلتها قوى الاستعمار، هي العناوين العريضة للأجندة القومية. وكان السعي لتحقيق هذه الأهداف سعياً متقدماً بالعاطفة ومشخصاً بمناهج مثالية. ولننظر الآن إلى الكيفية التي عملت بها الحركات القومية في سعيها للوحدة، وماذا آتت هذه الكيفيات من ثمار.

\*\*\*

## المنهجيات القومية المعتدلة

كان هناك عاملان شغلا فكر القوميين الصوماليين: إضعاف العشائرية وتقوية الوطنية. ورأى القوميون بأن هذان الأمران متضادان تماماً، أي أن إضعاف عاملٍ منهما يعني بالضرورة تقوية الآخر، أو بكلماتٍ أخرى كانت معادلة العشائرية والقومية معادلةً صفرية. ولكن كان الواقع يقضي بأن العشائرية هي ثقافةٌ مجتمعيةٌ قائمةٌ على أرض الواقع، وهو ما قوّض مساعي القومية التي كانت تتطلب أكثر من مجرد شعاراتٍ قوميةٍ قاذيةٍ ومشجّبة. ويُضاف إلى ذلك أن القومية كانت أيديولوجيةً دخيلةً تمثل شرطاً مسبقاً للحشد القومي، والتحديث، وبناء الدولة. ويبيّن واقع الأحداث بأن القوميين في الصومال مرّوا بمرحلتين في سياق محاولتهم لعلاج العشائرية وتنفيذ مشروع الصومال الكبير: المنهجية المعتدلة، والمنهجية الراديكالية التي طغت عليها الوسائل العسكرية والصدامية.

كانت المشكلة الأكبر التي عانت منها عملية بناء الدولة الصومالية في نظر القوميين هي العشائرية، وهي القضية التي كرّسوا لها جميع جهودهم أملاً في تقليل أثرها السلبي. أوصى علماء بناء الدولة في المجتمعات العشائرية/القبلية بتطبيق ثلاث منهجيات: (١) التمثيل النسبي، (٢): ونزع السلطة من المركز قدر الإمكان، وإعطاؤها للحكومات الفيدرالية، (٣): واللجوء إلى تحالفاتٍ سياسيةٍ عريضة.<sup>(١)</sup> ولكن القوميين الصوماليين فنّدوا، بالكامل، عملية التحول إلى الحكومات الفيدرالية، عن طريق تأسيس استقلالٍ إقليمي، أو ما يُعرف بالفيدرالية، قبل الاستقلال. ولم ترَ الكتل القومية في بناء تحالفاتٍ سياسيةٍ عريضةٍ أجندةً لها، فكانت سياسة عصابة الشباب الصومالي هي إضعاف الأحزاب المنافسة الأخرى وجذب أعضاءها البارزين. فتركزت محاولات القوميين الصوماليين على صياغة تمثيلٍ حكومي للعشائر يقوم على مبدأ التمثيل النسبي، وكذلك الأمر في مناصب وشؤون القطاع العام. وركّزت مساعي إضعاف العشائرية أيضاً على تمجيد وترويج القومية، إضافةً إلى بعض الإجراءات التشريعية.

---

(١) S. Sharma, Politics of Tribalism in Africa (Delhi: Kay Printers, 1973), 145-55.

إلا أن صون التمثيل النسبي لم يكن بالأمر الهين، وانتزعت بعض العشائر وظائف حكومية أكثر مع مرور الوقت. وكان السبب وراء ذلك هو أن بعض العشائر حصلت على بعض الفرص التعليمية في ظل الاستعمار أكثر من العشائر الأخرى، وهو ما انعكس أيضاً على الوظائف. ويُضاف إلى ذلك بعض جوانب ثقافة العشائر وبعض العوامل الإيكولوجية، وهو ما أدى، في جملة، إلى انهيار النظام النسبي.<sup>(١)</sup> فعندما تشكّلت أول حكومة تحت رئاسة عبد الله عيسى عام ١٩٥٦م، على سبيل المثال، كان هناك ستة وزراء تم اختيارهم من عشائر محدّدة تنحدر من هويه ودارود، وهو ما أثار غضب دجل ومرفله بالرغم من أن حزبهم، حزب دجل ومرفله، لم ينل عدداً كافياً من المقاعد. كما تولّدت أيضاً حالة من النقم في صدور عشائر دارود الفرعية بسبب اختصاص هويه لنسب الأغلبية في الحكومة.<sup>(٢)</sup> حاولت حكومة ١٩٥٩م تلاقي هذه الأخطاء وإعطاء اعتبار أكبر للوحدة الوطنية، فتمّ توزيع ١٥ منصب وزير ووكيل وزارة بالتساوي بين العوائل العشائرية: دارود، وهويه، ودجل ومرفله.<sup>(٣)</sup> وطُبّقَت سياسة توزيع السلطة السياسية المتكافئة نسبياً بعد الاستقلال، وتألّفت أول حكومة بعد الاستقلال من ١٤ وزارة، وكان توزيعها بالتكافؤ النسبي بين المقاعد البرلمانية في الشمال والجنوب. فحصل ٣٣ مقعد برلمانيّ يمثّلون الشمال على أربع وزارات، ووُزعت المناصب الوزارية الأربعة على إسحاق ودارود بالتساوي، بينما حصل الجنوب ومقاعده البرلمانية التسعين على ١٠ وزارات كما يلي: أربع وزارات لهويه، وأربع وزارات للدارود، ووزارتان لدجل

---

(١) أرى أنا أن العشائر الذي تربّى أبناؤها على أسلوب الحياة البدوية كانوا يمقتون الوظائف الوضيعة، ويفضّلون العمل في وظائف حكومية. أما العشائر المنحدرة من مناطق زراعية فكان تملك خبرة العمل في القطاع الخاص.

(٢) خُصّصت ثلاثة مقاعد وزارية، من أصل ستة من بينها رئاسة الوزارة، لهويه، وإثنان لدارود، وواحد للدير. انظر:

Lewis, A Modern History, 140

(٣) Lewis, A Modern History, 160.



ومرفله.<sup>(١)</sup> وصحيحٌ أن هذا النسب كانت موزعةً بالاعتماد على نسب الجنوب والشمال، ولكنها أحدثت اضطراباً في موازين العشائر، فلم ترَضَ العوائل العشائرية إسحاق ودجل ومرفله بهذه القسمة. وبالرغم من أن مبدأ موازين العشائر صار إجراءً متبعاً في جمهورية الصومال، لم يكن هذا المبدأ كافياً لتحسين الحكومات بالشرعية التي احتاجتها بسبب غياب معيارٍ موحدٍ يمكن الاستناد عليه لصياغة النسب. فكان التمثيل النسبي قائماً فعلياً على معايير افتراضاتٍ اعتباطيةٍ حول العوائل العشائرية المهيمنة، والتي كانت هوية ودارود في ظل غياب توافقٍ يمكن التعويل عليه في الدولة والقبائل، فضلاً عن المغالاة في التمجيد لشعب الصومال، والذي رافقه أيضاً سخريّةٌ كبيرة وإنكارٌ لوجود العشائرية. فطغت أفكار تمجيد القومية على وسائل الإعلام، وخصوصاً على شكل قصائد وأغاني، وبُجِّل «أبطال القومية» مثل الإمام أحمد الأشول (أو الأعسر) وسيد محمد عبد الله حسن على أنهم أبطالٌ وطنيون. بل ذهب بعض القوميين، الذين عملوا بمنهجياتٍ راديكالية، أبعد من ذلك وأنكروا أن العشائرية لها أي وزنٍ في المشهد السياسي الصومالي. واعتقد هؤلاء بأن استئصال العشائرية سيكون أسهل كلما قلَّ الحديث عنها. وتمَّ اللجوء أيضاً إلى التشريعات لتخفيف أثر العشائرية على المساحة السياسية. فتمَّ تدشين ثلاثة قوانين مهمة، على سبيل المثال، قبل ١٩٦٩م لكبح تأثير العشائرية، وكان الهدف من القانون الأول هو تقليل سلطة شيوخ العشائر، أما القانون الثاني فتم وضعه لتفكيك التكافل العشائري إلى حدٍّ معين، وترتّب على القانون الثالث حظر الأحزاب السياسية التي استخدمت أسماءً قبلية.

وبالرغم من أن العشائرية السياسية كانت تحتل رقعةً متزايدةً في المشهد السياسي وكانت سياسة الفصائلية واضحةً بين القوميين الصوماليين، إلا أن توحيد الصومال البريطاني والصومال الإيطالي تحت وصاية الأمم المتحدة في عام ١٩٦٠م عدّ انتصاراً وقفزةً كبيرةً للقومية الصومالية. فشهد عام ١٩٦٠م قيام أول دولةٍ مستقلةٍ في تاريخ الصومال تألّفت من إقليمين بتاريخٍ مليءٍ بالانفصال من أيام الحقبة الإسلامية الوسطى حتى حقبة الاستعمار:

---

(١) المصدر السابق، صفحة ١٦٠

محمية أرض الصومال والصومال الإيطالي. وأكملت جمهورية الصومال عقد ١٧ دولة أفريقية مستقلة عام ١٩٦٠م الذي عُرف باسم عام أفريقيا، فقد هبت رياح تغيير انتشر صداها في القارة الأفريقية. ولكن تحقيق الخطوة الأولى على طريق مشروع الصومال الكبير لم يكن كافياً لمحو شعور عدم الرضا من قلوب القوميين ما دام إخوانهم يثنون تحت وحشية الاستعمار البريطاني والفرنسي والإثيوبي. فقد اعتبر القوميون الصوماليون توحيد جزئين من الصومال حجر الزاوية والسلم الذي سيقودهم إلى التوحيد الكامل للأقاليم الصومالية الخمس التي يُرمز لها بالنجمة البيضاء التي تزيّن علم الصومال. ولا أدل ربما على صدق هذه الآمال من أغنية حليمه خليف المشهورة التي تخلّدها، والتي كانت باسم Somalidayne hadii ii midowday, saddexdii maqnaana wey soo socdaane (توحد جزاءنا منا، وستلحق بنا الأجزاء الثلاثة الباقية قريباً).

كان الاعتدال الشديد هو السبيل الذي اتبعه القوميون الصوماليون في التزامهم بدستور الدولة خلال سنوات الإدارة المدنية الأولى (١٩٦٠ - ١٩٦٩م)، وقد نصّ الدستور على ما يلي في المادة ٦ - ٢: «تتّكّر الجمهورية للحرب كوسيلة لحل المنازعات الدولية». وشدّد الدستور أيضاً على صون الوحدة الصومالية كما هو مبين في المادة ٦:٤ التي تنص على ما يلي: «تؤيّد الجمهورية الصومالية بالطرق القانونية والسلمية تحقيق وحدة الأراضي الصومالية لما كانت تشجع التضامن بين شعوب العالم عامة وعلى وجه الخصوص الشعوب الإفريقية والإسلامية»<sup>(١)</sup>. ومنحت جمهورية الصومال الجنسية الصومالية لجميع المنحدرين من أصل إثني صومالي في الأقاليم «المفقودة» أملاً في تعزيز القومية الصومالية.

ولكن كانت هناك تحديات كبيرة تنتظر الجمهورية بعد الاستقلال، كالقوى العاملة التي لم تتلقَ القدر الكافي من التدريب، ونظام عشائريّ ميسّس، وموجات الهجرة الكبيرة من الريف إلى المدينة، والأداء الاقتصادي الضعيف، والضغط من الدول المجاورة التي

---

(١) Somali Constitution of 1960. Available from <http://somalitalk.com/dastuur/1960.html> (accessed on January 18, 2017).

حملت نوايا معادية، إضافةً إلى مشاكل على صعيد الاندماج الإداري بين النظامين البريطاني والإيطالي. وطفّت أول دلائل عدم الرضا على نظام المشاركة في السلطة بين نخب الجنوب ونخب الشمال عندما حصل سياسيو الجنوب على رئاسة الدولة ورئاسة الوزراء. فرأى الشمال في ذلك ظلماً وإهانة، وكانت استياء الشمال ومعارضته المبكرة لسياسات مقديشو جلياً إذ رفض الشمال الدستور المقترح بنسبة وصلت إلى ٥٤٪ في الاستفتاء الشعبي الذي أُجري بتاريخ ٢٠ يونيو ١٩٦١م. ووصل الضيم إلى نقطة الغليان عندما حاول ضباط الشمال القيام بانقلابٍ كان هدفه فصل أرض الصومال من دولة الصومال يوم ٩ كانون الأول ١٩٦١م، ولكن باء الانقلاب بالفشل.<sup>(١)</sup> وكان يبدو بأن الصومال كانت تتعلم عملية الحكم الديمقراطي بسرعة مضطربة، إذ تم ضمان حرية الولاءات والمشاركة السياسية. فعُقد، بالمفهوم العملي، اقتراعان رئاسيان واقتراعان برلمانيان وبدأت المنظّمات الاجتماعية بالتشكل، ولم يتم منع الاحتجاجات والإضرابات، ولم يكن الاعتقال السياسي أمراً معروفاً في الصومال. ولكن تطبيق نظام الديمقراطية الدخيل بطريقة متسارعة في مجتمع تحكمه التقاليد قاد إلى الصراع بين العشائر، والفوضى السياسية، واضطراباتٍ سياسية لا محدودة. ويمكن تشخيص العملية الديمقراطية في تلك الفترة، كما يصفها عبد الله منصور، «بديمقراطية فقدت عقلها».<sup>(٢)</sup> وتسبب هذا في سيادة ساحةٍ سياسية قائمة على العشائر، وهو ما كان دون طموحات الشعب، والنخب المتعلّمة، وضباط الجيش الصومالي. فتطلّعت عيون الشعب الصومالي، الذي صار في حالة من اليأس الكامل في ظل الفساد العارم والكساد الاقتصادي، إلى الجيش الذي رأوا فيه أداة التغيير الوحيدة في أفقٍ سياسيٍّ معدوم. عزّزت الصومال أيضاً علاقاتها مع الاتحاد السوفيتي في ١٩٦٣م، في ظل هيمنة القيم القومية العمومية، وتلقّت جرعات دعمٍ عسكريٍّ

---

(١) كان من بين هؤلاء الضباط عبد الله سعيد أبي، ومحمد أحمد، وحسن كايد، وآخرون غيرهم.

(٢) Mansur Abdulla, —Contrary to a Nation: The Cancer of Somali State' in Ahmed, Ali Jimale (ed), The Invention of Somalia (Lawrenceville, NJ, Red Sea Press, 1995), 114.

واقتصاديّ كبير. <sup>(١)</sup> ومن المهم الإشارة إلى أن التنافس القائم بين الاتحاد السوفيتي والولايات المتحدة في قرن أفريقيا كانت لها انعكاساتٌ كبيرةٌ على الصومال وأثيوبيا على التوالي.

أكملت حكومة الصومال مساعيها على طريق مشروع الصومال الكبير عقب النجاح في حصول الدولة على الاستقلال عام ١٩٦٠م، وعملت الحكومة بسياساتٍ معتدلةٍ على مرحلتين. ويمكن تشخيص المرحلة الأولى بسعيٍّ أكثر حدةً نحو تحقيق مشروع الصومال العام على الصعيد الدولي، ودعم حركات الثوار المحلية في «الأقاليم المحتلة»، إضافةً إلى بذل جهودٍ كبيرةٍ لمناصرة حق شعب الصومال في تحقيق مصيره. امتدت المرحلة الأولى لسبعة أعوام (١٩٦٠ - ١٩٦٧م) تحت قيادة رئيس الوزراء عبد الرشيد علي شارماركي (١٩٦٠ - ١٩٦٤م) وخلفه عبد الرزاق حاج حسين (١٩٦٤ - ١٩٦٧م). وبدأت المرحلة الثانية خلال رئاسة وزراء محمد إبراهيم عجال الذي قام بتغييراتٍ سياسيةٍ كبيرة، فركّز على تحسين الوضع الداخلي. وقامت سياسته الجديدة على تخفيف حدة التوتر الإقليمي وتحسين العلاقات مع الدول المجاورة للصومال. فعلى سبيل المثال، قام شعب الصومال في الأراضي التي تسيطر عليها إثيوبيا بتشكيل جبهة تحرير الصومال الغربي، وطالبوا بحقوقهم في تقرير المصير، ولجأت الجبهة إلى حرب العصابات بعد تفنيد مطالبهم. دعمت حكومة الصومال حركة الثوار، وأدّى ذلك إلى بعض المناوشات الحدودية في يناير ١٩٦٤م. وتم احتواء النزاع خلال بضعة أشهر ووافق الصومال وأثيوبيا على وقفٍ لإطلاق النار، وتم توقيع الاتفاقية في الخرطوم تحت رعاية منظمة الوحدة الأفريقية (OAU) بتاريخ ٦ آذار ١٩٦٤م. <sup>(٢)</sup> وتعهّد كلا

---

(١) Abdullahi, The Islamic Movement in Somalia, 146.

أيضاً:

Laitin and Samatar, Somalia: Nation, 78

(٢) Keesing's Record of World Events (formerly Keesing's Contemporary Archives), Volume 10, July, 1964 Ethiopia, Somalia, Page 20176.

متاح على الرابط:

[https://www.google.ca/webhp?sourceid=chrome\\_instant&ion=1&espv=2&ie](https://www.google.ca/webhp?sourceid=chrome_instant&ion=1&espv=2&ie)

البلدين بسحب قواتهم من الحدود، ووقف سياساتهم العدائية، والبدء في مفاوضات السلام. واضطرت الصومال، بموجب هذه الاتفاقية، لوقف دعمها لحروب العصابات في أثيوبيا. وتبع ذلك خمود نار الحرب الحدودية التي اندلعت عام ١٩٦٤م، ولو أن ذلك كان إلى درجة معينة. وأصدر البلدان، بالتوائم مع سياسات عجال الحكومية الجديدة، بياناً مشتركاً يوم ٢٢ سبتمبر ١٩٦٧م كشف فيه عن اتفاقهما على «إنهاء جميع صور التوتر» بينهما، وتأسيس هيئة عسكرية مشتركة للتباحث في أمر الدعاوى والنزاعات من كلا الطرفين، و«لتحسين التعاون بأفضل صورة ممكنة» عن طريق عقد اجتماعات دورية بين إدارة كل من الدولتين.<sup>(١)</sup> ولاقت هذه التوجهات السياسية الجديدة التي أخذها مشروع الصومال الكبير معارضةً شديدةً على الصعيد المحلي، مقابل إشادة واسعة من الدول الأفريقية والدول الأخرى المهمة في السلام والأمن في قرن أفريقيا.<sup>(٢)</sup> ولم تمنع هذه الاعتراضات رئيس الوزراء عجال من اللجوء إلى البرلمان، الذي يعد حجر أساس قوته، وتمّ بالفعل المصادقة على الاتفاقية يوم ٢٣ نوفمبر ١٩٦٧م. واستمر رئيس الوزراء في مساعيه لحلّ الاختلافات الكبيرة بين الصومال وجيرانها بعد أن استطاع الحصول على دعم البرلمان.

---

=UTF8# - q=somalia+ethiopian+agreement+in+Khartoum+1964

(تمّ الوصول بتاريخ ٢٥ يناير ٢٠١٧).

(١) Keesing's Record of World Events (formerly Keesing's Contemporary Archives), Volume 13, November, 1967 Kenya, Somalia, Ethiopia, Kenyan, Somali, Ethiopian, Page 22386.

متاح على الرابط:

<http://web.stanford.edu/group/tomzgroup/pmwiki/uploads/1378-11-1967-KS-a-RRW.pdf>

(تمّ الوصول بتاريخ ٢٢ يناير ٢٠١٧).

(٢) قوبل رئيس الوزراء إيجال بمظاهراتٍ محمومة بعد عودته من مدينة أروشا. وانتقد عبد الرزق حاج حسين (رئيس الوزراء السابق والأمين العام لحزب عصبة الشباب الصومالي) اتفاقية أروشا، المصدر السابق.

وفي المقابل، قطعت الصومال، علاقاتها الدبلوماسية مع بريطانيا (١٩٦٣ - ١٩٦٨ م) بعد تجاهلها لنتائج الاستفتاء العام الذي أجري في المقاطعة الشمالية الحدودية (إنفدي) والذي أبان عن رغبة ساحقة لدى السكان بالانضمام إلى جمهورية الصومال.<sup>(١)</sup> وأصدرت حكومة الصومال البيان التالي تعقياً على هذه الحادثة: «لقد كان من الواضح أن الحكومة البريطانية قد خدعت شعب المقاطعة الشمالية الحدودية بإقناعهم بأن الحكومة البريطانية تستطيع صون حقهم في تقرير مصيرهم عبر وسائل سلمية وقانونية، فضلاً عن خداعها لحكومة الصومال عن قصد على مدار ثمانية عشر شهراً.»<sup>(٢)</sup> ودعمت الصومال، ردّاً على ذلك، حركة التمرد المسلح التي أسمت نفسها حركة تحرير المقاطعة الحدودية الشمالية (NFDLM) في نضالهم للتوحد مع الصومال.<sup>(٣)</sup> وفعلت هذه التطورات اتفاقية دفاع مشترك كانت كينيا وأثيوبيا قد وقعتها في ١٩٦٤ م.<sup>(٤)</sup> وكانت الدولتان، اللتين انزويتا للمعسكر الغربي، خائفتين من التسليح العسكري في الصومال الذي كان يحظى بدعم من الاتحاد السوفيتي. ولكن بدأت مساعي رئيس الوزراء عجال للوصول إلى حلّ للنزاع بكينيا تماشياً مع المبدأ الدستوري باللجوء إلى وسائل سلمية لحلّ الخلافات الدولية، وأملاً في

---

(١) David D. Laitin, Politics, Language, and Thought: The Somali Experience, (University of Chicago Press: 1977), 75

(٢) Tom Wanambisi, "The Somali Dispute: Kenya Beware". Marine Corps Command and Staff College, 1984.

متاح على الرابط:

<http://www.globalsecurity.org/military/library/report/1984/WTL.htm>

(تمّ الوصول بتاريخ ٢٣ يناير ٢٠١٧).

(٣) Moshe Terdman, Somalia at War – Between Radical Islam and Tribal Politics, The S. Daniel Abraham Center for International and Regional Studies, Tel Aviv University, Research Paper No. 2, 2008, 27.

(٤) Vincent Bakpetu Thompson, Conflict in the Horn of Africa: The Kenya - Somalia Border Problem 1941-2014 - (UPA, 2015), 247.

تخفيف التوتر. وبدأت المواسطات لحل النزاع تحت رعاية منظّمة الوحدة الأفريقية، وتم التوصل إلى اتفاقية وُقعت في كينشاسا في سبتمبر ١٩٦٧م. وكان هناك مادةٌ مسّت بصورة مباشرة وحدة الصومال وتمثّلت في الشرط التالي: «أعربت كلا الحكومتين عن رغبتهما في احترام سيادة كلّ من الدولة الأخرى وسلامة أراضيها بما يتماشى مع فقرة ٣ من المادة ٣ من ميثاق منظّمة الوحدة الأفريقية.»<sup>(١)</sup> وتم توقيع مذكرة الاتفاق في اجتماع عُقد لاحقاً في أروشا في تنزانيا بتاريخ ٢٨ تشرين الأول ١٩٦٧م، وحضر الاجتماع كيناتا، رئيس كينيا، ومحمد إبراهيم عجال، رئيس وزراء الصومال. وكان تأويل كلّ من الدولتين لمجريات الأحداث مختلفاً عن الدولة الأخرى، وهذا ما اتضح في خطابٍ عام ألقاه الرئيس كيناتا يوم ٢٠ أكتوبر، إذ وصف فيه الخلاف على أنه «خصومةٌ بسيطة» تمّت تسويتها. وفي المقابل، قال رئيس الوزراء عجال في خطابٍ أمام الأحزاب السياسية بأن سياسة الحكومة «هي أن تقف بقدم مستعدة للحرب وقدم أخرى مستعدة للسلام.»<sup>(٢)</sup>

على الجانب الآخر، أجري استفتاءٌ شعبيٌّ في الصومال الفرنسية عام ١٩٥٨م لحسم أمر الانضمام إلى جمهورية الصومال التي كان من المتوقع، وقتها، أن تعلن الاستقلال بحلول عام

---

(١) Declaration on Kenya - Somalia Relations: The Assembly of Heads of State and Government of the Organization of African Unity meeting in its Fourth Ordinary Session in Kinshasa, Congo, from 11 to 14 September 1967.

متاح على الرابط:

<http://www.peaceau.org/uploads/ahg-st-1-en.pdf>

(تم الوصول بتاريخ ٢٣ يناير ٢٠١٧).

(٢) Ogenga Otunnu, —Factors Affecting the Treatment of Kenyan - Somalis and Somali Refugees in Kenya: A Historical Overview.

متاح على الرابط:

<///C:/Users/Abdurahman/Downloads/21678-1-22090-PB.pdf>

(تم الوصول بتاريخ ٢٤ يناير ٢٠١٧).

١٩٦٠م أو البقاء تحت انتداب فرنسا. وكانت نتيجة الاستفتاء هي البقاء مع فرنسا.<sup>(١)</sup> وطبعاً كانت هذه النتيجة انتصاراً للقوى السياسية المناصرة لفرنسا على حساب الجهود السياسية للقوميين الصوماليين تحت قيادة محمود حربي. وأرجعت هذه النتيجة إلى أن الاستفتاء عكس رغبة سكان المستعمرة من غير الصوماليين، مثل العفر، والعرب، والفرنسيين.<sup>(٢)</sup> وكان هناك اتهامات واسعة بوجود تزوير في الانتخابات وإقصاء آلاف الصوماليين الذين أبدوا دعمهم للوحدة مع الصومال قبل الاستفتاء.<sup>(٣)</sup> وأجري استفتاء عامٌّ ثانٍ بتاريخ ١٩ آذار ١٩٦٧م، وأسفر عن نفس النتيجة، البقاء مع فرنسا. وكان هناك مرةً أخرى تقارير بوجود تزوير في الانتخابات، إضافةً إلى إقصاء أكثر من ١٠ آلاف صوماليٍّ تحت ذريعة عدم امتلاكهم لهوية شخصية صالحة.<sup>(٤)</sup> وأجج الإعلان عن نتائج الاستفتاء حالةً من الاضطراب الأهلية. وتبع ذلك أيضاً إعادة تسمية الصومال الفرنسية (Côte française des Somalis) ليصبح الاسم إقليم عفر وعيسى الفرنسي (Territoire français des Afars et des Issas) بعد استفتاء ١٩٦٧م وذلك لمكافأة العفر الذين أظهروا مناصرتهم للفرنسيين، ولصدّ آمال القوميين الصوماليين بالتوحد مع الصومال.<sup>(٥)</sup> والتقى عجال، الذي كان مستمراً في سياساته الوفاقية، بالرئيس الفرنسي ديغول بتاريخ ٢١ سبتمبر ١٩٦٧م، في محاولةٍ لتحسين العلاقات

---

(١) David Laitin, Politics, Language, 75.

(٢) Berouk Mesfin, Situation Report, Institute for Security Studies, 2011.

متاح على الرابط:

<http://dspace.africaportal.org/jspui/bitstream/123456789/32288/1/15Apr11Djibouti.pdf?1>

(تمّ الوصول بتاريخ ٢٥ يناير ٢٠١٧).

(٣) Kevin Shillington, Encyclopedia of African history, (CRC Press: 2005), p. 360.

(٤) Jean Strouse, Newsweek, Volume 69, Issues 10-17, (Newsweek: 1967), p.48.

(٥) Abdallah Abdo Adou, —The Ethnic Factor in the National Politics of Djibouti.‖ The Oromo Commentary, VOL. II, no.1, 1992, 23.



المتوترة. وشدد البيان الذي صدر عقب اللقاء على التزام كلا الطرفين بصون حق جميع السكان بتقرير مصيرهم وبمبدأ عدم تدخل الدول في الشؤون الداخلية للدول الأخرى.<sup>(١)</sup> فكان إذاً أن غيّرت الصومال سياساتها على صعيد ملف جيبوتي، فصارت تنادي بحق جيبوتي في الاستقلال بعد دعمها السابق للتوحيد مع الصومال. وصرّح وفد الصومال إلى الأمم المتحدة بتاريخ ١٠ نوفمبر ١٩٧٦م بأن الصومال ستكون «أول من يعترف بسيادة الدولة الجديدة وسلامة أراضيها».<sup>(٢)</sup> وبعدها أكدت كل من الصومال وأثيوبيا بصورة رسمية بأن موقفهما سيكون «الاعتراف باستقلال وسيادة وسلامة أراضي دولة جيبوتي واحترامها».<sup>(٣)</sup> وفي النهاية حصل الإقليم على الاستقلال بتاريخ ٢٧ يونيو ١٩٧٧م تحت اسم دولة جيبوتي المستقلة، ليكون عدم انضمام دولة جيبوتي أول صدع في مشروع الصومال الكبير.

\*\*\*

## المنهجيات القومية الراديكالية

ارتكزت السياسات المعتدلة التي وضعت لغاية تحقيق الوحدة الوطنية خلال فترات الحكومات المدنية على إضعاف السياسية العشائرية، وتعزيز الوعي بالقضايا القومية والمناصرة سلمياً لحق تقرير المصير «للأجزاء المتبقية الثلاثة».<sup>(٤)</sup> ولكن أخذت هذه الجهود منحى أكثر راديكالية عقب انقلاب عام ١٩٦٩م وعسكرة الحياة العامة في الصومال.

---

(١) Djiboutian Independence 196-777.

متاح على الرابط:

<http://www.usc.edu/dept/ancntr/Paris-in-LA/Database/Case-DB/Erit-In93-50/DI-S67A07.TXT>

(تم الوصول بتاريخ ٢٥ يناير ٢٠١٧).

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق.

(٤) تحيي الأغنية الوطنية الشهيرة لحليمه خليف مجول ذكرى الوحدة الصومالية، وأعطت أملاً للناس بأن الأقاليم الصومالية الأخرى ستضم قريباً لهذه الوحدة.

ويمكن اعتبار عام ١٩٦٩ م أول محطة في فشل القومية الصومالية في سعيها لإقامة صومالٍ ديمقراطي وكبح العشائرية السياسية. فكانت البداية بتزوير الانتخابات، وتلا ذلك اغتيال الرئيس عبد الرشيد شارماركي بتاريخ ١٥ تشرين الأول ١٩٦٩ م، وشكّل ذلك الخطوة الأولى على طريق فشل الدولة. وبدأت الصدوع تظهر في النظام الحزبي التعددي والثقافة الديمقراطية، وتعرّضت الانتخابات لتزويرٍ مخيفٍ بكل الوسائل الممكنة. فشارك ٦٠ حزباً مثّلوا عشائر فرعيةً مختلفة في انتخابات ١٩٦٩ م التي شهدت تنافس ١٠٠٢ مرشحٍ برلماني على ١٢٣ مقعد، أي أن كل ثمانية مرشحين كانوا يتصارعون على مقعدٍ واحد. إلا أن الحزب الحاكم، عصبة الشباب الصومالي، تلاعب بالانتخابات بصورةٍ سافرة وفاز بأغلبية المقاعد. <sup>(١)</sup> واستحوذ حزب عصبة الشباب الصومالي على الغالبية الكبرى من مقاعد البرلمان من الأحزاب المعارضة ليتحوّل الحكم إلى حكم حزبٍ واحد. <sup>(٢)</sup> فكان الحزب يسير تدريجياً إلى حكم الحزب الواحد في عام ١٩٦٩ م، بعد نضاله في سبيل الاستقلال (١٩٤٣ - ١٩٥٤ م)، ومن ثم مهادنته للقوى الاستعمارية (١٩٥٤ - ١٩٦٠ م). وفي النهاية، وفي ظلّ انتخاباتٍ شهدت تزويراً كبيراً، فضلاً عن الفساد البيروقراطي المتفشّي، ونسب البطالة العالية وتحديدًا بين النخب الصغيرة المتعلّمة، نُزعت الشرعية من الحكومة. وتوجّ ذلك بغضبٍ شعبيٍّ من سياسة عجال المعتدلة وسط مختلف القوى الوطنية في عموم البلاد، والذي وصل إلى ذروته باندلاع اضطرابٍ سياسيٍّ واغتيال الرئيس شرماركي بتاريخ ١٥ تشرين الأول ١٩٦٩ م. ولم يكن هناك خلال تلك الفترة أيّ مؤسّسةٍ قادرةٍ على الأخذ بزمام الأمور وإنقاذ الدولة الصومالية من الانهيار سوى الجيش الوطني المهيّب الذي تلقّى تدريبه بصورةٍ رئيسيةٍ على يد الاتحاد السوفيتي ومصر بالدرجة الأولى.

تحتطّمت أحلام الصوماليين، إذًا، خلال السنوات التسع الأولى بعد الاستقلال من

---

(١) Lewis, A Modern History, 204.

(٢) كان عبد الرزق حاج حسين، رئيس الوزراء السابق، المعارض الوحيد المتبقي، وكان يقول: «الله واحد، وأنا واحد.»

الاستعمار، ونفّذ الجيش الصومالي انقلاباً سلمياً بتاريخ ٢١ تشرين الأول ١٩٦٩، وحظي الانقلاب بدعم غالبية الشعب الصومالي الذي عمّت فيه حالة من عدم الرضا.<sup>(١)</sup> إلا أن النظام الجديد، وعلى النقيض من تطلعات الشعب، قام خلال فترة قصيرة بمنع حرية التعبير، وحظر جميع المنظّمات الاجتماعية والسياسية، وتعامل مع المعارضة بقبضة حديدية، ومارس الاحتجاز والتضييق خارج نطاق القانون. وعزّز النظام، الذي ارتكز على برامج اشتراكية وقومية قوية، علاقاته مع السوفييت وأعلن عن تطبيق برامج اشتراكية تستهدف العشائر، منها تجنيد أبناء عشائر معيّنة في الدوائر الحساسة مثل الأمن، والحرس الرئاسي، والشؤون الخارجية. ونال النظام في البداية دعم الشعب واحترامه بفضل الأداء الاقتصادي المتحسن، وتوسيع الخدمات الاجتماعية، وخلق الوظائف، وتدشين ثقافة حكم أفضل. ولكن كشف النظام عن وجهه الديكتاتوري بعد بضعة سنوات من بثّ خطابه الاشتراكي، وبدأت تيارات المعارضة بالنشوء في داخل المجلس. فكان التحدي السياسي الأول الذي واجهه النظام العسكري هو المجلس الثوري (RC) حينما قام بعض من قادة النظام البارزين بتنظيم انقلاب عسكري في عام ١٩٧١م، أي بعد عامين من الانقلاب الأول، ولكن باء هذا الانقلاب بالفشل وتمّ إعدام قادته على مرأى العامة.<sup>(٢)</sup> وكان التحدي الثاني هم علماء الإسلام الذي عبّروا عن رفضهم لتدخل النظام في قوانين الأحوال الشخصية المستنبطة من الدين الإسلامي واستبدالها بقوانين علمانية تخالف بصورة صريحة أحكام القرآن.<sup>(٣)</sup> وكان ردّ النظام على

---

(١) Samatar, Socialist Somalia, 87.

(٢) Mohamed Osman, The Road to Zero: Somalia's Self destruction (HAAN Associates, 1992), 125.

(٣) Abdurahman Abdullahi, —Women, Islamists and the Military Regime in Somalia: The new family Law and its Implications.‖ in Markus Hoehne and Virginia Luling (ed.), Milk and Peace, Drought and War: Somali Culture, Society and Politics (London: Hurst&Company, 2010), 137-160.

الاحتجاجات السلمية التي نظمها العلماء ردّاً بربرياً افتقد الرشد والحكمة، فأُعدم ١٠ علماء معروفين بتاريخ ٢٣ يناير ١٩٧٥م، غير المئات الذين لاحقتهم الدولة.<sup>(١)</sup>

مثل إعدام قادة مخطّطي الانقلاب وعلماء الإسلام السبب الرئيسي الذي سرّع تهوي القومية الصومالية، وتنامي العشائرية، وانهيار الدولة الصومالية. وكانت عواقب إعدام مخطّطي الانقلاب عواقب كارثية تاريخياً في ظلّ انتماء هؤلاء إلى ثلاث عشائر كبيرة. وأخذ الخطاب العشائري، في ظل ذلك، أبعاداً جديدة ونما بصورة متأصلة من داخل النظام، والمجال البيروقراطي، والشعب بصورة عامة. حاول النظام تبني سياساتٍ مستترة، في محاولةٍ لإصلاح الوضع المتردي، فبدأ باستهداف عشائر معيّنة وتقديم امتيازاتٍ محدّدة لعشائر أخرى تحت ذريعة مساندة الثوريين وإقصاء العناصر المناهضة للثورة. في المقابل، اكتسبت الحركات الإسلامية السرية، التي لا تزال قائمة حتى اليوم، زخماً أكبر، بعد إعدام العلماء، وتحوّلت إلى تنظيماتٍ سرية وفردت أذرعها في جميع المناطق دفاعاً عن الدين في وجه «الاشتراكيين الملحدين». لقد صاغت تلك اللحظة التاريخية أيّدولوجيات الحركات الإسلامية المعاصرة التي أطلقت برامج سوسيوسياسية. وتشكّل تدريجياً تحالفٌ بين هاتين القوتين، التي استندتا على ثقافة العشيرة والدين المتأصلتين في الشعب الصومالي، فتوحّدت هاتان القوتان على رغبتهما في تغيير النظام ولكنهما اختلفتا على الوسائل التي يجب استخدامها، فعملت كلّ منهما بطريقتها سعيّاً لتقويض النظام. واصطدم النظام مع

---

(١) Ali Sheikh Ahmed Abukar, Judur Al - Ma''sat Al - Rahina (Bairut: Dar Ibn Hazm. 1992), 181-185;

انظر أيضاً: النصّ الكامل لاتفاقية التعاون والصداقة بين الصومال والاتحاد السوفيتي في المرفق، صفحة ٢٤٧. كان الضباط الذين لقوا مصير الإعدام من أبناء عشائر إسحاق، والمجرتين، وأبغال. وتبع ذلك استهداف وملاحقة أقرباءهم المباشرين وعوائلهم الذين اعتبرهم النظام اعداءً للثورة. ويمكن الرجوع إلى شهاداتٍ لأناسٍ شهدوا حملة النظام العسكري ضد الإسلام في: علي شيخ، جذور المأساة، ١٠٩ - ١٣٧.

هاتين الأيدولوجيتين الصوماليتين المتأصلتين، العشيرة والإسلام، وخلق هذا الصراع صدعاً في نسيج النظام الصومالي وتماسكه وتكافله.<sup>(١)</sup>

استمرّ النظام العسكري على خطى القومية باستخدام المنهجيات الثلاثة التي هدفت إلى احتواء العشائرية، التمثيل النسبي، والتشريعات المناهضة للعشائرية، وبثّ أفكار القومية وزرعها بين الناس، مضيفاً منهجيات أخرى راديكالية. فسنّ النظام العسكري تشريعات قاسية وبثّ دعاية أيّدولوجية شديدة ضد العشائرية. فتمّ اعتماد عددٍ من القوانين للتخلص من العشائرية. فعلى سبيل المثال، استبدل نظام الدية، الذي يعود أصله إلى شعائر الدين الإسلامي، بعقوبة الموت، وأُعيد تسمية قادة القبائل ليصبح اسمهم صانعو السلام (Nabadoon)، كما باتت Afminsharism (زعيم مفوه) ممنوعة قانونياً.<sup>(٢)</sup> وقوّض التكافل العشائري، أيضاً، في المناطق الحضرية عن طريق برامج حكومية مثل تغطية تكاليف الجنازة في حال كان المتوفّى لا يملك أيّ قرابات مباشرة، وفُرضت سياسات تأمين إجبارية على السيارات، وكان الأهم من ذلك كان اعتماد الاشتراكية العلمية أيّدولوجية رسمية للدولة، وهو ما أفرز حملة منظّمة ضد العشائرية.<sup>(٣)</sup> وعلى الرغم من أن سياسة استئصال العشائرية التي وضعها النظام

---

(١) هناك مثلٌ مشهورٌ في الصومال: «أمران لا تُنتهك حرمتها في الصومال: العشيرة والإسلام.» وعُتبت النظام بهاتين القاعدتين المتيتين للهوية الصومالية. انظر:

Abdurahman Abdullahi, —Recovering Somalia: the Islamic Factor.‖ African Renaissance, 3, 5, 2006, 34-58.

انظر أيضاً:

Abdurahman Abdullahi, —Tribalism and Islam: The Basics of Somaliness.‖ In Variations on the Theme of Somaliness, edited by Muddle Suzanne Lilius. Turku, Finland: Centre of Continuing Education, Abo University, 2001: 227-24.

(٢) Samatar, Socialist Somalia, 108.

(٣) Mohamed Haji Ingiriis, The Suicidal State in Somalia: The Rise and Fall of the Siad Barre Regime (University Press of America, 2016), 166.

العسكري كان لها نتائج سريعة، لكنها كانت التجلي الأمثل للمنهجيات الطوباوية والشعبوية والمتناقضة التي عرف بها القوميون الصوماليين، والتي افتقرت إلى الجوهر وإلى عملية واقعية.

كما أن الدولة أساءت استخدام سياسة التمثيل النسبي إلى درجة كبيرة، فمما يدعو إلى السخرية هو أن الحكومة قامت بإطلاق حملاتٍ ضد الانتماءات العشائرية، والمحسوبة، والعشائرية، لكن الرئيس أحاط نفسه بأبناء ثلاث عوائل عشائرية على وجه الخصوص، وهي عشيرته مريحان، وعشيرة أمه أوجادين، وعشيرة صهره طلبهنتي.<sup>(١)</sup> كما بُجِّل شخص الرئيس محمد سياد بري إلى درجة تقديمه على أنه «رمزٌ ماوي»، وأُعطي لقب «أبو الأمة» (Aabibi Ummada) تكريماً له.<sup>(٢)</sup> وكان الرئيس يتوقع، وهو الأب، أن يقبله جميع أبناء الشعب بصفتهم أولاده. ولكن هاجم «الأب»، بكل تناقض، التكافل العشائري بين أولاده، وفضّل واعتمد بصورة كبيرة على عشائر معينة استمد منها أسس قواه السياسية. وفي المقابل، عمل الرئيس على تطهير إدارته من نخب هويته، وإسحاق، والمجرتين بصورة تدريجية، فلجأ هؤلاء إلى النضال المسلح، إذ لم يكن بإمكانهم التعبير عن مظلوميتهم أو إبداء استيائهم في ظلّ تقييد الحقوق الديمقراطية. ويصعب تخمين الأسباب والزمن الدقيق الذي قرّر فيه الرئيس رسم هذه التحالفات العشائرية. وربما يكون ذلك بسبب دواعٍ أمنية بعد محاولة الانقلاب التي قادها الجنرال محمد أينانشي جوليد، والجنرال صلابد جييري، والكولونيل عبد القادر طيل

---

(١) Laitin and Samatar, Somalia: Nation in Search of a State (Boulder: Westview, 1987), 156.

(٢) هناك غير واحدة من الأغاني التي تُسمّى الرئيس بأنه أبو الأمة، وأبو المعرفة، وأبو الثورة. انظر: Lewis, —The Ogaden and the Fragility of Somali Segmentary Nationalism", Horn of Africa, 1&2 (1990), 55.

أيضاً:

Abdi Sheikh Abdi, "Ideology and Leadership in Somalia." The Journal of Modern African Studies. 19, 1(1981), 169.

في ١٩٧١م، وكان هؤلاء الضباط من أبناء عشائر إسحاق، وهويه، والمجرتين على التوالي، وهذه العشائر طبعاً من أكبر عشائر الصومال. وربما، على صعيد آخر، مثلت هذه القرارات خطوةً مبكرةً قام بها الرئيس لإرساء أسس سيطرته المطلقة على البلاد.<sup>(١)</sup> وبغض النظر عن الأسباب، نجحت التحالفات العشائرية التي عقدتها حكومة الرئيس محمد بري في تقويض سياسات التمثيل النسبي، ودمّرت أيضاً صورة القيادة التقليدية، وقلبت النظام الاجتماعي رأساً على عقب.

تغيّر المشهد السياسي في قرن أفريقيا في عام ١٩٧٤م عندما تمّ خلع الإمبراطور Hele Selassie، وانتزعت القيادة العسكرية (الديرغ) مقاليد الحكم في أثيوبيا، معلنةً عن توجهاتها الشيوعية. وشهدت أثيوبيا اضطراباتٍ داخليةٍ أضعفت قدراتها العسكرية بصورة كبيرة، واستغلت الصومال الوضع المتقلب في أثيوبيا، في ظلّ استمرار مساعيها لتحويل مشروع الصومال الكبير إلى واقعٍ على الأرض، وبدأت بمحاولة زعزعة استقرار إقليم أوجادين. وصعدت جبهة تحرير الصومال الغربي من عملياتها التمردية بدعمٍ من الجهاز العسكري الصومالي، وتعمّدت الأزمة إلى أن وصلت إلى حربٍ حقيقيةٍ بين البلدين في عامي ١٩٧٧ - ١٩٧٨م.<sup>(٢)</sup> ودخلت الصومال في حربٍ مع أثيوبيا سعياً وراء مشروع الصومال

---

(١) أفرزت هذه العشائر الثلاث رئيسين وثلاثة رؤساء وزراء قبل انقلاب ١٩٦٩م.

(٢) انظر:

Joseph K. Nkasserry, —The Ogaden War: An Analysis of its Cause and its Impact on Regional Peace on the Horn of Africa.‖

أطروحةٌ قدّمت للكلية العسكرية التابعة للجيش الأمريكي،

Carlisle Barracks, Pennsylvania, 1997.

أيضاً:

David Laitin, The war in the Ogaden: implications for Siyaad's role in Somali history. Journal of Modern African Studies 17(1), 1979, 95-115.

وعن دور القوى الخارجية في الحرب، انظر:

Adam Lockyer, Opposing Foreign Intervention's Impact on the Course of Civil

الكبير في وقتٍ كان فيه التماسك الاجتماعي يتداعى في الصومال، وكانت احتجاجات النخب تتزايد أكثر وأكثر، وكبرت أيضاً قاعدة المعارضة بعد إعدام العلماء وقادة المجلس العسكري. وما زاد الوضع تعقيداً هو تأسيس الحرب الاشتراكي عام ١٩٧٧م الذي عمّق الانقسامات العشائرية وأجج الاحتجاجات بعد أن كشف الحزب عن لجنته المركزية والتي اختير أعضاؤها من العشائر التي تشكّل قاعدة الرئيس. ومثلت حرب أثيوبيا ١٩٧٧ - ١٩٧٨م، وهزيمة الجيش الصومالي، نقطة تحولٍ ثانيةٍ أضعفت، بدورها، نسيج القومية الصومالية وهو ما كان محطةً أخرى على طريق سقوط الدولة.<sup>(١)</sup> كان الوضع السياسي في عام ١٩٧٨م في الصومال مشابهاً جداً لعام ١٩٦٩م، فهناك نظامٌ قائمٌ على حزبٍ واحد يحكم البلاد، وكان النظام يتجاهل الاحتجاجات السياسية التي تتفاقم مع الوقت. ولكن الجيش الذي أنقذ الدولة من السقوط في عام ١٩٦٩م، والذي كان يملك القوة، أصبح الآن مفتتاً، وفقدت بنية قيادته استقلاليتها واحترافيتها، بل وصارت جزءاً لا يتجزأ من الشيعة السياسية للنظام، وفي ظلّ ذلك لم يكن من الصعب أبداً إحباط ثالث محاولة انقلاب في تاريخ الصومال، والتي كانت بتاريخ ٩ نيسان ١٩٧٨م، وأسفرت عن إعدام ١٨ ضابطاً في الجيش واحتجاز مئات آخرين. ولكن نجح بعض من خططوا الانقلاب في الهروب، وشكّلوا معارضةً مسلّحة، وتلقوا الدعم والترحيب من دولٍ مجاورةٍ لها أجندةٌ معاديةٌ للصومال، وتحديدًا أثيوبيا. انتاب النظام في الصومال الرعبُ بعد محاولة الانقلاب واعتمد سياساتٍ أمنيةٍ مشدّدة، وبدأ بتأليب العشائر المساندة للنظام ضد عشائر أخرى على أساس كونهم «اعداءً لشعب الصومال» وعرفوا باسم «Qaran-dumis, Sama-diid» (رافضو الخير ومدمرو الدولة).

دفعت السياسات العشائرية التي تبنتها الحكومة العسكرية العشائر الساخطة إلى

---

Wars: The Ethiopian - Ogaden Civil War 1976-1980.

وهي ورقةٌ طرحَت في مؤتمر رابطة العلوم السياسية الأسترالية الذي أقيم في سبتمبر ٢٠٠٦.

(١) تدهورت العلاقات بين الصومال والسوفييت، وتمّ طرد الخبراء السوفييت من الصومال يوم ١٣ نوفمبر ١٩٧٧م. وكان مؤلّف هذه المقالة أحد الضباط العسكريين الصوماليين الذين طردهم الاتحاد السوفيتي ردّاً على قرار الصومال.



الراдикаلية واندلعت المعارضة المسلّحة. وقامت أولى محاولات المعارضة المسلحة ضد النظام بعد هزيمة الجيش الصومالي في حرب ١٩٧٧ - ١٩٧٨ م، وفشلت محاولة الانقلاب التي كانت بتاريخ ٩ نيسان ١٩٧٨ م. وشكّلت هزيمة الجيش الصومالي إهانةً عنيفةً «لأبي الأمة» ونظامه، فضلاً عن العواقب البشرية والاقتصادية المدمّرة. وبدأت سياسات الفصائلية، في ظل ذلك، في عام ١٩٧٨ م. وإذا، بدأت حقبة التجزئة العشائرية وكشّر النظام عن أنيابه في ظلّ اقتصادٍ هزيلٍ، وممانعة النظام للقيام بإصلاحاتٍ سياسيةٍ واقتصاديةٍ حقيقية، فبدأ فصلٌ جديدٌ في التاريخ الصومالي يمكن تلخيصها بأنها مرحلةٌ جديدةٌ من الرعب، والإقصاء، والمحسوبية، والتناقضات.

\*\*\*

## المنهجيات القومية الراديكالية وانهايار الدولة

فرض فشل الدولة في كبح العشائرية وفشل الجيش الصومالي في تحقيق أهداف مشروع الصومال الكبير تحدياتٍ خانقةٍ على النظام العسكري الذي عمل بسياساتٍ هجومية رافضاً حل المفاوضات وتسوية الصراع سلمياً. فكانت السياسة الرسمية للنظام هي الخيار العسكري وقمع المعارضة التي اتجهت إلى الراديكالية أكثر وأكثر في ظل ذلك، وقبلت جميع الفصائل المسلّحة الرعاية الأثيوبية في قرارٍ يُنظر إليه حتى اليوم بأنه خيانة. وتشكّلت أول حركات المعارضة تحت اسم جبهة الخلاص الصومالية (SSF) عام ١٩٧٩ م، وكان مقرها أثيوبيا، وكان أعضاؤها في جملتهم من عشيرة المجرتين. وتحوّلت جبهة الخلاص الصومالي إلى جبهة الخلاص الصومالي الديمقراطية (SDSF) بعد اندماج حزبين سياسيين مع الحركة.<sup>(١)</sup> وتبع ذلك تشكل حركة معارضةٍ ثانية كانت الحركة الصومالية القومية التي

---

(١) «كان هناك ١١ عضواً مؤقتاً في اللجنة التنفيذية في أكتوبر ١٩٨١ م، وكان منهم عضوان من أبناء عشيرة إسحاق، وعضوٌ من عشيرة ظلهنتي، وعضوٌ من عشيرة هويه. ولكن لم يكن هناك سوى أربعة أعضاء من غير أبناء عشيرة المجرتين من أصل ٢٤ عضوٍ شكّلوا اللجنة التنفيذية في ١٩٨٣ م.» انظر:

Daniel Compagnon. "The Somali Opposition Fronts: some comments and questions", Horn of Africa, 1 & 2 (1990), 29.

تأسست في لندن في نيسان من العام ١٩٨١ م على يد بعض من أبناء عشيرة إسحاق المنفيين، وكان مقرها في أثيوبيا. وبالرغم من المساعي الجادة من كلا الحركتين للاندماج وتشكيل جبهة معارضة قومية موحدة، بقيت كل من الحركتين حزبين منفصلين يمثلان عشيرتي المجرتين وإسحاق. وكان ردّ الحكومة على هاتين الحركتين ردّاً عسكرياً وحشياً استند على «سياسة الأرض المحروقة».

وينوّه علي خليف جليير إلى «أن انتهاكات حقوق الإنسان الفظيعة لم تكن بالأمر المستجد، ولكن ما كان جديداً، ومقلقاً، ووحشياً هو استهداف عشيرة أو عشيرة فرعية بحالها على أساس أن هذه العشائر هم أعداء النظام.»<sup>(١)</sup> وجرب النظام الردّ بسياسة الأرض المحروقة في إقليم المدج ضد عشيرة المجرتين، ومن ثم اعتمد النظام هذه السياسة بصورة كاملة في قمعه لعائلة عشيرة إسحاق في الأجزاء الشمالية. كان النظام حريصاً، وبصورة مستميتة، على تجفيف جميع منابع دعم الحركات المعارضة على الصعيد السياسي أيضاً، وتماشياً مع ذلك وقّع النظام اتفاقية سلام مع أثيوبيا في جيبوتي بتاريخ ٤ نيسان ١٩٨٨ م، وأنهى دعمه لجبهة التحرير في الصومال الغربي في محاولة لإنهاء الدعم الأثيوبي لجميع فصائل المعارضة المسلحة، وتحديداً الحركة الصومالية القومية.<sup>(٢)</sup> ومن الجدير بالذكر بأن كلاً من النخب الصومالية (حكومة ومعارضين) لجأوا إلى أثيوبيا لتدمير بعضهم البعض في هذه اللحظة التاريخية عوضاً عن الالتفات والحديث إلى بعضهم البعض. ولكن نجم عن الاتفاقية مع أثيوبيا نتائج كارثية، فترك مقاتلو الحركة الصومالية القومية قواعدهم في أثيوبيا وشنوا هجمات مفاجئة على المدن الكبرى في الشمال مثل هر جيسا وبرعو بتاريخ ٢٧ مايو ١٩٨٨ م. ونجحت الحركة في احتلال هذه المدن بصورة مؤقتة.<sup>(٣)</sup>

---

(١) Ali Kkalif Galaydh, "Notes on the State of the Somali State." Horn of Africa 13: 1 & 2 (April/June, 1990): 1-28.

(٢) Lewis, "The Ogaden and Fragility", 59

(٣) Peter J. Schraeder, —From Irredentism to Secession: Decline of Pan - Somali Nationalism, In After Independence: Making and Protecting the Nation in Postcolonial

وأسفرت هذه الاشتباكات الدموية والوحشية عن مقتل ما يزيد عن ٥٠ ألف إنسان، وتحوّل معظم سكان هذه المناطق إلى لاجئين. ونشأت مزيداً من الحركات العشائرية المعارضة، مثل المؤتمر الصومالي الموحد الذي هيمنت عليه عشيرة هويه، والحركة الصومالية الوطنية التي هيمنت عليها عشيرة أوجادين، وكان مقرّ كلٍّ من هاتين الحركتين في أثيوبيا. وإن كان يمكن اعتبار تأسيس المؤتمر الصومالي الموحد إشارةً على نجاح العشائر التي كانت لها السطوة في السابق في تصدر المشهد من جديد، فإن تشكّل الحركة الصومالية الوطنية كان دلالةً على تصدع التحالفات العشائرية المناصرة للنظام.

أخذ القوميون في الصومال على عاتقهم مهمةً كبيرةً امتدت لثلاثين عاماً تمثّلت في استئصال العشائرية المتجذّرة والسعي وراء حلم الصومال الكبير. ولكن الأفق المسدود للعملية الديمقراطية، والنظام العسكري المستبد، والمنهجيات الراديكالية التي لجأ لها القوميون لتحقيق أجندتهم القومية كلها تُعتبرُ عوامل أضعفت القومية الصومالية. وكانت المحاولات الأخيرة لإنقاذ الصومال من الانهيار على يد رجال الدولة المخضرمين في مايو ١٩٩٠م، حيث تم توقيع بيانٍ رسميٍّ يطالب باستقالة سياد بري، وتشكيل حكومةٍ مؤقتةٍ تمثّل الحركات المعارضة، ووضع جدولٍ زمنيٍّ لعقد انتخاباتٍ تشمل الأحزاب المختلفة.<sup>(١)</sup> ولكن أمر سياد بري باعتقال الـ ١١٤ اسماً الذين وقعوا البيان مفشلاً خططهم بالرغم من أنه أطلق سراحهم تحت الضغط من دولٍ أجنبية.<sup>(٢)</sup> يرسم الجدول (٥) تحليلاً مقارناً بين الأحزاب السياسية عام ١٩٦٠م، والفصائل المسلّحة عام ١٩٩١م. ويُبيّن الجدول مدى انسداد التنمية

---

and Post - Communist States edited by Lowell W. Barrington (The University of Michigan Press, 2006), 124-25.

(١) Mohamed Haji Ingiriis, The Suicidal State in Somalia, 211.

(٢) Moshe Terdman, Somalia at War – Between Radical Islam and Tribal Politics, The S. Daniel Abraham Center for International and Regional Studies, Tel Aviv University, Research Paper No. 2, 2008, 23.

السياسية، إضافةً إلى محاولات الأحزاب السياسية في إعادة تقديم نفسها في إطار فصائل مسلحة. ويُظهر الجدول أيضاً انحلال عصبة الشباب الصومالي، وهو ما شكّل فشل التجسيد المؤسسي للقومية الصومالية.

عصبة الشباب الصومالي (SYL)	الحزب الصومالي الموحد (USP)	الحزب الصومالي الموحد (USP)	عصبة الشباب الصومالي (SYL)	عصبة الشباب الصومالي (SYL) + حزب الشباب الصومالي الليبرالي (PLGS)	عصبة الشباب الصومالي (SYL) + عصبة الصومال الكبير (GSL)	حزب دجل ومرفله (HDMS)	العصبة الصومالية القومية (SNL)	أحزاب ١٩٦٠م
SNF	SDA	USF	الحركة الصومالية الوطنية (SPM)	المؤتمر الصومالي الموحد (USC)	جبهة الخلاص الصومالي الديمقراطية (SSDF)	SDM	الحركة الصومالية القومية (SNM)	الفصائل ١٩٩١م
مريحان	سمرون	عيسى	أوجادين	هويه	المجرتين	دجل ومرفله	إسحاق	العشائر

#### جدول رقم (٧): الأحزاب السياسية في ١٩٦٠م ومقارنتها بالفصائل في ١٩٩١م

لاذ الرئيس محمد سياد بري بالفرار من القصر الرئاسي يوم ٢٦ يناير ١٩٩١م، واختبأ مع مؤيديه في الأجزاء الجنوبية من الصومال. وتحوّل الصراع بين النظام والمعارضة المسلحة إلى حربٍ بين عائلتين عشائريتين - دارود وهويه. وغرقت العاصمة مقديشو، بالتزامن مع ذلك، في دوامةٍ من الفوضى، فعاثت الميليشيات، دون أن تجد من يسيطر عليها أو يردعها، الفساد في مقديشو بين عمليات النهب والسرقة وقتل السكان المدنيين. وتمّ تشكيل حكومةٍ مؤقتةٍ

بتاريخ ٢٨ يناير واختير علي مهدي محمد رئيساً مؤقتاً. ولكن اعترض الجنرال عديد على هذا القرار، وهو ما عمّق الاستقطابات القائمة في صفوف المؤتمر الصومالي الموحد الذي انقسم إلى معسكرين مسلحين على أساسٍ عشائري - معسكر علي مهدي ومعسكر الجنرال عديد. وفي نفس الوقت شكّلت الحركة الصومالية الوطنية وجبهة الخلاص الصومالية الديمقراطية تحالفاً مع عشيرة دارود وانحازوا إلى زاوية مؤيدي محمد سياد بري في جدو وكيسمايو. على الجانب الآخر، قامت الحركة الصومالية القومية باتخاذ قرارٍ من جانبٍ واحدٍ بنقض اتحاد ١٩٦٠م وإعلان دولة أرض الصومال المستقلة يوم ١٨ مايو ١٩٩١م. وأشعل قرار تعيين الحكومة المؤقتة فتيل عداوةٍ مريرةٍ بين فصائل عشيرة هويه الذين اقتتلوا لما يقارب المئة يوم، وهو ما أسفر عن مقتل ٢٠ - ٣٠ ألف ضحية. حاولت الأمم المتحدة الدخول كوسيط للوصول إلى اتفاقية وقفٍ لإطلاق النار في آذار ١٩٩٢م، ونجحت الأمم المتحدة في تقليص حجم الصراع إلى حدٍّ ما. وكان الاقتتال بين الجبهة الصومالية القومية وفصيل المؤتمر الصومالي الموحد بقيادة الجنرال محمد فارح عديد على سكان المنطقة النهرية قتالاً دامياً أدى إلى مقتل ما يقارب ٣٠٠ ألف إنسان. ووصلت القوات الأمريكية إلى مقديشو في كانون الأول ١٩٩٢م، والتي كانت تقود قواتٍ تتألف من جنسياتٍ مختلفة تضمّ ما يزيد عن ٣٧ ألف مقاتل من ٢٢ دولةٍ مختلفة. ولكن تمّ إجهاض المهمة بتاريخ ٣ - ٤ تشرين الأول ١٩٩٣م، عندما اندلع قتالٌ بين قوات حفظ السلام وميليشيا الجنرال عديد.<sup>(١)</sup> وانسحبت الأمم المتحدة من الصومال بتاريخ ٣ آذار ١٩٩٥م، ونجحت المهمة الأممية في تخفيف المجاعة، وإضعاف أمراء الحرب، وتعزيز منظمات المجتمع المدني، وشجعت أيضاً على إقامة مشاريع تجارية في القطاع الخاص. وتوجّبت هذه التطورات بتغيير في استراتيجية المصالحة الوطنية، والتي أولت دوراً أكبر للقيادة المدنية. وكانت أحد نتائج ذلك هو مؤتمر المصالحة الوطنية الذي أقيم في مدينة عرته في جيبوتي عام ٢٠٠٠م، ودشن المؤتمر طيفاً واسعاً من الفاعلين المدنيين بعد ١٠ سنين من المؤتمرات الفاشلة التي سادها

---

(١) أودى هذا الصراع بحياة ٢٤ باكستاني، و١٩ جندياً أمريكياً، و٥٠٠ - ١٠٠٠ صومالي.

أمراء الحرب. وأبرز مؤتمر عرنا للسلام الحكومة الانتقالية الوطنية (TNG) التي كانت بريق أمل لاستعادة الحكم المدني في الصومال وتحقيق المصالحة بين الفصائل المتحاربة. وبدأت الحقبة الجديدة من إحياء القومية الصومالية على أساس رؤية وأجندة معتدلة، وهو ما كان إحياءً لجمهورية الصومال وتوحيد الإقليمين الصوماليين: ما عرف سابقاً باسم الصومال البريطاني، وما عرف سابقاً باسم الصومال الإيطالي.

\*\*\*

## الخلاصة

انبثقت القومية الصومالية على أسس محاربة الاستعمار والهيمنة الثقافية، ومّرت القومية الصومالية بثلاث مراحل: الرومانسية، والقوة، والضعف. كانت البداية بدايةً رومانسيةً وطموحةً، وكان السعي فيها نحو تحرير الشعب الصومالي من قوى الاستعمار المتعددة وتوحيدهم في دولة واحدة تلف أرض الصومال الكبير. مثلت هذه المرحلة أيضاً مشروعاً حديثاً ضد التقاليد، وهدف المشروع إلى إصلاح المجتمع المفكك إلى عشائر عبر تقويض دور العشائرية، وتهميش قياداتها، وتلطيف العشائرية المحلية واستبدالها بعشائريةً فوقية هي القومية الصومالية. فكانت بهذا القومية الصومالية موازيةً تماماً للمفهوم الأوروبي للقومية التي قامت على أساس حقوق الشعوب المستعمرة بتقرير مصيرها وبإقامة دول قومية. وبدأ القوميون الصوماليون بمهمة عظيمة بتحويل قومية الصومال الثقافية، التي وحدتها لغة مشتركة والإسلام والتاريخ المشترك، إلى قومية سياسية. ورفدت رياح حركات التحرير هذا التوجه، فضلاً عن موجات إنهاء الاستعمار وتدخل الدول الأجنبية. وكان أيضاً انبثاق النخب المتعلّمة والأوضاع الاقتصادية المحسّنة والتطلع للاستقلال عوامل قوّت هذه التوجهات. وكان الانتصار الأول الذي احتفلت به القومية الصومالية هي توحيد محمية الصومال البريطاني والصومال الإيطالي لإقامة جمهورية الصومال في الأول من تموز من عام ١٩٦٠م. ولكن طموح القوميين الصوماليين، كما أكدوا هم أنفسهم، لم يتوقف إلى هذا الحد، بل كانوا يريدون أيضاً تحرير «الأجزاء الثلاثة المتبقية» وتوحيدها أيضاً.

تزامنت الفترة التكوينية للقومية الصومالية مع المناخ المسعور للحرب الباردة في أعقاب الحرب العالمية الثانية، وانعكس هذا على صراع القوى الكبرى والدول الإقليمية على الصومال وموقعها الاستراتيجي. خلفت الدول المستعمرة وراءها مؤسسات دولة هزيلة بعد الاستقلال، واقتصاداً غير مستدام، وأزمة صراعٍ مستمرة مع الدول المجاورة للصومال. كما أن النظام السياسي الموروث كان يغذي ويوقد نار العشائرية السياسية وثقافة النخبة التي أولت الأهمية على مشاركة السلطة وغضّت الطرف عن ديمقراطية فاسدة. ولم يُعطَ تعزيز المواطنة، وسيادة القانون، والشفافية، والتنمية الاقتصادية الاهتمام الكافي، وكان هناك أيضاً الاتكال على المساعدات الخارجية. سعت القومية الصومالية إلى تحقيق هدفها الرئيس، كبح العشائرية وتحقيق مشروع الصومال الكبير، بمنهجياتٍ تباينت بين المعتدلة والراديكالية. فاتبعت الحكومات المدنية وشبه الديمقراطية (١٩٦٠ - ١٩٦٩م) منهجياتٍ معتدلة على مرحلتين (صدامية ووفاقية)، أما النظام العسكري (١٩٦٩ - ١٩٩١م) فقد مال إلى منهجياتٍ راديكالية. واستخدمت العاطفة في كلا الفترتين على نحوٍ موجهٍ وتمت تقويتها عبر بثّ دعاية ممنهجة عبر وسائل الإعلام، والأغاني، والقصائد، والفن، والتراث الشعبي، ونظم التعليم، وتحويل الأبطال القوميين إلى رموز، وغير ذلك. وكانت القيم الشعبية المتأصلة، الدين والثقافة وحق تقرير المصير، هي السمات الأبرز للخطاب والرواية القومية.

كانت بداية منهجية النظام العسكري بتطبيق مشاريع غير واقعية هدفت إلى استئصال العشائرية، ومحاربة الإسلامية المتنامية، وتحقيق مشروع الصومال الكبير. وكان لهذه المنهجية انعكاساتٌ سلبيةٌ أدّت إلى إضعاف ذات الأفكار التي حاولت رعايتها. فأضعفت المنهجيات الراديكالية، على سبيل المثال، التماسك الاجتماعي وأجّجت مشاعر الاستياء التي تجسّدت في لغة العشائرية والإسلامية. كما نتج عن دفع القومية الصومالية إلى الراديكالية إلى زراعة البذور الأولى للصراع العسكري مع أثيوبيا في حرب ١٩٧٧ - ١٩٧٨م. واستدعت الحرب تدخلاً عسكرياً دولياً من الجانب الأثيوبي، وتجرّعت الصومال هزيمةً نكراء بعد تحقيق بعض الانتصارات المبكرة، وهو ما أدّى إلى عزلها وإضعافها وهزيمتها

في النهاية على يد قوات التحالف. لقد كانت الحرب مع أثيوبيا خطوة انتحاريةً، وشكّلت بداية النهاية وأفسدت ثمرات منجزات القومية الصومالية الأولى، وهي الدولة الصومالية. فتلّقت القومية الصومالية ضربةً موجهةً في عام ١٩٧٧ - ١٩٧٨ م باستقلال جيبوتي دون الانضمام إلى الصومال، ومن ثم هزيمتها في الحرب مع أثيوبيا، ومن ثم انبثاق المعارضة المسلحة التي أسست مقراتها في أثيوبيا أيضاً. وزاد الموقف الذي اتخذه النظام الديكتاتوري من المعارضة المسلحة الأمر سوءً. فارتكزت سياسات النظام في مواجهتها للمعارضة على بسط غطاءٍ عشائريٍّ على أجهزة الدولة، إضافةً إلى اتخاذها القرار العسكري لإخماد حركات التمرد المسلّح، وصدّ جميع قنوات التسوية السلمية. وهكذا، فإن الهدف القومي المتمثل في توحيد كل السكان الصوماليين ودولتهم الأيقونية انهيار عام ١٩٩١. ومن ثمّ فإن قوة الطرد المركزي للخصوصية العشائرية الصومالية طغت على قوة جذب القومية ومثل ذلك علامة على ضعفها وضمورها.

ولكن لم تمت القومية الصومالية بل تجرّعت خسائر عظيمة نتيجةً لعيوب منهجياتها العاطفية وتصارع نخبها على السلطة السياسية. ولكن تحوز قومية الصومال على مكوّناتٍ طبيعيةٍ وعضويةٍ من شأنها استدامة بقاءها وإنعاش هويتها، وهو ما يتأصل في التجانس الإثني واللغوي لشعب الصومال، فضلاً عن اتباعهم لدين الإسلام. ولهذا ترى بأن الصوماليين في كل مكان يشعرون بعدم الرضا عن الطبيعة العشائرية، سواءً في الشتات، أو في مخيمات اللاجئين، أو داخل البلاد، فيقوم اليوم لونٌ جديدٌ من القومية الصومالية التي تتمتع بحساسيةٍ ثقافيةٍ. وتستخدم هذه القومية الشبكات الاجتماعية ولا تتحفّظ عن نقدها للماضي والحاضر، وفي نفس الوقت تحاول استكشاف منهجياتٍ مبتكرةٍ لإحياء فكرة القومية. وفي النهاية، لا يزال بالإمكان إنقاذ القومية الصومالية عن طريق اعتماد استراتيجياتٍ ملائمةٍ لبناء الدولة والشعب، والتنمية الاقتصادية، والتقدم على الصعيد السوسيوثقافي، وهذا يترتب عليه تغيير مفهوم الصومال الكبير من وحدةٍ سياسيةٍ إلى تكاملٍ ثقافيٍّ واقتصاديٍّ. ولن تكون هذه المنهجية ممكنةً بدون صون الديمقراطية، والتماسك الاجتماعي، وتعزيز السلام والتعاون الإقليمي.



## الفصل الخامس

### انهيار الدولة الصومالية: سياقات وآراء

﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠]

«لن يقو تهديداً خارجي على تدمير أمريكا. ولكن إن انتكسنا وفقدنا حريتنا، فما كان هو

Abraham Lincoln

أنا دمرنا أنفسنا بأيدينا.»

ترك انهيار الدولة الصومالية عام ١٩٩١م العلماء، والساسة، والشعب الصومالي نفسه في حيرة وصدمة عميقتين، نظراً لأن هذه النتيجة كانت مغايرة لما رآه الناس مسلّمةً على مرّ عقود. فقد نُظر إلى الصومال على أنه شعبٌ عضويٌّ ونموذجٌ مثاليٌّ لبناء الدول في أعقاب الحقبة الاستعمارية في أفريقيا.<sup>(١)</sup> فقد كانت الصومال أحد أول الديمقراطيات والدول القومية المتجانسة التي قامت في أفريقيا،<sup>(٢)</sup> فشعبها يتحدث بنفس اللغة، ويعتق الدين الإسلامي، وينحدر معظمهم من نفس المجموعة العرقية. ولقد نجم عن تعدّد القوى الاستعمارية انقسام أبناء العرق الصومالي إلى أربع دولٍ مختلفة في قرن أفريقيا، هي جمهورية الصومال، وجيبوتي، وأثيوبيا، وكينيا. ويحمل الصوماليون اليوم جنسيات العديد من الدول في جميع القارات عقب موجة الهجرة الكبيرة التي حدثت بعد انهيار الدولة المركزية عام ١٩٩١م.<sup>(٣)</sup>

(١) «الشعب العضوي» هو مصطلحٌ مستحدث صكّه المؤلّف، ويعني فيه شعبٌ لا يتجزأ وتربطه علاقات قرابة بيولوجية، وله ثقافة عيشٍ بدوية، مع توسعٍ مستمرٍ لمساحة أو رقعة معيشته.

(٢) Abdi Ismail Samatar, Africa's First Democrats: Somalia's Aden A. Osman and Abdirizak H. Hussen (Indiana University Press, 2016).

(٣) UNDP - Somalia, Somalia's Missing Million; The Somali Diaspora and Its Role in Development (UNDP - Somalia, 2009).

وبمحاولة تقديم شرحٍ دقيقٍ لفشل الدولة الصومالية وانهارها، يقودنا الجواب البسيط إلى أن ذلك كان نتاج دولة ما بعد الاستعمار وقادتها، فقد ارتكزت الدولة على أسسٍ رخوةٍ ومتزعزعةٍ في ظلّ أيدولوجياتها، ويُضاف إلى ذلك مؤسسات الدولة وبنيتها وسياساتها. فلا يمكن ربط هذا الفشل بالشعب الصومالي ومؤسّساته الاجتماعية التي تمّ تغريبها، وتهميشها، وتقويضها نتيجةً لسياسات الدولة، والنزاعات، والانهيّار.<sup>(١)</sup> فقد كانت طبيعة دولة الصومال دولةً تستمدّ قوةً دفعها من الخارج وليس من الداخل على غرار العديد من الشعوب التي وقعت فريسةً لأيدي الاستعمار.<sup>(٢)</sup> ولهذا يجب دراسة انهيارها في سياق التحديات الصعبة التي واجهتها، مثل القدرات الشحيحة، والأيدولوجيات المتخبطة، والضغوط الخارجية المستمرة. وتُرجع هذه التحديات الرئيسية الثلاثة التي واجهت تشكيل الدولة، وأدّت بها إلى الانهيار والفشل، إلى أسبابٍ جغرافية، ويُضاف إلى ذلك أن الشعب الصومالي كان شعباً منقسماً يصبو إلى الوحدة، واستمر فيه أيضاً الصراع بين الدولة والمجتمع منذ البدء. فكان التحدي الجغرافي هو سببٌ طبيعي، فقد أنعم على الصومال بموقعٍ جغرافي يربط آسيا، وأوروبا، وأفريقيا. واستقطب هذا التقاطع القوى الأوروبية المختلفة خلال فترة تناحرها على أفريقيا، لتدفع الصومال ثمن التصارع والتنافس الأوروبيين. ووجدت الصومال نفسها مسرحاً للعمليات في خضم الحرب العالمية الثانية، وشارك الشعب الصومالي فيها على جميع الجبهات. وخرجت شبه الجزيرة الصومالية من معمة الحرب العالمية الثانية لتدخل إلى مسرح الحرب الباردة، وكان ذلك أمراً طبيعياً لأن الصومال هي جزءٌ من قناة السويس ودخل ذلك في حسابات إقليم الخليج الغني بالنفط، فضلاً عن استقطاب الصومال للصراعات الإقليمية في ظلّ الشدّ الجيوسياسي بين مصر وأثيوبيا الذي تمحور حول نهر النيل.<sup>(٣)</sup>

---

(١) Chinuwa Achebe, *The Trouble with Nigeria* (Heinemann, 1984).

(٢) يمكن تصنيف شكل الدول إلى تشكيلاتٍ تاريخيةٍ أصلية، وتشكيلاتٍ ثانوية، وتشكيلاتٍ مشتقة. وكانت جميع الدول التي قامت في أعقاب حقبة الاستعمار دولاً مشتقة ورثت بنيةً، وإطاراً قانونياً، ونظاماً سياسياً واقتصادياً، وبنيةً تحتيةً معيّنة.

(٣) Osman Abdullahi, —*The Role of Egypt, Ethiopia the Blue Nile in the Failure of*

وكانت الصومال أيضاً، نظراً لارتساماتها الجغرافية، مسرحاً للصراع بين الهوية العربية والهوية الأفريقية،<sup>(١)</sup> وهي أيضاً المكان الذي رُسمت فيه الحدود الإسلامية المسيحية مع انتصار الصومال لصف الإسلام في قرن أفريقيا في وجه أثيوبيا وكينيا التي غلبت فيهما المسيحية.<sup>(٢)</sup> تمثل التحدي الثاني في شعبٍ منقسمٍ ومشروع دولةٍ لم يصل مرحلة الاكتمال وفقاً لرؤية القوميين الصوماليين الذين طمحوا إلى إقامة دولة الصومال الكبير. فتجزأ الشعب الصومالي وأقاليمه إلى خمسة جيوبٍ تصارعت عليها القوى الاستعمارية الأربع. فخاض القوميون الصوماليون، بسبب ذلك، معركةً شرعيةً لتحرير جميع الأراضي المستعمرة وتوحيدها تحت مظلةٍ أو دولةٍ واحدة. ولكن قوّضت سياسات القوى الكبرى هذه الآمال في السنوات الأولى للنضال في سبيل الاستقلال، ووُضعت الصومال، عقب الاستقلال، على مسارٍ تصادميٍّ، مع القناعات الدولية والتوزيع الحدودي التي تركته قوى الاستعمار بعد خروجها،<sup>(٣)</sup>

---

the Somali Conflict Resolutions: A Zero - Sum Game (paper presented at the annual meeting of the International Studies Association, Hilton Hawaiian Village, Honolulu, Hawaii, March, 2005).

(١) Osman Abdullahi, —The Role of Egypt, Ethiopia the Blue Nile in the Failure of the Somali Conflict Resolutions: A Zero - Sum Game (paper presented at the annual meeting of the International Studies Association, Hilton Hawaiian Village, Honolulu, Hawaii, March, 2005).

(٢) Ibrahim Farah, —Foreign Policy and Conflict in Somalia, 1960- (PhD diss., University of Nairobi, 2009), 187.

(٣) لم تؤيد الصومال إعلان منظّمة الوحدة الأفريقية حول حرمة الحدود الذي كان في القاهرة عام ١٩٦٤. انظر: Saadia Touval, —The organization of African Unity and Borders, International Organization 21, no. 1 (1967): 102-127.

انظر أيضاً:

the Organization of African Unity, —Resolutions adopted by the first ordinary session of the assembly of the heads of the state and government," Cairo, UAR, from 17 to 21 July, 1964

كما وضع ذلك الصومال في صراعٍ مدمرٍ غير محمود مع جيرانها الأفريقيين.

وكان التحدي الثالث، الصراع بين الدولة والمجتمع في دولة ما بعد الاستعمار التي ارتكزت على أيديولوجياتٍ علمانية ونظام حكمٍ مركزي. فغرب نظام الحكم الموضوع المجتمع التقليدي الذي تأسس على نظام العشيرة والدين والثقافة الإسلامية.<sup>(١)</sup> وتصادم هذا التزاوج المتضارب بين الدولة والمجتمع مع نظام العشيرة والدين الإسلامي، بالإضافة إلى تطفل دولة ما بعد الاستعمار غير الحكيم في الشؤون الاجتماعية ومحاولتها فرض سطوتها. وهو ما وضع الصومال في قلب صراعٍ بين ثلاث أيديولوجيات هي العشائرية، والإسلامية، والقومية، وكانت هذه الأيديولوجيات الثلاث تتقاطع وتتناوب فيما بينها في بعض الأحيان.<sup>(٢)</sup> وأدت راديكالية المنهجيات القومية التي تبناها النظام العسكري وسياساته المترنحة على صعيد رسم علاقاته مع أسس الصومال - الإسلام والعشيرة إلى نقل عدوى الراديكالية بصورة رجعية إلى هذه العناصر لتتفاقم الصراعات والتصادمات نتيجة لذلك.

وفي محاولتنا لاستكشاف سبب انهيار دولة الصومال، نستهل القول بأن هذا الموضوع جذب اهتماماً أكاديمياً هائلاً في العقود الثلاثة الأخيرة. ولكن ركزت جملة الدراسات على اهتماماتٍ عملية، وحاولت رسم خيارات التدخل التي كان يمكن للمجتمع الدولي الأخذ

---

(١) تتبع العلاقة بين الدولة والمجتمع ستة سيناريوهاتٍ محتملة تتراوح من أقصى درجات التعاون إلى أقصى درجات الصراع: (١) التعاون المشترك، (٢) الانخراط المشترك، (٣) الانخراط الصراع، (٤) الانسحاق المشترك (٥) الانسحاق بالإكراه (٦) الانسحاق بفعل المقاومة - الثورية. انظر:

Tracy Kup erus, Frameworks of State Society Relations,

متاح على الرابط:

[http://www.acdis.uiuc.edu/Research/S&Ps/1994Su/S&P\\_VIII4/state\\_society\\_relations.html](http://www.acdis.uiuc.edu/Research/S&Ps/1994Su/S&P_VIII4/state_society_relations.html)

(تم الوصول بتاريخ ١٤ فبراير ٢٠١١).

(٢) Abdurahman Abdullahi, —Tribalism, Nationalism and Islam: The Crisis of Political Loyalties in Somalia. A MA thesis submitted to The Islamic Institute, McGill University, 1992.

بها، كما ركزت الدراسات الموجودة اليوم أيضاً على توصيف المعاناة الإنسانية والمحن الشديدة التي قاساها الصوماليون في أعقاب انهيار الدولة، والحروب الأهلية، والقرصنة، والتطرف باسم الإسلام، والإرهاب. أي أن المواضيع الرئيسية التي ركزت عليها الأعمال هي تحليلاتٌ ظرفية للحرب الأهلية والكارثة الإنسانية، وآليات التكيف التي لجأ إليها الصوماليون سواءً داخل الصومال أو في الشتات، والتدخل الإنساني الدولي، فضلاً عن الإرهاب الدولي والقضايا الأمنية في السنوات الأخيرة.<sup>(١)</sup> وتنامى عدد الدراسات العالمية حول انهيار الدولة في الأوساط الأكاديمية، ونُظِرَ إلى الصومال على أنها مثالٌ كلاسيكي على انهيار الدولة.<sup>(٢)</sup> إلا أن معظم الأعمال التي تم إنتاجها كانت في صورة مقالاتٍ وأوراقٍ أكاديمية في بعض الأحيان.<sup>(٣)</sup> وتنظر هذه الكتابات، كما هو متوقع، لفشل دولة الصومال

---

(١) يُنظر إلى الصومال على أنها ملاذٌ آمنٌ للجماعات الإرهابية في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وتم بالفعل إغلاق عددٌ من المؤسسات واتهام جماعاتٍ بارتباطها بالإرهاب.

(٢) من الأمثلة على ذلك «مشروع الدولة الفاشلة» (Failed State Project) الذي أوجدته جامعة هارفارد تحت رعاية مؤسسة السلام العالمي و«مشروع الدولة الفاشلة» (Failed State Project) في جامعة بيردو. وأنتج هذان البرنامجان أدبياتٍ وأوراقاً بحثيةً تستحق الدراسة حول هذا الموضوع.

(٣) Terrence Lyons and Ahmed Samatar, *Somalia: State Collapse, Multilateral intervention, and Strategies for Political Reconstruction* (Washington: The Brookings Institution Occasional Paper, 1995); Ahmed Samatar (ed.), *The Somali Challenge: From Catastrophe to Renewal?* (Lynne Rienner Publishers, 1994); Hussein M. Adam, —*Somalia: A Terrible Beauty Being Born?* In I. William Zartman (ed.), *Collapsed States: The Disintegration and Restoration of Legitimate Authority* (London: Lynne Reinne, 1995); Walter S. Clarke, —*Somalia: Can a Collapsed State Reconstitute itself?* In Robert I. Rotberg (ed.), *State Failure and State Weakness in a Time of Terror* (Washington: Brookings Institution Press, 2000); Brons, Maria, "The Civil War in Somalia: Its Genesis and Dynamics" *Current African Issues*, (11, Uppsala, Nordiska Africainstitutet, 1991); Virginia Luling, "Come back Somalia? Questioning a Collapsed State" *Third World Quarterly*, 18:2 (1997), 287-302.

وانهيارها من وجهات نظرية مختلفة، ويعني هذا فشل هذه الكتابات في رسم تصور شاملٍ لسبب انهيار الدولة. وكان هناك بعض الباحثين الذين ركّزوا في أعمالهم على الأسباب العملية والظرفية مهملين أصل وبداية انهيار الدولة. ويحاول هذا الفصل ردم هذه الفجوة في الأدبيات الأكاديمية باستبيان وجهات نظر الحقول الأكاديمية المختلفة والبحث فيها وإعادة ترتيبها، وصياغتها على شكل مواضيع رئيسية بغية تحديد العوامل الرئيسية ورسم صورةٍ شاملةٍ حول الأمور التي ساهمت في انهيار دولة الصومال. ويُستهل هذا الفصل بنظرةٍ عامةٍ على إعادة سردٍ عامٍ لقيام الدولة الصومالية وسقوطها (التفاصيل التي مرّ عليها الفصل الرابع)، قبل الانتقال إلى دراسة نظريات قدرات الدولة، وصراعاتها، وأثرها. ومن ثم يتناول هذا الفصل، في جزءه الثالث، وجهات النظر المختلفة حول انهيار الدولة الصومالية، مع تحليل الأسباب وتصنيفها إلى أسبابٍ أصولية، وأسبابٍ عملية، وأسبابٍ ظرفية. وأخيراً يستخلص الفصل زبدة ما تمّ تناوله، مع تقديمه عدداً من التوصيات.

\*\*\*

## نظرة عامة على قيام الدولة الصومالية وسقوطها

بدأت المحاولات الأولى لتأسيس دولةٍ صوماليةٍ حديثة بالمهمة الأممية التي أوكلت إلى إيطاليا في ١٢ نوفمبر ١٩٤٩م، فطلب من الإيطاليين إدارة مستعمرتهم السابقة، التي استولت عليها بريطانيا في أعقاب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٤١م. ووافق مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة رسمياً على المهمة في ٢٧ يناير ١٩٥٠م، وتنصّ ديباجة الاتفاقية على ما يلي «يجب أن يكون الإقليم (أي الصومال) دولةً مستقلةً ذات سيادة، بحيث يدخل استقلال الدولة حيز التنفيذ بنهاية السنوات العشر التي تبدأ من تاريخ الموافقة على اتفاقية الوصاية هذه من قبل الجمعية العامة (التابعة للأمم المتحدة)». <sup>(١)</sup> ومُنحت إيطاليا سلطةً إداريةً، فيما تألّف

(١) انظر:

Draft Trusteeship Agreement for the Territory of Somaliland under Italian Administration as approved on 27 January, 1950 by the trusteeship Council at the eighth meeting of sixth session

مجلس استشاري من ممثلين من كولومبيا، ومصر، والفلبين طُلب منهم تمثيل مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة. ورسمت الاتفاقية المهام الرئيسية التي توجب على إيطاليا تحقيقها في فترة السنوات العشر التالية، مثل تأسيس نظام حكم ديمقراطي، والتنمية الاقتصادية، وتوفير الخدمات الاجتماعية التي تتضمن بناء مؤسسات التعليم والصحة، وبناء جهاز أمني، وإعداد الإقليم ليكون دولة مستقلة تتمتع بالسيادة بحلول العام ١٩٦٠م.

واستلمت إيطاليا أمور إدارة الإقليم، الذي سُمي إقليم الصومال الإيطالي، من الإدارة البريطانية العسكرية بموجب الاتفاقية يوم ١ نيسان ١٩٥٠م. وبالرغم من أن عودة إيطاليا لم يكن قراراً تلقته عصبة الشباب الصومالي والأحزاب السياسية الكبيرة بترحيب، إلا أن إدارة إقليم الصومال الإيطالي بدأت بإعطاء الصوماليين مسؤوليات إدارية أكبر على نحو إيجابي، فتم تشكيل المجلس الإقليمي وعقد انتخابات بلدية في عام ١٩٥٤م. وتم أيضاً العمل ببرامج متوسطة للتنمية السوسيواقتصادية. كما قام إقليم الصومال الإيطالي بإعطاء الصوماليين أدواراً أكبر وأكبر في هذه البرامج، ولكن كان هذا بسبب الميزانية الشحيحة في ظل اقتراب أجل الاستقلال، وهو ما أدّى إلى انتهاء مسؤوليات إدارية عند صوماليين لا يتمتعون بالتدريب الكافي ودون دفع مرتبات كافية لهم أو كلتهم بها الإدارة الإيطالية على عجلة بعد أن كانت تتكفل هي بها. واستمر أيضاً توجه إضفاء الصبغة الديمقراطية، فعقدت أول انتخابات عامة في عام ١٩٥٦م، وحقق فيها عصبة الشباب الصومالي فوزاً ساحقاً، وشكلت أول حكومة صومالية لإدارة الشؤون الداخلية، أو «Affare Interno»، والتي امتلكت سلطة محدودة وكانت تحت تدريب جهاز إدارة إقليم الصومال الإيطالي.<sup>(١)</sup> ومن ثم عقد اقتراع عام ١٩٥٩م لانتخاب أعضاء البرلمان الذي يبلغ عددهم ٩٠ عضواً، وتمت صياغة الدستور الصومالي.<sup>(٢)</sup> أما في الصومال البريطاني، «فتشكل أول مجلس تشريعي عام ١٩٥٧م

(١) تألفت الجمعية التشريعية من ٧٠ مقعداً، كان منها ٦٠ مقعداً للصوماليين، وأربعة مقاعد للجالية الإيطالية، وأربعة للجالية العربية، ومقعدان للجالية الهندية والباكستانية. انظر:

Tripodi, The Colonial Legacy in Somalia..., 80.

(٢) المصدر السابق، صفحة ٨٢ - ٨٤.

وبدأ الصوماليون باستلام المناصب الحكومية بدلاً من المسؤولين الأجانب.<sup>(١)</sup> وتسارعت عجلة إعداد المستعمرة للاستقلال، وعُقدت أول انتخابات في فبراير ١٩٦٠م لانتخاب ٣٣ عضواً للجمعية الوطنية. ووافقت بريطانيا على منح أرض الصومال الاستقلال بعد شهرين من ذلك، وهو ما صادق عليه أيضاً مجلس الشيوخ في ١٩ مايو ١٩٦٠م،<sup>(٢)</sup> وهكذا احتفلت أرض الصومال باستقلالها يوم ٢٦ يونيو ١٩٦٠م، أي قبل خمسة أيام من استقلال الصومال من وصاية مهمة الأمم المتحدة والتي كانت يوم ١ تموز ١٩٦٠م. وكانت العواطف القومية على أشدها في ذاك الوقت، فاجتمعت الأحزاب القومية من الأراضي الصومالية التي كانت تحت وصاية المهمة الأممية ومن الصومال البريطاني، ووقعت الأحزاب اتفاقية تاريخية لإقامة دولة مركزية وموحدة باسم جمهورية الصومال يوم ١ تموز ١٩٦٠م.

وتملكت الآمال والأفراح قلوب القوميين والشعب الصومالي مع بزوغ فجر الديمقراطية والحكم الذاتي، ولكن الدولة التي ورثها الصوماليون كانت في حالة يرثى لها على كل الأصعدة، فعلى سبيل الذكر لا أكثر، كان هناك شح في الموارد البشرية، وكانت العشائرية طاغية على الثقافة السياسية، وكانت التنمية الاقتصادية في أضعف مستوياتها، ولم تكن الحدود قد رُسمت بصورة رسمية مع دور الجوار، وجاءت مهمة دمج نظامي الحكم معاً مع تحدياتها. وطبعاً كانت التوقعات من هذه الدولة الصومالية المؤسسة حديثاً، على غرار أي دولة في مرحلة ما بعد الاستعمار، بأن تتولّى مسؤولية تكوين رأس مالٍ نقدي، وتشيد بنية تحتية، والتنمية الزراعية، وامتصاص القوى العاملة الموجودة، وتوفير خدمات التعليم والصحة. فكان تلك الحالة إذاً دولةً تعمل في بيئة لا تُحتمل وتُنادي بأجندة بالغة الطموح والتقدمية، وتواجه تحديات صعبة، وفرضت على نفسها توقعاتٍ عالية جداً. فعُقدت، على سبيل المثال، جولتان انتخابيتان للبرلمان وجولتان انتخابيتان رئاسيتان، ولكن أفرز تطبيق نظام الديمقراطية الغريب على مجتمع تحكمه التقاليد نتائج سلبية كان منها اندلاع الصراعات بين العشائر، والفوضى السياسية، واضطراباتٍ سياسية لا يمكن قياسها.

(١) Mark Bradbury, Becoming Somaliland (Progresso, 2008), 32.

(٢) المصدر السابق.



وأبانت النخبة القومية الصومالية عن قلة خبرتها في تحقيق إصلاحٍ ناجحٍ وحققيٍّ لمؤسّسات الدولة، والاقتصاد، والمجتمع، وكان كل هذا بنفس حجم التحديات التي كانوا يواجهونها. فالثقافة الإدارية التي توارثوها من المناخ الاستعماري قد غرق منذ فترةٍ طويلةٍ في حالةٍ من الانحلال وقد أنهك كلّ موارده الداخلية بحلول عام ١٩٦٩ م. لقد وجدت الصومال نفسها، في ذاك الوقت، على حافة الانهيار، وهو ما تُوجّج بالفساد الذي عمّ انتخابات ١٩٦٩ م، إذ دخلت دكتاتورية حزب عصبة الشباب الصومالي مرحلة المخاض، وشوّه الحزب سنوات الديمقراطية التي سبقت هذه الانتخابات.<sup>(١)</sup> كان الحال كارثياً في الصومال على كل الأصعدة، وكان الاستياء الشعبي المتعاظم واضحاً، وهو ما بدا جلياً في الاغتيال التراجيدي للرئيس عبد الرشيد علي شاراماركي يوم ١٥ تشرين الأول ١٩٦٩ م. وفي ظلّ كل هذه التطورات التراجيدية، يمكن أن يُعتبر عام ١٩٦٩ م المحطة الأولى على طريق فشل دولة الصومال.

كان الجيش الصومالي الوطني هو حبل النجاة الذي أنقذ الدولة من التفكك، فنظّم الجيش انقلاباً سلمياً بتاريخ ٢١ تشرين الأول ١٩٦٩ م، وحظي الجيش بدعمٍ ساحقٍ من الشعب المتأمل خيراً. إذاً فشلت الدول التي قامت في مرحلة ما بعد الاستعمار بالإيفاء بوعودها الطموحة جداً خلال العقد الأول من الحكم، ولهذا قامت المؤسسات العسكرية باتخاذ منهجياتٍ بديلة، فشهدت منظومة الحكم في الصومال نقلةً من النموذج المتوارث من قوى الاستعمار إلى توجهٍ اشتراكي.<sup>(٢)</sup> ولم يكن يملك الشعب الصومالي أيّ تصورٍ عمّا ستحملة

---

(١) تنافس ١٠٠٢ مرشحاً برلمانياً من ٦٢ حزباً سياسياً على ١٢٣ مقعد في انتخابات مارس ١٩٦٩ م، أي أن كل ثمانية مرشحين كانوا يتنافسون على مقعدٍ واحدٍ.

Bradbury, *Becoming Somaliland*, 35.

كما أن مستوى الفساد كان عالياً جداً، إلى درجةٍ وصلت ببعض المرشحين لدفع ٣٠ ألف دولار. انظر:

Lewis, *A History*, 1976, 296.

(٢) Pat McGowan; Thomas H. Johnson, —African Military Coups d'état and Under-development: A Quantitative Historical Analysis. *The Journal of Modern African Studies*, Vol. 22, No. 4. (Dec., 1984), 633-666.

سنوات حكم النظام العسكري، إلا أنهم كان مستميتين لإحداث التغيير. في المقابل، تقلد النظام العسكري دور الدولة في مجتمع تقليدي في خطوة غير محمودة، كونه يفتقر إلى المعرفة اللازمة والقدرات لإدارة عملية مشاركة السلطة بين النخب وهو أصلاً ما رسم نهاية الأنظمة السابقة. وهكذا دشّن النظام العسكري برامج اشتراكية وقومية متشددة، وعزز علاقاته بالاتحاد السوفيتي، وبدأ بتطبيق برامج الاشتراكية. واكتسب النظام دعماً واحتراماً واسعاً من الشعب بفضل الأداء الاقتصادي الذي تحسّن، وتوسع الخدمات الاجتماعية، وخلق فرص عمل، وبناء ثقافة حكم أفضل. ولكن بانت الطبيعة الحقيقية للنظام الدكتاتوري بعد بضعة سنوات ملأها النظام بحملات بث الخطاب الشيوعي، وبدأت المعارضة بالطفو على السطح. وتمثلت أولى صور المعارضة للنظام في المجلس الثوري عندما قام بعض الضباط البارزين بترتيب انقلاب باء بالفشل في بداية ١٩٧١م، وتمّ إعدام قادة المجلس على الملأ.<sup>(١)</sup>

وجاء صوت المعارضة الثاني من علماء الإسلام الذين أعلنوا رفضهم لتدخل النظام بقانون العائلة الإسلامي، وكان ردّ النظام على الاحتجاجات السلمية ردّاً بربرياً غير حكيماً، فأعدم النظام ١٠ علماء بارزين معاً في ٢٣ يناير ١٩٧٥م، غير المئات الذين سُجنوا، فيما نجح غيرهم في الهرب من اضطهاد الدولة.<sup>(٢)</sup>

أيضاً:

EU Institute for Security Studies, Understanding Africa Armies, Report no. 27 (Published by the EU Institute for Security Studies and printed in France, 2016), 25-31.

(١) الضباط الثلاثة الذين تمّ إعدامهم هم الجنرال أيناشي، والجنرال صلابد جيبيري، والكولونيل عبد القادر ظيل .

(٢) علي شيخ أبو بكر، جذور المأساة الراهنة (بيروت: دار ابن حزم. ١٩٩٢)، ١٨١ - ١٨٥؛

انظر أيضاً: النصّ الكامل لاتفاقية التعاون والصداقة بين الصومال والاتحاد السوفيتي في المرفق، ٢٤٧. كان الضباط الذين لقوا مصير الإعدام من أبناء عشائر إسحاق، والمجرتين، وأبغال. وتبع ذلك استهداف وملاحقة أقرباءهم المباشرين، وعوائلهم الذين اعتبرهم النظام أعداء للثورة. ويمكن الرجوع إلى شهادات لأناس شهدوا حملة النظام العسكري ضد الإسلام في علي شيخ، جذور المأساة، ١٠٩ - ١٣٧.

شكّل إعدام قادة مخطّطي الانقلاب والعلماء محطةً أخرى سرّعت انهيار دولة الصومالية. وكانت عواقب إعدام الضباط الذين قاموا بمحاولة الانقلاب كارثية في التاريخ الصومالي، وأدّت إلى عودة القيم العشائرية التي تنامت بصورةٍ شرسيّة في السنوات التي تلت ذلك. في المقابل، بدأت الحركات الإسلامية الناشئة في ذلك الوقت بالتوجه إلى العمل في الخفاء في ظلّ إعدام العلماء، واكتسبت زخماً متعظماً وبدأت منظّماتها بالانتشار سرّاً في كل زاوية دفاعاً عن الدين في وجه «الاشتراكيين الملحدين». وصاغ هذا التقاطع التاريخي الأسس الأيدولوجية للحركات الإسلامية التي بدأت بإطلاق برامج سوسيوسياسية. وبدأت هاتان القوتان، التي انبثقتا من أيدولوجياتٍ محلية هي العشائرية والإسلامية، بالتبلور تدريجياً، وبدأتا بالعمل على قلب النظام.

ويبدو أن سياسات النظام التي تمثّلت في تأسيس الحزب الاشتراكي الثوري الصومال (SSRP) في ١٩٧٧م قد أدّت إلى تغريب مبدأ مشاركة السلطة بين العشائر أكثر وأكثر. وتكبّدت الصومال عواقب وخيمة على إثر هزيمتها في الحرب مع أثيوبيا في ١٩٧٧-١٩٧٨م على يد قوات التحالف التي قادها الاتحاد السوفيتي والتي ضمّت كوبا، وجنوب اليمن، وغيرها من البلدان. وكانت هذه الهزيمة وما أعقبها نقطة التحول الثانية على طريق سقوط الدولة،<sup>(١)</sup> فقد أفرزت هذه الهزيمة مناخاً عاماً سادته الكآبة وقوّضت القومية الصومالية. فكان المناخ السياسي في الصومال عام ١٩٧٨م شبيهاً جداً للمناخ العام في ١٩٦٩م عندما انتزع حزبٌ واحد الحكم من الجميع وتعاضم الاستياء السياسي، وهو ما أدّى وقتها إلى الانقلاب العسكري. ولكن، للأسف، أصبح الجيش الذي أنقذ الدولة من الفشل عام ١٩٦٩م هو القوة الموجودة على كرسي الحكم، وكانت مؤسسته تعاني من التفكك، وخسرت بنيته الإدارية

---

(١) تدهورت العلاقات بين الصومال والسوفييت، وتمّ طرد الخبراء السوفييت من الصومال يوم ١٣ نوفمبر ١٩٧٧م. وكان مؤلّف هذه المقالة أحد الضباط العسكريين الصوماليين الذين طردهم الاتحاد السوفيتي ردّاً على قرار الصومال.

استقلالها واحترافيتها وصارت جزءاً لا يتجزأ من الحزب الحاكم والنظام القائم.<sup>(١)</sup> فلم يكن من الصعب، في ظل كل هذه الأسباب، إحباط محاولة الانقلاب التي قامت بتاريخ ٩ نيسان ١٩٧٨ م، وأعقبها إعدام ١٨ ضابطاً عسكرياً واحتجاز مئات آخرين.

وصحيحٌ بأن الانقلاب لم ينجح في إسقاط النظام بصورة مباشرة، ولكنه رسم مشهد هلاك النظام. فشكّل الضباط الذين رتبوا الانقلاب معارضةً مسلّحةً بعد نجاحهم في الهروب، وتلقّوا دعماً وترحيباً من الدول المعادية، وتحديدًا أثيوبيا.<sup>(٢)</sup> وكان ردّ النظام العسكري، الذي تملكتّه حالةٌ من الخوف، هي تشديد القمع السياسي، وإعدام المعارضين بدون محاكمات، وفرض عقوباتٍ جماعيةٍ على العشائر التي ظنّ الحزب بأنها تدعم حركات التمرد العسكري. وسادت الفوضى في حقبة فصائلية العشائر، وكشف الغول، الذي اتهمه الجميع بأنه سبب انهيار الدولة، عن أنيابه. وتوالى الفصائل المسلحة في التشكل وفتح قواعد لها في أثيوبيا على امتداد عقد الثمانينات الذي كان فترةً عسيرةً في التاريخ الصومالي، وضمت هذه الفصائل جبهة الخلاص الصومالية الديمقراطية (SSDF) التي تأسست عام ١٩٧٨ م،<sup>(٣)</sup> والحركة الصومالية القومية (SNM) التي تأسست عام ١٩٨١ م، والمؤتمر الصومالي الموحد (USC) الذي تأسس عام ١٩٨٩ م، والحركة الصومالية الوطنية (SPM) التي تأسست عام ١٩٨٨ م. وافتقرت هذه الفصائل إلى القدرات التنظيمية والرؤية الوطنية، وترتّب على ذلك خوضها حرباً مع النظام دون أي تنسيق. وفي النهاية دخلت قوات المؤتمر الصومالي الموحد

---

(١) قام الحزب الحاكم، الحزب الصومالي الاشتراكي الثوري، بضمّ ضباطٍ برتبٍ عاليةٍ إلى لجنته المركزية، وكان هناك أيضاً ضباطٌ تمّ تدريبهم ليكونوا كوادراً سياسية، وتمّ ربط هؤلاء الضباط بجميع الوحدات العسكرية لاستقطاب الكوادر العسكرية.

(٢) كانت كلّ من الصومال وأثيوبيا يدعمان حركات المعارضة المسلحة في البلد الآخر. فكانت الصومال تدعم القادة الحاليين لأثيوبيا وأرتيريا، فيما كانت أثيوبيا تدعم الفصائل العشائرية التي أسقطت نظام سيد بري، ولكن فشلت هذه الفصائل في إقامة دولةٍ قوميةٍ صومالية بعد سقوط النظام.

(٣) توحدت جبهة الخلاص الصومالية الديمقراطية مع الجبهة الصومالية الديمقراطية للتغيير (SODAF) وجبهة الخلاص الصومالية (SSF) عام ١٩٨١ م.

فضاء قصر فيلا الصومال، القصر الرئاسي، في مقديشو يوم ٢٦ يناير ١٩٩١م، وكُتبت نهاية النظام العسكري المشؤوم، بينما استولت فصائل أخرى مثل الحركة الصومالية القومية على المدن الكبرى في الشمال الصومالي، فيما سقطت المدن الكبرى في الجنوب تحت سيطرة الحركة الصومالية الوطنية.

ونختم هذا الجزء بتلخيص المراحل الثلاث لانهايار دولة الصومال: كانت المرحلة الأولى قبل الاستيلاء العسكري على السلطة في عام ١٩٦٩م. أما المرحلة الثانية فكانت بعد هزيمة الصومال في الحرب مع أثيوبيا عام ١٩٧٨م، وإجهاض محاولة الانقلاب العسكري الذي أعقب ذلك. وسرّع ذلك مسار انهيار الدولة حتى وصول الصومال إلى نقطة الانكسار الكاملة يوم ٢٩ يناير ١٩٩١م والذي كان المرحلة الثالثة الأخيرة. وبدأ العلماء بالسعي للوصول إلى إجاباتٍ للمعادلات الصعبة لانهايار الدولة الصومالية في تلك اللحظات التاريخية في خضم حيرة عامة. سيتناول الجزء التالي من هذا الفصل نظريات انهيار الدولة والصراع لرسم الأسس النظرية لوجهات النظر التي نظّر لها هؤلاء العلماء.

١٩٦٩م	السقوط الأول للدولة * التلاعب بانتخابات ١٩٦٩م * اغتيال الرئيس شاراماركي * الانقلاب العسكري
١٩٧٨م	السقوط الثاني للدولة * هزيمة الصومال في حربها مع أثيوبيا (١٩٧٧ - ١٩٧٨م) * انقلاب ٩ نيسان ١٩٧٨م الفاشل * تشكل أول فصائل المعارضة المسلحة (الجبهة الديمقراطية الصومالية) في سبتمبر ١٩٧٨
١٩٩٠ - ١٩٩١م	الانهيار الأخير للدولة في يناير ١٩٩١م وتصعيد الحرب الأهلية

جدول رقم (٨): فترات فشل الدولة الصومالية وانهيارها

## نظريات قدرات الدولة والصراع

تمسّ الدراسات حول انهيار الدولة حقل قدرات الدولة في التحليل السياسي المقارن.<sup>(١)</sup>

فقد قدّم العالم Joel Migdal عدداً من النظريات حول قدرات الدولة في دراسته للدول الضعيفة والقوية والمجتمعات الضعيفة والقوية. وينظر Migdal بأن على الدول تدشين مواطنةً سياسيةً واحدة تُعطى لجميع أفرادها في نطاقها القانوني، وتمارس سلطتها السياسية على المجتمع. ويجب أيضاً وجود عددٍ من العوامل كي تصون الدولة بقاءها، وتتضمّن هذه العوامل: القدرات التنظيمية لقادتها، والحجم السكاني، والمصادر البشرية والمادية المتاحة، ومكاناً في التراكيبية الدولية.<sup>(٢)</sup> فتُسمّى الدول القادرة على تأدية وظائف دولٍ شاغلة (Empirical State)، ويُفترض أن تشكّل هذه الدول «بنىً سياسيةً مستقلةً تتمتع بالسلطة والقوة الكافيتين لإدارة أرضٍ محدّدة والسكان الموجودين على هذه الأرض». <sup>(٣)</sup> ولكن عندما يوجد كيان دولةٌ تعترف به الدول الأخرى قانونياً، ولكن لا يستطيع هذا الكيان تأدية وظائف الدولة، فتُسمّى الدولة في تلك الحالة دولةً عدلية «de jure»، وهذا يعني بأنه لا يحقّ لأي دولةٍ أخرى أن تتدخل في شؤون هذه الدولة بدون رضاها.

---

(١) تُصنّف الدول بالاستناد على حالتها ضمن النظام الدولي، وقدراتها الاقتصادية، وقياداتها. وبناءً على هذا، تُصنّف الدول إلى ضعيفة وقوية، وراديكالية ومحافضة، وراعية وعميلة، وحديثة وتقليدية، ومتقدّمة ونامية. انظر:

Kamrava, Mehran, Understanding Comparative Politics: A Framework for Analysis. Routledge, 1996, 72.

(٢) Joel S. Migdal, Strong Societies and Weak States: State - Society Relations and State Capabilities in the Third World (Princeton University Press, 1988), 21.

(٣) R.H. Jackson & C.G. Rosberg, 'Sovereignty and Underdevelopment: Juridical Statehood in the African Crisis'. The Journal of Modern African Studies, vol. 24 (1), 1986, p. 1-31.

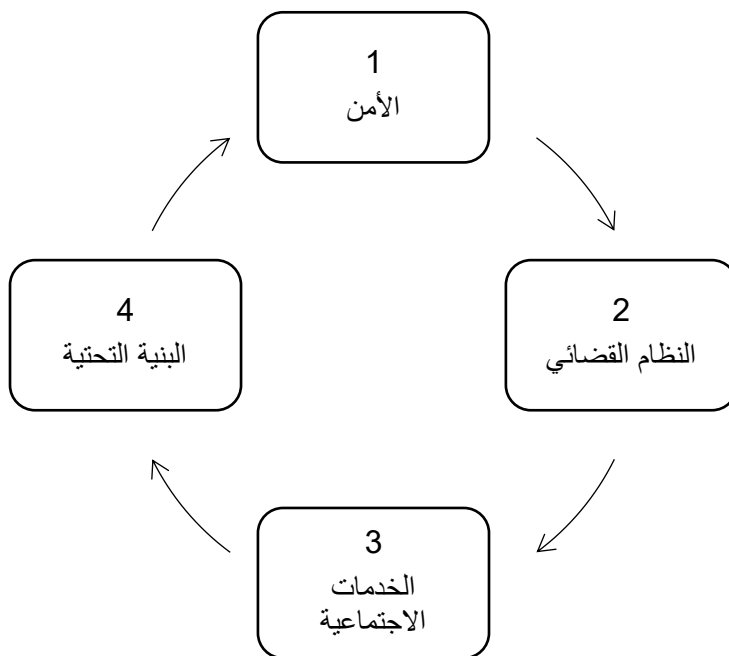
وتُقاس قدرة الدولة بمدى تمكّنها من «التغلغل في المجتمع، وتنظيم العلاقات الاجتماعية، واستخراج المصادر، والاستخدام المناسب لهذه المصادر بطرق محدّدة.»<sup>(١)</sup> وتؤدّي الدول القوية في العادة هذه الوظائف بفعالية عالية على النقيض من الدول الضعيفة التي تؤدّي أداءً هزيباً على صعيد هؤلاء العناصر الأربعة. فيمكن، إذاً، تقدير قدرات الدولة بصورة مقارنةً بالنظر إلى قدرات الحكم الموجودة فيها بالاستناد على هذا التصنيف. والمؤشّر الذي يتمّ تقديره هو أداء الدولة في توفير هذه «الأهداف السياسية» الجوهرية، والتي تقتضي توفير أمنٍ فعّال لمواطنيها وسكانها ضمن حدودها. فيُعدّ صدّ التهديدات الخارجية الآتية من خارج الحدود مسؤولية الدولة بالدرجة الأولى، فضلاً عن الاكتشاف المبكّر والحدّ من التهديدات الداخلية، مثل حركات التمرد، والثوار، وغيرها من الأنشطة التي تقع في دائرة الجريمة، والتي تعرّض حياة الإنسان وممتلكاته للخطر.

ولو نزلنا درجةً ثانيةً على سلم الأهداف السياسية فسنجد مهمة وضع نظامٍ لتحكيم النزاعات وتأسيس نظامٍ قضائيٍّ فعّال يصون القانون والنظام. والدرجة الثالثة على سلم الأهداف السياسية هي توفير الخدمات الاجتماعية الجوهرية مثل التعليم والرعاية الصحية، والمدارس، وحماية البيئة. ويتعيّن على الدول أيضاً توفير بنيةٍ تحتيةٍ أساسية، مثل الطرق والسكك الحديدية، والموانئ. ورابعاً، يجب على الدول توفير وحماية شرايين التجارة، مثل العملة والنظام المصرفي، إضافةً إلى توفير مساحةٍ للمجتمع المدني.<sup>(٢)</sup>

---

(١) Joel S. Migdal, *Strong Societies and Weak States: State - Society Relations and State Capabilities in the Third World* (Princeton: Princeton University press, 1988), 4

(٢) Robert I. Rotberg, *State Failure and State Weakness in a Time of Terror* (The World Peace Foundation: Brookings Institution Press, 2003), 2-4.



جدول رقم (٩): الأهداف السياسية الجوهرية الأربعة في إطار الدولة

\*\*\*



## نظرية قدرات الدولة

عمدت الدراسات التنموية والأمنية إلى وضع الدول عند نقاطٍ مختلفةٍ على خطٍّ استمرارية التنمية وفقاً لقدرتها وأدائها، وتُصنّف الدول وفقاً لموقعها إلى «قوية»، و«ضعيفة»، و«فاشلة» و«منهارة». وتوصف الدول القوية بأنها الدول التي تظهر فعاليةً عاليةً في «التحكم بأراضيها وتآدية شتى الأغراض السياسية بجودةٍ عاليةٍ لمواطنيها»<sup>(١)</sup> ويمكن تلمس هذا الأداء العالي بمؤشراتٍ متفقٍ عليها مثل «نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي، ومؤشر التنمية البشرية الذي وضعه برنامج التطوير التابع للأمم المتحدة، ومؤشر مدركات الفساد الذي تصدره مؤسسة الشفافية الدولية، وتقرير حرية العالم التي تصدره سنوياً مؤسسة دار الحرية»<sup>(٢)</sup> كما تتجلى أيضاً خصائص الحكم الرشيد الثماني في الدول القوية، وهي كما يلي: المشاركة، وتوافق الآراء، والمحاسبة، والاستجابة الشفافة، والفعالية والكفاءة، والمساواة والتضمين، واحترام سيادة القانون. ويضمن الحكم الرشيد تقليل الفساد إلى أدنى مستوى ممكن، واحترام آراء الأقليات، وأن الفئات المستضعفة لها صوتٌ في عملية صناعة القرار. ويجب أيضاً أن يعي الحكم الرشيد احتياجات المجتمع الحالية والمستقبلية.



جدول رقم (١٠): عناصر الحكم الرشيد

(١) Robert I. Rotberg, *Nation – state failure: A recurrence Phenomenon?* (www.cia.gov/nic/PDF\_GIF\_2020\_Support/ 2003\_11\_06\_papers/panel2\_nov6.pdf), 3-5.

(٢) المصدر السابق.

وتُصنّف الدول الضعيفة إلى دولٍ ضعيفة تظهر بوادر تحسن، ودولٍ ضعيفةٍ موعلةٍ في المناحي السلبية سائرةٍ نحو مصير الفشل. وتشمل الدول السائرة نحو مصير الفشل الدول التي قد تكون ضعيفةٍ لعددٍ من الأسباب الموضوعية، فهناك، مثلاً، القيود الجغرافية، والطبيعية، والاقتصادية. وقد يكون الضعف نتيجة عدم وجود تماسكٍ داخليٍّ وغياب نظامٍ وقيادةٍ سياسيين متمكّنين. وتفشل الدول الضعيفة، بصفةٍ عامةٍ، في حلّ المظالم العرقية، والدينية، واللغوية، وغير ذلك من المظاهر التي تتراكم لتؤدي إلى التوترات والصراعات. وتمتلك هذه الدول قدرةً ضعيفةً على توفير الأهداف السياسية الأساسية بالصورة المطلوبة. وتعاني هذه الدول أيضاً بصورةٍ واسعةٍ من تآكل البنية التحتية مثل الطرق، والمدارس، والمستشفيات. كما يمكن تلمس سوء الحال أيضاً بالنظر إلى المؤشّرات المتفق عليها مثل نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي، مقارنةً بتنامي الفساد، وتضاءل سيادة القانون، والتضييق على المجتمع المدني، واستشراء الطغيان.<sup>(١)</sup> وهناك بعض الدول الضعيفة الأوتوقراطية التي تتمتع بمستوياتٍ عاليةٍ من الأمن بالرغم من فشلها في توفير عددٍ كبيرٍ من الأغراض السياسية الأخرى.<sup>(٢)</sup>

ويمكن إيجاد الدول الفاشلة على واحدٍ من طرفي نقيذين، وأولهما هو عندما لا تعود الدولة قادرةً على العمل، وثانيهما هو عندما تصبح الدولة «فعالةً بصورةٍ مفرطة» وتتطفل على الدوائر الخاصة للمواطنين، وتضيّق عليهم باستمرار. ويمكن تصوير هذه الفكرة بضغط الدم العالي والمنخفض، فكلاهما عرضان غير صحيان يتطلّبان وجود علاج. وتُشخص الصورة الأولى من فشل الدولة بقدرتها المحدودة على توفير الأغراض السياسية الأساسية، وتبدأ هذه الدول تدريجياً بفقد السيطرة لصالح أمراء الحروب وغيرهم من الأطراف. وتعاني

---

(١) يمكن إيجاد سرد تفصيلي أكثر بكثير للتعريف والشروحات الجديدة الواردة في هذه الورقة في:

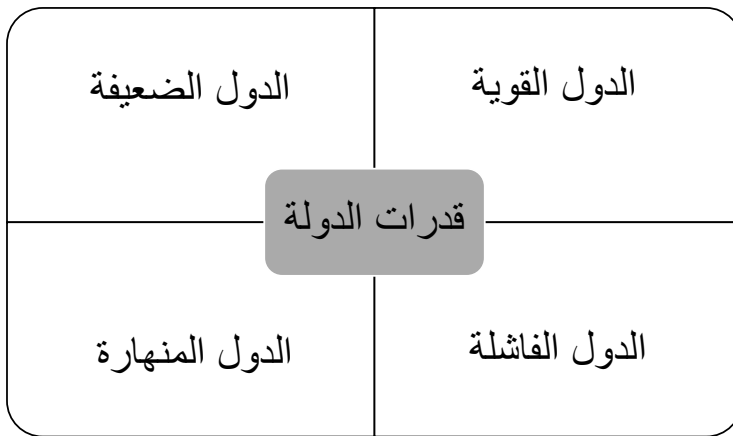
Robert I. Rotberg, —The Failure and Collapse of Nation - States: Breakdown, Prevention, and Repair,|| in Robert I. Rotberg (ed.), *Why States Fail: Causes and Consequences* (Princeton, 2004), 145 - .

(٢) الصومال تحت حكم سيد بري، وكمبوديا تحت حكم بول بوت، والعراق تحت حكم صدام حسين، وليبيا تحت حكم القذافي، وكوريا الشمالية جميعها أمثلة على هذه الحالة.

مؤسّسات الدول الفاشلة من العيوب والشوائب، ولا يكون كيانها السياسي قادراً على تأدية المهام الأساسية للدولة. وتحوّل عادةً سلطتها التشريعية مطيّةً لذراعها التنفيذي القوي، فيما تفقد السلطة القضائية مصداقيتها في أعين المواطنين الذين يختارون سحب ثقتهم من نظام المحاكم ملتفتين إلى أنظمة عدالة محلية لحل مشاكلهم القضائية. ولا تستجيب بيروقراطية الدولة غير المسؤولة في الدول الضعيفة لحاجات العامة التي وضعت في المقام الأول لخدمتهم. وتفقد الدول مسؤوليتها المهنية ويصبح القطاع العام مناخاً خصباً للمكاسب الشخصية. وتتضرّر البنية التحتية في الدول الضعيفة نتيجةً لذلك، وتصبح الخدمات الوطنية مثل الاتصالات، والماء، والكهرباء في حالٍ يُردى لها، فيما تتداعى المرافق الاجتماعية، مثل المدارس والمستشفيات، في ظلّ عدم تجديدها، وهو ما يؤدي إلى انخفاض معدّلات تعلم القراءة والكتابة وتزايد معدّلات وفيات الرضع. وفوق كل هذا، تفشل معظم المشاريع الصناعية بسبب عدم وجود التنافسية ويؤرّق شبح البطالة، نتيجةً لذلك، المجتمع، ويزداد بدوره احتقان المجتمع. ومن ثم تتآكل المزارع وينهار الإنتاج الاقتصادي المحلي. ويؤدي كل هذا إلى حالةٍ عامةٍ من السخط على أداء الدولة، ويفقد السكان الأمل. وينأى المستثمرون الدوليون بأنفسهم عن الوقوع في هذا المستنقع، وتتعاظم معدّلات التضخم، وتفقد العملية المحلية قيمتها. وتتعاون القوات الأمنية مع المجرمين وتجمع الضرائب بطرقٍ غير قانونية. وتتقلّص الطبقة الوسطى وتهاجر. ويضمحل الولاء للدولة ويتبدّد حس الوطنية لصالح ولاءاتٍ داخلية. وتوفّر الدول الفاشلة فرصاً اقتصادية هائلةً لفئةٍ مميّزةٍ مختارة الذين يُغنون أنفسهم عبر الفساد على أسس نظام محسوبية يرفعهم دون غيرهم.

وتُعد الدول المنهارة حالةً متطرّفةً من الدول الفاشلة. وتنهار الدول عندما تنهار بنيتها، وسلطتها السياسية والتشريعية، والنظام والقانون، وتغيب قوةً سياسيةً بديلةً تستطيع ملء هذه الفجوة. ويُرجع فناء الدولة إلى انهيار التماسك الاجتماعي على مستوى واسع، فلا يعود بمقدور المجتمع المدني خلق أو إيجاد الدعم للدولة وتلبية مطالبها وهو ما يُعدّ الأساس التي تقوم عليه أي دولة. وطبعاً لا تنهار الدول بين ليلة وضحاها، وإنما تكون هذه نتائج عملية تراكمية وتدرجية شبيهةً بالأمراض الانحلالية. ولهذا يمكن إصلاح حال الدولة وتغييره

من الفشل إلى الضعف أو القوة شريطة أن يكون التدخل في الوقت المناسب. فلو فقدت الحكومات، مثلاً، القدرة على إنفاذ السلطة التشريعية على جزء من أراضيها الواقعة ضمن نطاقها القانوني، ونتيجةً لذلك تخرج هذه الأراضي من سيطرة جهاز الدولة. ويتبع ذلك إعادة ترتيب المجتمعات لنفسها بناءً على روابطها العرقية والثقافية، وروابط قرابة الدم. ويحكم منطق القوة الجانب الأمني، وهو ما كان حكم العشائر المسلّحة في حالة الصومال. ويتقلّد لاعبون من غير الدولة زمام الأمور، وقد يكون هؤلاء اللاعبون أبناء مجموعةٍ عرقيةٍ معيّنة، أو قد يكون هؤلاء اللاعبون مجموعاتٍ تجاريةٍ شبيهةٍ بالعشائر، أو قد يكونون رموزاً دينية أو شيوخ عشائر، ويحاول هؤلاء إحياء بعض من وظائف الدولة بصورةٍ أو بأخرى. ولكن يتطلب إعادة الدولة إلى حالتها الأصلية دعماً خارجياً قوياً.<sup>(١)</sup>



جدول رقم (١١): تصنيف قدرات الدولة

(١) يمكن أن تتعافى الدول المنهارة وترجع إلى حالة الدولة الفاشلة شريطة استعادة حالة مقبولة من الأمن لإعادة بناء المؤسسات وتعزيز شرعية الدولة التي تمّ إنعاشها. استطاعت لبنان تحقيق ذلك بفضل جهاز الأمن السوري، وطاجكستان بسبب روسيا، وأفغانستان بفعل الغزو الذي قادته الولايات المتحدة، وسيراليون بفضل التدخل البريطاني. وتشهد الصومال حالياً عملية إنعاش بموجب مهمة الاتحاد الأفريقي إلى الصومال (AMISOM). انظر:

Robert I. Rotberg. Nation - state failure: A recurrence Phenomenon?

## نظريات الصراع الاجتماعي

لا تنهار الدول بدون صراع، ويمكن إرجاع أصل هذا النزاع لأسبابٍ أصولية، أو أسبابٍ عملية، أو أسبابٍ ظرفية. وتتمثل الأسباب الأصولية في الظروف المتجذرة طويلة الأمد التي يعود أصلها إلى مرحلة تكوّن الدولة أو المجتمع. ويكون هذا الطيف من الأسباب هي العوامل الموضوعية التي يمكن توظيفها لبدء النزاعات في حال وجود عوامل ذاتية. ويعتمد نطاق الأسباب العملية التي تغذي النزاع وتعمّق خصائصه على حجم وتفاقم الأسباب الأصولية، فيما تلعب الأسباب الظرفية دور آليات قبح الزناد لاندلاع الصراعات الداخلية والاضطرابات الأهلية. وهناك الكثير من المدارس التي تدرس النظريات الثلاث - البدائية، والطبقية، والانتقائية، وتعتبرها السبب الرئيسي للصراعات.

لا يوجد إجماعٌ على تعريف أو توصيف الصراعات بين العلماء. فيُعد الصراع عادةً ظاهرةً اجتماعيةً تنتج من الاختلافات في الظروف الاجتماعية، وقد يكون أيضاً نتيجة تباين المصالح بين طرفين على الأقل (الأفراد، الجماعات، الدول، وغيرها).<sup>(١)</sup> وتبيّن الدراسات التي تناولت جذور النزاع أنواعاً مختلفةً من الصراع. فيعرّف Kich و Mukenge الصراع الأهلي بأنه «خلافٌ بين الأطراف المحليين - الحكومة والجماعات الخاصة - حول قضايا اقتصادية، أو سياسية، أو اجتماعية، أو ثقافية أو أيّ مزيجٍ من هذه القضايا». ووضع المؤلفون في أعمالهم البحثية ثلاثة أطرٍ نظريةٍ لشرح أسباب الصراعات الأهلية: نظرية البدائية، والطبقية، والانتقائية.<sup>(٢)</sup>

تقوم نظرية البدائية على مفهوم هوية الجماعات البدائية، مثل العشائر والعشائر الفرعية

---

(١) Woo Idowu, Citizenship, alienation and conflict in Nigeria, Africa Development, Vol. 24, No. 1/2, 1999, 31-55, 34.

(٢) George Klay and Jr Kieh, —Theories of Conflict and Conflict Resolution, in George Klay Kieh Jr and Ida Rousseau Mukenge (eds), *Zones of Conflict in Africa: Theories and Cases* (Westport, Conn: Praeger, 2002), 3.

والمجموعات العرقية، وتقوم النظرية بأن هوية الفرد الذي ينتمي لهذه الجماعات تُؤكّد معه، أو أن انتماءه لهذه الجماعات يصيغ هويته عبر عمليات سيكولوجية عميقة، ولا يكون فيها للسياسة والمجتمع سوى أثرٌ بسيط. وتقتضي هذه النظرية بأن تغيير هذه الهويات ليس أمراً ممكناً، وأن اختيارات الفرد ترسمها هذه الهويات على مرّ الزمان. ويُستخلص من هذه الفكرة أن ما ينظّم الناس عند اندلاع صراعٍ بين فئات الشعب في بلد عشائري مثل الصومال هو انتماءاتهم البدائية. ويوجد أيضاً، بالاستناد على هذه النظرية، نمطٌ مهيم من العلاقات التي يُلاحظ فيه تحكم مجموعة بالأخرين بالارتكاز على سلطةٍ سياسية أو اقتصادية أو كليهما. ويقدم George Kaly Kieth و Ida Rousseau Mukenge شرحاً وافياً لتوظيفات هذا النمط المهيمن في سياق الدول القومية في حقبة ما بعد الاستعمار. ويمكن اعتبار حالة الصومال، على وجه الخصوص، حالةً كلاسيكية، حيث هيمنت عشائر معيّنة على السلطة السياسية وموضعت نفسها في مراكز مكنتها من كسب امتيازات اقتصادية. وكانت أحد نتائج ذلك هي قيام النخب التي تنحدر من عشائر مهمشة (مدنية/ عسكرية) بتشكيل حركات تمردٍ مسلّحة. <sup>(١)</sup> ووفقاً لدراسة أصدرها البنك الدولي، فإن «جميع الصراعات المسلّحة في الصومال المعاصرة، مع وجود بعض الاستثناءات القليلة، كانت تندلع في سياقاتٍ عشائرية. فالهويات العشائرية هي هوياتٌ مُطوّعة ويمكن للقادة صياغتها بما يتناسب مع سعيهم للتحكم بالموارد والسلطة. وهويات العشائر هي ليست أساس الصراع، وإنما يُرجع الصراع إلى تلاعبٍ وإعٍ من شأنه خلق وتعميق الانقسامات. ومن ثمّ يمكن للمجموعات العشائرية أن تكون قوى تدميرية أو قوى بناءة، وكذلك الأمر بالنسبة للوسطاء التقليديين في الصراعات.» <sup>(٢)</sup>

---

(١) George Kaly Kieth, and Ida Rousseau Mukenge, *Zones of Conflict in Africa: Theories and Cases*. (Praeger, 2002), 10.

(٢) The World Bank, "Conflict in Somalia: Drivers and dynamics", January, 2005, 15.

متاح على الرابط:

تقوم نظرية الطبقة على وجود نسق اقتصادي يحكم عملية الإنتاج في كل مجتمع، ويؤسس كل فرد من أفراد المجتمع علاقته بنسق الإنتاج هذا، وينتمي النسق المذكور إلى الطبقة المالكة أو إلى طبقة ثانوية. وطبقاً للنظرية الماركسية، فإن جميع الصراعات تنبثق من نزاعات مبنية على الطبقات ويهدف إلى تملك نسق الإنتاج، وترى النظرية الماركسية أيضاً بأن الطبقة الرأسمالية لن ترضى أبداً بالتخلي عن موقعها الوجيه على رأس ملكية أنساق الإنتاج. وبهذا، فإن الطبقة الرأسمالية تملك القدرة على التأثير على حياة الشعب وإنتاج صراعات لا يمكن حلها بينهم وبين الطبقة العاملة. وتتحكم هذه الطبقة الرأسمالية بالوسائل الرئيسية للإنتاج وتحدد نسب تخصيص وتوزيع المصادر والأجور. ويؤدي هذا إلى استغلال الطبقة العاملة على يد الطبقة الرأسمالية وهو ما يقود بالضرورة إلى خلق صراع طبقي. ولكن اندلاع الصراع الفعلي يشترط تحقق عدد من الشروط، وأولها هو وجود وعي متنامي بالاستغلال والقدرة على تنظيم حركة أو حزب سياسي لكي يكون بالإمكان قذح شرارة النزاع الطبقي.<sup>(١)</sup> ولا تجد في الصومال تحليلاً وافياً للصراعات الطبقة بصفته محرك الصراعات، ولكن تُظهر بعض الدراسات التي صدرت مؤخراً وجود صراع من هذا النوع في بعض الأماكن، فيقول Alex de Waal:

«يجب أن نطوّر تحليلاً طبقياً لأصل ونمو الأزمة، التي كان محورها هو نمو العلاقات الرأسمالية تحت رعاية الدولة في كل من قطاعات الزراعة والرعي. والدور الرئيسي الذي لعبه التحكم بجهاز الدولة في السماح في تراكم رأس المال في شرائح معينة من الطبقة الرأسمالية في الثمانينات.»<sup>(١)</sup>

وتقع النظرية الانتقائية بين النظريات البدائية والطبقية، وترى بأن الصراع هو نتيجة التقاء

---

<http://siteresources.worldbank.org/INTSOMALIA/Resources/conflictinsomalia.pdf>.

(١) Jack A. Goldstone, *Revolutions: A Very Short Introduction* (Oxford University Press, 2014), 16-25.

عددٍ من العوامل الثقافية، والاقتصادية، والتاريخية، والسياسية، والاجتماعية وهكذا. وترى النظرية بأن ليس هناك عاملٌ أو متغيّر واحدٌ كافٍ لشرح تعقيدات الحروب الأهلية. أي أن هناك أسباباً عديدةً متشعبةً فيما بينها تحرك الصراعات، بحيث تعزّز كلٌّ من هذه الأسباب بعضها البعض. فالفقر، على سبيل المثال، أصله هو الفروق الفردية والإقليمية، والقمع، والتعدي على حقوق الإنسان، وتركز السلطة في المركز السياسي، واستعداد الدول المجاورة لإعطاء دعمهم للقوى المعارضة في بلدٍ ما، وتلعب كل هذه العوامل دورها. ويتحمّ استخدام عددٍ من الوسائل لحلّ النزاعات، مثل صناعة السلام القائم على المفاوضات والتوسط، أو صناعة السلام باستخدام القوة العسكرية، والإشراف على السلام والمساعدات الإنسانية، أو فرض السلام بطرقٍ تشتمل على إكراه أطرافٍ نزاعٍ ما على الالتزام.

\*\*\*

## نظرية العصبية لابن خلدون

تجيب نظرية العصبية التي وضعها ابن خلدون على الأسئلة الثلاثة الرئيسية المتعلقة بالصراع الاجتماعي. وتشرح هذه النظرية، أسوةً بنظرية البدائية التي تتناول الصراعات الاجتماعية، أصل النزاعات، ولكنها تقدّم أيضاً فهماً شاملاً لمعادلات الصراع في المجتمعات القبلية. فتبيّن نظرية العصبية كيف تتطوّر الصراعات في المجتمعات القبلية الرعوية، وماذا يحدث بعد احتلال هذه القوى للمراكز الحضرية، وكيف يمكن تلطيف ثقافتهم التدميرية. وكانت هذه النظرية ثمرة دراساتٍ تجريبيةٍ لدورة نهوض وسقوط الدول الوسطى في شمال أفريقيا في القرن الرابع عشر. فكانت المقدّمة لكتاب «العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر» التي ألفها ابن خلدون، والتي تعمّق في دراسة العلاقات بين الحضارات والشعوب البدوية. وكانت المجتمعات التي درسها ابن خلدون مجتمعاتٍ تألّفت من عشائر وقبائل، وكان دينهم هو الإسلام. ولهذا ربما يكون لهذه النظرة صلةً ما في مجتمعاتٍ مشابهةٍ مثل الصومال. وتشتمل هذه النظرية على بعض الأفكار المشتركة مع نظرية البدائية حول الصراع، ولكنها تقدّم في نفس الوقت



شرحاً أعمق على صعيد بيان سلوك البدو بعد احتلالهم للمراكز المتمدّنة وصعوبات إقامة الدولة من جديد نظراً لأن البدو لا يستطيعون الاجتماع على قيادة واحدة وهو ما يطيل أمد النزاع. ولهذا ربما تكون الصومال النموذج الأمثل لتجلي نظرية العصبية على أرض الواقع وقت انهيار الدولة في عام ١٩٩١ م والحرب الأهلية التي امتدت لأكثر من ثلاثة عقود.

ويُميّز Rosenthal، الذي ترجم المقدمة لكتاب العبر الذي ألفه ابن خلدون إلى اللغة الإنجليزية، الفرق بين البدوية والحضارة، فيقول Rosenthal بأن البدوية تُعرّف بأنها بساطة الحياة، والشجاعة، والعنف، والقوة الضاربة. أما الحضارة فتُعرّف بأنها حياة الحضرية التي تتضمن فيها هذه السمات الطبيعية بصورة تدريجية لصالح رغبة في إيجاد السلام، والأمن، واليسر، والرفاهية، والمتعة.<sup>(١)</sup> يُشتق مصطلح العصبية من جذره الصرفي عَصَب (وهو ربط الأفراد برباط جماعة).<sup>(٢)</sup> ويرى محمد الجابري بأن العصبية «هي تكافل سوسيوسايكولوجي واع وغير واع في نفس الوقت، ويربط هذا التكافل أفراد جماعة من الناس تجمعهم صلة مشتركة (وغالباً تكون هذه الصلة هي قرابة الدم) على نحو مستمر، وتظهر هذه الرابطة وتقوى عند وجود تهديد مشترك لهذه الجماعة والأفراد.»<sup>(٣)</sup> ويقدم ابن خلدون دلالة للعصبية، فيقول بأنها «ببساطة قوة اجتماعية تمنح قوة المواجهة، سواء أكانت هذه المواجهة مواجهة طلب [أي مطالب سياسية] أو رد [للخطر].»<sup>(٤)</sup> ويحتاج الجابري أيضاً بأن القوة الدافعة التي تربط

---

(١) Alex de Waal, Class and Power in a Stateless Somalia A Discussion Paper, August 1996, 1. Available from [http://justiceafrica.org/wp-content/uploads/2014/03/De-Waal\\_ClassandPowerinSomalia.pdf](http://justiceafrica.org/wp-content/uploads/2014/03/De-Waal_ClassandPowerinSomalia.pdf).

(٢) Ervin Rosenthal, *Political Thought in Medieval Islam* (Cambridge University Press, 1962), 90.

(٣) ارجع إلى التدليل القرآني لكلمة العصب في المواضع التالية: سورة يوسف: ٨، وسورة يوسف: ١٤، وسورة النور: ١١ وسورة القصص: ٧٦

(٤) Mohammed Abidi Jabiri, *Fikr Ibn – Khaldun: Al – Asabiyatu wa Dawlah* (Dar al - Nashr al - Maghribiyah, no date), 254.

هؤلاء البدو هي «العامل الاقتصادي». فبنيتهم السياسية البدائية بعيدة عن التسلسل الهرمي والطبقية، وهذان العنصران عنصران قياسيَّان في عديد الدول البيروقراطية الحديثة. ولهذا تتباين الدولة البدوية التقليدية عن المفهوم الحديث للدولة.

سنرسم، في هذا الفصل، تصورين لنظرية العصبية يمسّان الموضوع الذي نحاول دراسته، إضافةً إلى عاملي البدائية والبدوية. ويقدم التصور الأول جواباً يشرح سلوك البدو عند احتلالهم المدن الحضرية. ويقضي هذا التصور بأن «المباني التي كانت تختطها العرب [البدو] يسرع إليها الخراب»<sup>(١)</sup> ويعني هذا بأن البدو يحتلون المراكز الحضرية، التي تقوم طريقة حياتها على البيوت والمباني الفاخرة، وهو أسلوب حياة مختلف عما كان اعتادوا عليه، فيستغل البدو العناصر المادية الموجودة في المدن لإثراء طريقة الحياة التي عاشوا عليها. فلا يتروّع البدو عن سطو ونهب ممتلكات الآخرين، ولا يقدّرون الحرفيين، ولا يحترمون القوانين أو يلتزمون بها، ولا يقدّرون الحياة البشرية. ونادراً ما يتفقون على قائد واحد، فكل واحد فيهم يحاول تقديم نفسه إلى مركز القيادة، ولهذا يعيشون في حالة مستمرة من النزاع. ولهذا تتابع دورة نهوض الحضارات وسقوطها في الأماكن التي تسقط في يد البدو.

ويتعرّض التصور الثاني لكيفية إصلاح سلوك البدو التدميري وتلطيفه. وتؤسّس هذه النظرية لعدم إمكانية إضعاف العصبية بدون تدخل المعايير الدينية الأخلاقية التي تهذب وحشيتها وضراوتها بقيم كونية. فكتب ابن خلدون في محاولته لإجابة هذا السؤال: «أن العرب لا يحصل لهم الملك إلا بصبغة دينية من نبوة أو ولاية أو أثر عظيم من الدين على الجملة»<sup>(٢)</sup> ويستطرد ابن خلدون في شرحه لهذا المفهوم، فيقول:

---

(١) المصدر السابق، صفحة ٢٥٧

(٢) Ibn - Khaldun, *The Muqaddimah: An Introduction to History* (Princeton University Press, 1980), 302.

«فإذا كان الدين بالنبوة أو الولاية كان الوازع لهم من أنفسهم وذهب خلق الكبر والمنافسة منهم فسهل انقيادهم واجتماعهم.»<sup>(١)</sup>

ويقضي هذا التصور بأن أفعال الشر ليست في طبيعة البدو، وإنما نتاجاً محدداً بيئتهم، والحل الوحيد الذي يحدّ وحشية البدو هي عبر الدين، وهو ما يقدم منظوراً جديداً ترافقه الروحانية اللازمة لتوسيع نزعات العصبية. فإحلال منظورٍ كونيٍّ، وحسٍّ بالأخوة البشرية، والمساواة، وقيمة الحياة البشرية، وغير ذلك هي الوسائل الوحيدة لتهذيب وحشية البدو وفقاً لابن خلدون. ولو كان لنا أن نأخذ العصبية من تعريفها التاريخي الضيق، فيمكن فهم هذا المبدأ بصورة عامة على أنه منظّمة وثيقة الرباط تتمحور حول دافعٍ أيديولوجيٍّ قوي يركّز على إدراك غايةٍ مشتركة مثل إدراك التفوق السياسي أو الحصول على مكتسباتٍ اقتصادية. وهناك ثلاث عصبياتٍ (ولاءات) يمكن تمييزها في السياق الصومالي، وهي محور العشيرة (العشائرية)، والقومية، ومحور الدين (الإسلامية).<sup>(٢)</sup> وينصهر محورا الدين والعصبية القومية عادةً عند الحاجة لمقاومة وردّ شرّ أعداءٍ خارجيين، أما عصبية العشيرة فتسبّب غالباً الشقاق والضعف الداخلي، والصراع، وربما الحروب الأهلية. إلا أن هذه العصبيات ليست معزولةً عن بعضها البعض مكانياً وزمانياً، فهي تتقاطع في بعض الأوقات لتخلق حالةً من التكافل الاجتماعي المتين. ولكن لا بد من إيجاد الزعيم المناسب لخلق هذا التكافل، ويجب أن يكون الزعيم فوق كل غيره من القادة، أما الزعيم الأعلى (أي رئيس الدولة) فيجب أن يُظهر الألفة، والعطف، ويصون العدل بين العشائر التي تتساوى فيما بينها (المواطنة). ولكن إن قام الزعيم، في المقابل، بتفضيل نسلٍ معيّن وحاول استخدامه لإعلاء سلطته، فهو سيستفزّ العصبيات الفرعية في العشائر المهمّشة التي ستثور وتبدأ بتنظيم حركات التمرد على نحوٍ عشائري. ويصف هذا السيناريو ما حصل تماماً في الصومال خلال حكم النظام العسكري في

(١) نفس المصدر، ٣٠٥

(٢) نفس المصدر.

الثمانينات عندما بدأت الفصائل المسلحة بالتشكل للردّ على الحكومة التي تمحورت حول العشائر التي احتكرت السلطة والثروة المشتركة بين المواطنين جميعاً.

وتشرح نظرية العصبية أيضاً سلوك البدو بعد أخذهم للمدن والمجتمعات المستوطنة التي تضعف فيها روابط السلطات العسكرية، والتي لا توجد فيها أي سلطاتٍ مقيّدة. وهو ما حصل في الصومال، فلم تتورّع الميليشيات العشائرية عن تدمير أي شيء سواءً أكان ملكاً عاماً أم خاصاً، فنهبت واستبيحت البلدات، ولم ينجُ أي شيءٍ من الدمار. ويكتب ابن خلدون واصفاً السلوك البدوي: «فنهب ما يحوزه غيرهم من الناس هو جزءٌ من طبيعتهم... فلا يردعهم أي حدٍّ عن أخذ ممتلكات غيرهم من الناس.»<sup>(١)</sup> ويقول ابن خلدون أيضاً: «وأيضاً فهم [أي العرب] متنافسون في الرئاسة وقلّ أن يسلم أحدٌ منهم الأمر لغيره ولو كان أباه أو أخاه أو كبير عشيرته.»<sup>(٢)</sup>

### نظرية العصبية لابن خلدون

١. تجمع العصبية أفراد جماعةٍ من الناس يوجد فيما بينهم رابطةً معيّنة، وعلى الغالب تكون هذه الرابطة هي رابطة الدم.
٢. يكون الخراب مصير الحضارات التي تقع في بد البدو.
٣. نادراً ما يجتمع البدو على قائدٍ واحدٍ، فكلّ واحدٍ منهم يميني النفس بأن يختصّ بالزعامة لنفسه.

(١) يدرس المؤلّف في أطروحة الماجستير الذي قدّمها تفاعلات هذه الانتماءات في سياق الثقافة السياسية الصومالية وكيف يكون لها أن تصيغ نظرتهم للعالم مع التطرق لأزمة الانتماءات. انظر:

Abdurahman Abdullahi, Tribalism, Nationalism and Islam: The Crisis of political Loyalties in Somalia, MA thesis submitted to the Islamic institute, McGill University, 1992.

(٢) Lineage segmentation and civil war (www.country - study, Somalia.com/Somalia).

٤. القوة الدافعة للبدو هي «العامل الاقتصادي» بصورة أساسية
٥. الدين فقط هو ما يهذب الكبر والتنافس والسمات السلبية في البدو (وهو الإسلام في السياق الصومالي).

#### جدول رقم (١٢): ملخص لنظرية العصبية لابن خلدون

قياساً على المرتكزات النظرية لقدرات الدولة، يمكن القول بأن الدولة الصومالية كانت تقع تحت فئة الدول الضعيفة خلال فترتها التكوينية في الخمسينات وما بعد الاستقلال. وكان الخيار ممكناً للقادة السياسيين لتوجيه الدولة إلى منحى أكثر إيجابية على صعيد القوة، أو تحويلها إلى مثال على دولة فاشلة، وهو ما كان للأسف مع بداية ونهاية كل دورة في ظل غياب نظام سياسي رصين، وقيادة كفؤة. ووصلت الدولة في الثمانينات إلى نقطة لم تعد عندها قدرة على تأدية وظائفها وصارت ساحة للحروب الداخلية التي تورط فيها عدد من المجموعات المسلحة. ومما يُعرف بأن الدول لا تنهار بدون وجود صراع، ولهذا قمنا بتلخيص نظرية الصراع وسياقاته التي تضم البدائية، والطبقية، والانتقائية.

\*\*\*

### أراء حول انهيار الدولة الصومالية

نتقل الآن، وقد تطرقنا لنظريات قدرات الدولة والصراعات، إلى محاولة الغوص في طبيعة الصراع الذي أدى إلى انهيار الدولة الصومالية والتي انتكست بصورة تدريجية من حالة الدولة الضعيفة في ١٩٦٠م إلى دولة فاشلة في الثمانينات، لتصل أخيراً إلى نقطة الانكسار عام ١٩٩١م. بدراستنا لنظريات الصراع الاجتماعي، فضّلت هذه الورقة النظرية الانتقائية على حساب شرح يركز على عامل واحد، أي أن الاعتقاد هو أن الصراعات هي مصبّ التقاء عدد من عوامل عديدة. وتشدد أيضاً نظرية العصبية لابن خلدون على دور الارتباطات البدائية كأحد الأدوات المؤدية للصراع. كما تبين النظرية حالة عدم الاستقرار المتكررة في الدول القائمة على العشائر ودورة نهوضها وسقوطها. وستتناول الآن عدداً متنوعاً من الآراء

التي حاولت استدراك انهيار الدولة الصومالية، وستُصنّف هذه الآراء وفقاً لنقاط تركيزها في محاولة لبناء نموذج شاملٍ يربط بين جميع الأسباب. ونظر العلماء إلى انهيار دولة الصومال من زوايا مختلفة بما يتسق مع مدارسهم الفكرية والمواضيع التي كانوا يحاولون تناولها. وتشتمل هذه الزوايا على أثر الحرب الباردة، وشحّ المساعدات الخارجية، والطموحات الحدودية الصومالية والحرب مع أثيوبيا، والبدائية، وقصور الموارد، والانحلال الأخلاقي والعوامل الانتقائية. ولا تركز دراستنا التسلسلية على معيارٍ بحدّ ذاته، فسنحلّل هذه الزوايا بالتساوي قبل رسم استنتاجاتنا النهائية.

\*\*\*

## أثر الحرب الباردة وشحّ المساعدات الخارجية

تقع الصومال في إقليمٍ استراتيجي هو قرن أفريقيا، وهي منطقة استقطبت، على امتداد التاريخ، صراعاتٍ بين القوى العالمية.<sup>(١)</sup> وتحول الموقع الجغرافي الاستراتيجي للصومال من نعمة إلى نقمة على الصومال بإغرائه لعددٍ من القوى الاستعمارية والعداوات التي سادت الحرب الباردة.<sup>(٢)</sup> فبعد استقلال دولة الصومال عام ١٩٦٠م، كانت الصومال مسرحاً تنافست فيه الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي، وأبان الصراع عن فوز الاتحاد السوفيتي عندما وقّعت دولة الصومال، في خطوة متسرّعة، اتفاقيةً عسكرية بقيمة ٣٠ مليون دولار في عام ١٩٦٣م،<sup>(٣)</sup> بعد أن قدّم الاتحاد السوفيتي عرضاً تفوّق على عرض الغرب، إذ وافق الاتحاد

---

(١) يبلغ طول الخط الساحلي الصومالي ٣٠٢٥ كم، وهو الأطول في الأرض الأفريقية والشرق الأوسط. وتمرّ عبر مياهه الإقليمية سنوياً ما يزيد عن ٣٣ ألف سفينة تجارية. وتحمل هذه السفن ما يصل إلى ٢٦٪ من حجم تجارة النفط، و١٤ - ١٥٪ من حجم التجارة الدولية بتكلفة تصل إلى ٨, ١ مليار دولار سنوياً.

(٢) Abdurahman Abdullahi, —Perspectives on the State Collapse in Somalia, in Somalia at the Crossroads: Challenges and Perspectives in Reconstituting a Failed State, ed. Abdullahi A. Osman and Issaka K. Soure, London: Adonis & Abbey Publishers Ltd., 2007.

(٣) S. Chirumamilla, U.S intervention in the Horn: Revisiting Ethiopia Somalia dispute, 2011, 189

السوفيتي على التكفل بتوسيع الجيش الصومالي من ٤٠٠٠ مقاتل إلى ٢٠ ألفاً، مقارنةً بعرض الولايات المتحدة وحلفائها في حزب الناتو الذين وعدو الصومال بتقديم معوناتٍ عسكرية بقيمة ١٠ ملايين دولار وتدريب جيشٍ بـ ٥٠٠٠ - ٦٠٠٠. وتضخّم النفوذ السوفيتي منذ ذلك الوقت بصورةٍ مضطّرة في الصومال، وتحديداً بعدما أسقط الجنرال محمد سياد بري الحكومة المدنية عام ١٩٦٩م، وتبنّى الاشتراكية، ووقّع معاهدة صداقة مع الاتحاد السوفيتي.<sup>(١)</sup> ولكن أنهت الصومال التعاون مع الاتحاد السوفيتي، وذلك خلال الحرب بين الصومال وأثيوبيا عامي ١٩٧٧ - ١٩٧٨م، وعرضت واشنطن على الصومال معوناتٍ عسكرية واقتصادية في سبيل موازنة الدعم السوفيتي والكوبي لأثيوبيا. ويُقدّر حجم المعونات العسكرية التي قدّمتها واشنطن لمقديشو بـ ٥٠٠ مليون دولار في الثمانينات. ولكن تغيّرت سياسات المعونات الخارجية بصورةٍ جذرية إبان انهيار الاتحاد السوفيتي عام ١٩٩٠م وانتهاء الحرب الباردة، وفقد الصومال ميزة «المغناطيس الاستراتيجي»<sup>(٢)</sup> التي عرف بها في السبعينات، فضلاً عن عدم حاجة الولايات المتحدة للتحالف مع الصومال

---

متاح على الرابط:

[http://shodhganga.inflibnet.ac.in/bitstream/10603/1861/13/13\\_c\\_hapter6.pdf](http://shodhganga.inflibnet.ac.in/bitstream/10603/1861/13/13_c_hapter6.pdf)

(تم الوصول بتاريخ ٣١ يناير ٢٠١٧).

(١) تم توقيع اتفاقية الصداقة بين الصومال والسوفييت في عام ١٩٧٤م، وفُسخَت الاتفاقية بتاريخ ١٣ نوفمبر ١٩٧٧م في ظلّ قرار الاتحاد السوفيتي بالتعاون مع أثيوبيا خلال الحرب. وترتّب على ذلك الطلب من المستشارين العسكريين والمدنيين القادمين من الاتحاد السوفيتي والمقيمين في الصومال مغادرة الأراضي الصومالية في ظرف أسبوع، وتم فوراً سحب جميع المرافق العسكرية التي تم منحها للاتحاد السوفيتي في الصومال. انظر:

<http://web.stanford.edu/group/tomzgroup/pmwiki/uploads/2069-1978-KS-a-LIZ.pdf> (accessed on February 2, 2017).

(٢) J. Bowyer Bell, *The Horn of Africa: Strategic Magnet in the Seventies* (New York: Crane, Russak 1973)

بانتهاة الحرب الباردة. فسُحِبَت المساعدات من نظام بري الذي ضعف وسقط بسهولة على يد حركات التمرد المسلحة.<sup>(١)</sup>

وركّز عددٌ من العلماء على الحرب الباردة وسحب المساعدات الخارجية على أساس أنهما العاملان الرئيسيان وراء انهيار الدولة، وكان من هؤلاء العلماء Terrence Lyons وWalter S. Clarke وRobert Gosende، وأحمد سمتر، وKen Menkhaus وJohn Prendergast. فتربط Lyons، على سبيل المثال، بين انهيار الدولة الصومالية وسحب المساعدات الخارجية وتنامي المطالب المحلية لتأدية أغراضٍ سياسية أفضل. وتُشير Lyons إلى أن الدولة الصومالية انهارت عندما «تم سحب الدعم الخارجي فيما زادت المطالب المجتمعية بتحقيق تقدمٍ اقتصادي وتحسين الحكم».<sup>(٢)</sup> ويتفق Walter Clarke وRobert Gosende مع Terrence Lyons في إرجاع الفشل إلى جذب المساعدات الخارجية، ولكنهما لا يرايان بأن هذا العامل كان العامل الوحيد، فوفقاً لكتابات العالمين: «قد يكون فشل الصومال له علاقةٌ جزئيةٌ فقط بانتهاء الحرب الباردة».<sup>(٣)</sup> أما أحمد سمتر فيرى بأن الانهيار كان نتاج أعباءٍ ثلاثة تتضمن الهزيمة في الحرب، والأداء الاقتصادي المنخفض

---

(١) Alena Hrušková, Comparison of US Foreign Aid Towards Somalia During and After the Cold War, 33.

متاح على الرابط:

[http://www.unob.cz/eam/Documents/Archiv/EaM\\_1\\_2014/Hruskova.pdf](http://www.unob.cz/eam/Documents/Archiv/EaM_1_2014/Hruskova.pdf)

(تم الوصول بتاريخ ٢ فبراير ٢٠١٧).

(٢) Terrence Lyons and Ahmed Samatar, Somalia: State Collapse, Multilateral intervention, and Strategies for Political Reconstruction (Washington: The Brookings Institution Occasional Paper, 1995), 1

(٣) Walter S. Clarke and Robert Gosende, —Somalia: Can a Collapsed State Reconstitute itself? In Robert I. Rotberg (ed.), State Failure and State Weakness in a Time of Terror (Washington: Brookings Institution Press, 2000), 129-158.



(معاونات/ داخلي). فيشير أحمد: «صارت السياسات الداخلية هي محور المشهد السياسي في الصومال في ظل هذا العبء الثلاثي الذي تمثل في الهزيمة في الحرب وما رفقها من إهانة، واقتصاد متدهور، وغياب رعاية قوة عظمى. فصار التركيز الشعبي على النظام وعلى الدولة التي وجدت نفسها غارقة في مناخ متوتر ومشدود.»<sup>(١)</sup>

ويستطرد Ken Menkhaus أكثر، ويبدو بأنه يشدد بصورة أكبر على عامل المساعدات الخارجية، فيقول: «ربما تنطوي الادعاءات التي تؤكد بأن الدولة الصومالية صنعتها المساعدات الخارجية على شيء من المغالاة، ولكن لا يمكن الإنكار بأن الدولة لم تكن يوماً ما قريبة حتى من تسيير ذاتها بالاعتماد على مصادر دخلها المحلي. فحتى منذ الخمسينات، كان المراقبون قلقين من أن خيار إقامة دولة صومالية مستقلة لن يكون خياراً معقولاً من المنظور الاقتصادي.»<sup>(٢)</sup> ويستطرد Ken Menkhaus و John Prendergast أكثر من ذلك، فيكتبان: «لم يكن هناك، وعلى امتداد التاريخ الصومالي، أيّ تركّزاتٍ مستدامةٍ يمكن لسلطة دولة مركزية قائمة بحد ذاتها أن تقوم عليها. فقد مؤّلت الدولة الصومالية في الماضي بصورة شبه كاملة بمعوناتٍ خارجية ساقطتها معادلات الحرب الباردة، وهو ما أدّى إلى بنية مضخّمة وصناعية انهارت بمجرد تجميد هذه المعونات في نهاية الثمانينات.»<sup>(٣)</sup>

\*\*\*

---

(١) Ahmed Samatar, —The Curse of Allah: Civic Disembowelment and the collapse of the State in Somalia|| in Ahmed Samatar (ed.), The Somali Challenge: From Catastrophe to Renewal? (Lynne Rienner Publishers, 1994), 117.

(٢) Ken Menkhaus, —US Foreign Assistance Somalia: Phoenix from the Ashes?|| Middle Eastern Policy, 1:5, 1997, 126

(٣) Ken Menkhaus and John Prendergast, —Governance and Economic Survival in Post-intervention Somalia|| in CSIS Africa Note, No.172 (May 1995).

## سياسات الصومال الكبير والحرب مع أثيوبيا

تتأصل سياسة الصومال الكبير في حقيقة تاريخية تقضي بأن الصوماليين ورثوا أقاليم القرن الأفريقي بعد احتلاله وتقسيمه بين القوى الخارجية الأربع خلال فترة التناحر الأوروبي على أفريقيا. وتشبّع القوميون الصوماليين فكرة الصومال الكبير وقد وجدوا لها صدىً في خطة Bevin، وتقوم الفكرة على رؤية إعادة توحيد شعب الصومال الذي يقطن خمسة أقاليم مختلفة، وهو ما ترمز إليه النجمة البيضاء التي تزيّن علم دولة الصومال. وتوحد إقليمان من هذه الأقاليم هما الإقليم الصومالي الذي تحكمه إيطاليا تحت وصاية أممية، والصومال البريطاني لتتشكّل جمهورية الصومال عام ١٩٦٠م. أما «الأقاليم المفقودة» فهي المناطق الصومالية الواقعة حالياً في جمهورية جيبوتي، والإقليم الصومالي الخامس هو الولاية الصومالية في أثيوبيا، والمقاطعة الحدودية الشمالية (NFD) في كينيا. وتمّ تحريض دولة الصومال، والتلاعب بها، وجرّها إلى معادلات الحرب الباردة تحت إغراءات حلم الصومال الكبير على يد القوتين الكبيرتين التي كانتا تتصارعان على بسط نفوذهما في إقليم قرن أفريقيا الاستراتيجي. ويرى الكثير من العلماء بأن الصومال كانت «مطية» في الحرب الباردة، فشكّلت مسرحاً للصراع على النفوذ العالمي بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتي.<sup>(١)</sup> فاستمليت الصومال تحت إغراءات المساعدات العسكرية لكي تستطيع إشباع طموحاتها بإقامة دولة الصومال الكبير. وأذكت هذه البيئة العدوانية مع جيرانها نيران حربين مختلفين مع أثيوبيا، كانت أولاهما عام ١٩٦٤م، والثانية كانت في ١٩٧٧ - ١٩٧٨م. وتحوّلت الحرب الثانية إلى مسرح دولي كاد أن يُسفر عن حربٍ دولية واسعة النطاق، وانتهت بتكبّد الصومال هزيمة كارثية، مخلفة عواقب وخيمة على الاستقرار في قرن أفريقيا.<sup>(٢)</sup>

(١) John T. Fishel, Civil Military Operations in the New World (Praeger, 1997), 189

(٢) Joseph K. Nkaisserry, The Ogaden War: An Analysis of Its Causes and Its Impact on Regional Peace and on the Horn of Africa. USAWC Strategic Research Project, US Army War College Carlisle Barracks, Pennsylvania, 1997. Available from file:///C:/

وكانت سياسات الصومال الكبير والحرب مع أثيوبيا العامل الرئيسي لانهيار دولة الصومال، وكان هذا محور دراسات Terrence Lyons و Jeffrey A. Lefebvre، و Peter Woodward. فتشدد Lyons، مرةً أخرى، على الظروف التاريخية لأسباب الانهيار، وتشير إلى أن الطموحات الصومالية القومية بالوحدة ورفض جيرانها للتخلي عن الأراضي المتنازع عليها في ظلّ تباينٍ في تصورات الدولة والإقليم وبين التصورات الثقافية. فكتب Lyons:

«الفكرة هنا هي أن [القومية] هي أيديولوجية، وحرّضت هذه الأيديولوجية القادة في مقديشو على رسم سياساتٍ خارجيةٍ كانت في جوهرها إذكاءً لنار الصراعات مع الدول المجاورة التي كان لها آراءٌ أخرى بخصوص الأقاليم الصومالية الموروثة. فتصادم مبدأ الصومال الكبير مع إصرار أثيوبيا، وكينيا، وجيبوتي على صون مبدأ سلامة الأراضي وقداسية الحدود الاستعمارية. فكانت تلك الدول على استعدادٍ للدفاع عن هذه المبادئ باستخدام القوة إذا لزم الأمر.»<sup>(١)</sup>

وصاغ Jeffrey A. Lefebvre ملاحظاتٍ أكثر دقة، فكتب: «ولعل هناك شيءٌ من السخرية في أن هلاك سياد بري وانحلال الدولة الصومالية لم يكن مجرد نتاج سياسات العشائر، وإنما يُرجع أيضاً، في جزءٍ منه، إلى سياسات الصومال الخارجية التي تمحورت حول الوحدة، وبصورةٍ رئيسية السياسات التي مسّت أثيوبيا.»<sup>(٢)</sup> وفي المقابل، يربط

---

Users/Abdurahman/Downloads/ADA326941%20(1).pdf (accessed on February 2, 2017)

(١) Terrence Lyons. —Crises on Multiple Levels: Somalia and the Horn of Africa in Ahmed Samatar (ed.), The Somali Challenge: From Catastrophe to Renewal? (Lynne Rienner Publishers, 1994), 193

(٢) Jeffrey A. Lefebvre, —The US Military in Somalia: A hidden Agenda? Middle Eastern Policy, 1:2 (1993), 47.

Peter Woodward بين فشل الدولة والعوامل المحلية ويرى بأن الحدود المفتوحة كانت جزءاً من المشكلة، فيقول: «صحيح أن دمار دولة الصومال التي تشكلت عام ١٩٦٠م كان نتيجة لعوامل محلية بصورة رئيسية، ولكن مشكلة انفتاح الحدود كان لها يدٌ في ذلك.» وينظر Woodward أيضاً: «كان انفتاح الحدود نقمةً على الصومال منذ عام ١٩٧٨م عندما بدأت أثيوبيا بفتح أبوابها لخصوم سياد بري المتزايدين.»<sup>(١)</sup> ويقر Woodward أيضاً بأن سعي المعارضة لإسقاط النظام تحوّل في النهاية إلى سيناريو دمار الدولة، فيُضيف:

«يظهر بأن الصومال كانت التجربة الأكثر كمالاً في قرن أفريقيا عندما ننظر إلى سيناريوهات انهيار الدول. فبناء اشتراكية الصومال في السبعينات ساهم بصورة كبيرة في نمو الدولة والنظام الذين نما بصورة مترادفة، ولكن الوجه الآخر من هذه العملة كان تضيق الخناق السياسي الطويل على النظام بعد حرب ١٩٧٧ - ١٩٧٨م مع أثيوبيا، وهو ما كتب أخيراً تدمير الدولة بإسقاط النظام.»<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

## الثقافة السياسية البدائية

إن الصومال هو شعبٌ عشائري حاول أن يجد دولةً لنفسه، ويمكن أن يُستخدم نظام العشائر في سياقٍ سلبيٍّ أو إيجابيٍّ في بناء الشعوب. فيمكن أن يستخدم كأداةٍ لإذكاء الصراعات أو كآليةٍ للسلام وحل النزاعات. ولكن تقول نظريات التحديث الأولى بأن المجتمعات التقليدية يمكن لها أن ندخل سياق التنمية بنفس النحو الذي اتخذته الدول الأكثر نمواً. وهذا يعني بأن المعتقدات الدينية والسمات الثقافية التقليدية تصبح أقل أهميةً مع تهميش هذه القيم بوصول قيم الحداثة. وتبع القوميون الصوماليون، الذي مثلهم الآباء المؤسسون عصبة الشباب الصومالي هذه المفهوم الحداثي، وشدّدوا على نبذ الارتباطات العشائرية. فكان

---

(١) Peter Woodward, The Horn of Africa: State Politics and International Relations (New York: Tauris Academic Studies, 1996), 82

(٢) المصدر السابق، صفحة ٨١.

يُطلب من أعضاء عصبة الشباب الصومالي أن «يأخذوا على أنفسهم قسماً بعدم كشف انتماءاتهم العشائرية وتعريف أنفسهم بأنهم صوماليون فقط.»<sup>(١)</sup> ولكن مع انبثاق مزيد من الأحزاب السياسية في الخمسينات، تحوّلت الانقسامات العشائرية والانتماءات البدائية إلى أداة سياسية إذ مهد النظام السياسي الإيطالي التي ورثته دولة الصومال الطريق لذلك.<sup>(٢)</sup>

وبقيت العشائرية ظاهرةً منتشرةً بالرغم من كل المحاولات للحدّ منها عبر الطرق القانونية وسياسات الدولة، وحافظت على تماسكها ضد حملات قيم ومثاليات القومية. وجاءت الضربة القاضية التي كتبت نهاية الدولة الصومالية من صلب الانتماءات البدائية والتناحرات السياسية التي أخذت منحى صراعٍ عشائري بين حركات تمردٍ مسلّحة وقواتٍ حكومية.

وبالارتكاز على هذا التصور الأنف ذكره، تركّز المدرسة الأنثروبولوجية على العامل البدائي بصفته العامل الذي شكّل القوة الدافعة لانهايار دولة الصومال. ويمكن إيجاد أجزاء من هذا التصور في كتابات I.M. Lewis، وسعيد سمتر، وAnna Simons، وOkbazghi Yohannes. وترتكز هذه المنهجية التقليدية التي تصدّرها I.M. Lewis على النظام الاجتماعي القائم على النسب وهو ما يتناقض مع طبيعة الدولة. فيقول Lewis: «يمكن القول فيناً بأن انهيار الدول التي تُصنّع كولونالياً هو انتصارٌ لنظام النسب الاجتماعي والسلطة السياسية القائمة على قرابات الدم.»<sup>(٣)</sup> ويضخّم سعيد سمتر عامل العشيرة، فيرى بأنه

---

(١) Cedric Barnes, —The Somali Youth League, Ethiopian Somalis and the Greater Somalia Idea, c.1946–48. Journal of Eastern African Studies, 1:2, 277281, 2007, 291 - . <http://www.tandfonline.com/doi/pdf/10.1080/17531050701452564>

(تمّ الوصول بتاريخ ٢ فبراير، ٢٠١٧).

(٢) Paolo Tripodi, The Colonial Legacy in Somalia: Rome and Mogadishu: from Colonial Administration to Operation Restore Hope (Macmillan Press, 1999), 82-84.

(٣) M. Lewis, Blood and Bone: The Call of Kinship in Somali Society (Lawrenceville, Nj: Red Sea Pres, 1994), 233.

عاملٌ يتجاوز جميع العوامل الأخرى: «هناك مبدأً مركزيٌّ وحيد يقوم عليه نمط السياسة في الصومال، وهو يتجاوز جميع العوامل الأخرى، وهو الظاهرة التي يُسمِّيها الأنثروبولوجيون 'نظام النسب الاجتماعي'»<sup>(١)</sup> ويستطرد Okbazghi Yohannes أكثر في حديثه عن فكرة البدائية، فيرى بأنه:

«لم يكن هناك دولة في الصومال بالمعنى الحرفي للكلمة في المقام الأول. فالصومال هي وطن عشائر كان لا يزال في المراحل الأولى فقط من تشكيل دولة حديثة في ظل تقلبات قوى تاريخية في سياق نظام رأسماليٍّ وحدوي ولكنه كان في نفس الوقت نظاماً معجزاً سياسياً. السيناريو الأمثل في هذه الحالة هو الدمار الكامل والتام للامركزية السابقة للرأسمالية، وأيضاً التقاليد البدائية في الصومال، وما يرافق ذلك من تقاطع المؤسسات الأساسية، وهي ضرورة تاريخية كي تُتم دولة الصومال مسار تطورها»<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

## قصور الموارد

فشلت الإدارة الإيطالية في إرساء قواعد اقتصادية في الصومال خلال وصايتها على البلاد بموجب مهمة الأمم المتحدة التي دامت عشر سنوات (١٩٥٠ - ١٩٦٠م). وعرضت إيطاليا الاستقلال على بلدٍ يعيش حالة من الصراع مع جيرانه، وغير قادرٍ على دفع رواتب موظفيه. فتحتّم إذاً على دولة الصومال، إذا ما أرادت أن تبقى متعلّقةً بحبال النجاة، أن تعتمد على المساعدات الخارجية، فاستندت على مساعداتٍ إيطاليةٍ وبريطانيةٍ، فضخت الدولتان

---

(١) Said S. Samatar, —Unhappy Masses and the Challenges of Political Islam in the Horn of Africa.

متاح على الرابط:

[www.wardheernews.com/March\\_05/05](http://www.wardheernews.com/March_05/05)

(تمّ الوصول بتاريخ ٢ فبراير ٢٠١٧).

(٢) Okbazghi Yohannes, The United States and the Horn of Africa: An Analytical Study of Pattern and Process (Westview Press, 1997), 225.

ما يقارب ٣١٪ من ميزانية البلاد في السنوات الثلاث الأولى التي أعقبت الاستقلال. وكانت جميع صناديق التنمية، بلا استثناء، إما قروضاً أو منحاً من دولٍ غربية أو من المعسكر الشرقي.<sup>(١)</sup> وكان التقدم على صعيد تدريب القوى البشرية زهيداً جداً، فبحسب تقرير للأمم المتحدة عن الصومال: « لم يكن هناك ولا طبيبٍ صوماليٍّ واحد، أو صيدلي، أو مهندس، أو معلّم ثانوية في كل الصومال. »<sup>(٢)</sup> ولكن كان هناك ٣٧ طالبٍ صوماليٍّ في الجامعات الإيطالية في العالم الدراسي ١٩٥٧ - ١٩٥٨ م، من بينهم ٢٧ طالبٍ يُتَوَقَّعُ خروجهم في عام ١٩٦٠ م.<sup>(٣)</sup> ولكن ما أثار الحيرة هو أن إدارة الصومال، وهم يعرفون بالمقدّرات القليلة التي تعاني منها بلادهم على الصعيد البشري والمادي، جعلوا أولويتهم تحقيق مشروع الصومال الكبير، فكّر سوا المصادر الشحيحة لهذا الهدف.

وكان السفير محمد عثمان هو الشخص الوحيد الذي تحدّث عن عامل قصور الموارد، فدرس الخطوط العريضة التي حكمت سياسات قادة الصومال على الوجودية الصومالية، ووجّه انتقادات، اتسمت بالاحترام الشديد، لقادة الصومال على أولوياتهم وأهدافهم القومية. فرأى عثمان بأن القصور سببه هو تقليل قدرات الدولة بالانخراط في عددٍ مبالغٍ فيه من المهام لا يمكن للدولة إيفاءها خلال وقتٍ قصير. وطرح عثمان سؤال الأولويات، فما هي الأولويات التي يجب على الدولة الصومالية الجديدة أن تلتفت إليها، فإما أن تختار تعزيز

---

(١) CIA World fact book, Somalia economic Development, 1960-1969.

متاح على الرابط:

[http://www.photius.com/countries/somalia/economy/somalia\\_economy\\_economic\\_development~1607.html](http://www.photius.com/countries/somalia/economy/somalia_economy_economic_development~1607.html)

(تمّ الوصول بتاريخ ٢٥ يناير ٢٠١٧).

(٢) Abdirahman Ahmed Noor,—Arabic Language and Script in Somalia: History, attitudes and prospects. PhD diss., Georgetown University, 1999, 52.

(٣) Mohamed Osman Omar, The Road to Zero: Somalia's self destruction (HAAN associates, 1992), 45.

الدولة، أو السعي للم شَمَل «الثلاثة المفقودين». وكتب بكل شجاعة أن بناء المؤسسات المحلية يجب أن يكون الأولوية، فمن دونها ستتهار كل الخطط الأخرى:

«لعلنا كرّسنا أكثر مما ينبغي من اهتمامنا ومواردنا لتجاوز المعوّقات، والمشاكل، والنزاعات التي توارثناها من المستعمرين، وهو ما أدّى، بطبيعة الحال، إلى تورطنا في صراع خارجي، ولم يمنحنا أي وقتٍ لتعزيز مكتسباتنا، بعد حصولنا على حريتنا الوطنية، عن طريق تطوير المؤسسات التي لا يقوم أمرٌ لشعبٍ ما في عالمنا الحديث بدونها.»<sup>(١)</sup>

\*\*\*

## الظلم والانحلال الأخلاقي

أثبت لنا التاريخ البشري بأن الطمع والأنانية يطغيان عندما يصل أي مجتمع إلى حالة الإفلاس الأخلاقي، وهو ما يؤدي إلى ترنح هذا المجتمع ويضع الدولة على مسار انهيارٍ لا مفرٍّ منه. فالأخلاق ترتبط، وبكل بساطة، بمبادئ سلوكيات الصواب والخطأ، والخير والشر التي تنطوي عليه النفس البشرية. ويتلخص تصور الإسلام عن نهوض وسقوط الدول والحضارات بالمبادئ التالية: الظلم يؤدي إلى الخلاف، وغياب وسائل الإصلاح التي تشدّ على يد الباطل وتُرسّي قواعد الحق، والتي تجلّت في مفهوم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يؤدي إلى الانحلال الأخلاقي على مستوى الفرد والمجتمع، أي الفساد.<sup>(٢)</sup> وفي سياق الدولة الحديثة، يكون منع الظلم بسيادة القانون وصون مبدأ تساوي الفرص لجميع مواطني الدولة بدون التمييز بينهم على أساس الدين، أو العرق، أو الإثنية، أو العشيرة، أو

(١) Mohamed Osman, The Road to Zero: Somalia's self destruction (Haan Associates, 1992).

(٢) تجد عديد الآيات القرآنية والاحاديث النبوية التي تتحدّث عن الظلم. فمثلاً ترد تسميات القسط والعدل: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَصْرُهُ وَرُسُلُهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾ [الحديد: ٢٥]. وأيضاً: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَايَ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ٩٠]. وفي الحديث القدسي: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي، وجعلته بينكم محرماً؛ فلا تظالموا.» (رواه مسلم)



الجنس. فيعزز رعاية العدل والتماسك في مؤسسات الدولة، ويمنع الخلاف والصراعات الاجتماعية، ولكن توجد، في نفس الوقت، مساحةٌ للخلاف في وجهات النظر التي يمكن مناقشتها والنظر فيها على أساس مبادئ حرية التعبير عن الرأي ومؤسسات المجتمع المدني والأحزاب السياسية.

وهكذا كان تأسيس الدولة، في السياق الصومالي، على أساس الشريعة الإسلامية أمراً محموداً يجب صونه والحفاظ عليه. ولكن الابتعاد عن الدستور يجب أن يُنظر إليه على أنه شرٌّ لا بد أن يتدخل جميع الأفراد مع المجتمع لمنعه بما أوتي من وسائل. فالفساد هو تجسيد سلوكياتٍ تتضارب مع مبادئ الأخلاق والمروءة يقوم بها إنسانٌ استئمن على موقع سلطة، وغالباً ما يلجأ هذا المرء لهذه السلوكيات لتحقيق مكاسب شخصية. ويشتمل الفساد على عديد الممارسات، مثل الرشوة، والاختلاس، وسوء استخدام السلطة أو الموارد التي أوكلت إليه، والاستغلال، والتماس الرشاوي أو عرضها، أو شراء الأصوات. فيشمل الفساد الأخلاقي، كما تبين مبادئ الإسلام، جميع صور الفساد التي تحرمها شريعة الإسلام.

وكان هناك عددٌ قليلٌ فقط من العلماء الذين ركّزوا على هذا العامل في كتاباتهم، وتحديدًا المكتوبة بالإنجليزية. ولكن كانت هذه فكرةً تناولها علماء الإسلام الصوماليون باستفاضة، فقد أرجع هؤلاء العلماء جميع الآفات السوسيوسياسية إلى الانحلال الأخلاقي والنزعات النفعية لقادة الصومال التي خلت من أي مبادئ. إلا أنه ظهر في السنوات الأخيرة أسماءٌ أخرى تحدّثت عن الجانب الحضاري لانهايار الدولة، فيكتب أحمد سمتر، على سبيل المثال «ظهر رأيٌ متأخّر يقول بأن انهيار الثقافة كان عين كارثة الصومال (والمقصود هنا هي ثقافة الحير وثقافة الإسلام)».<sup>(١)</sup>

وطبعاً عند التطرق إلى الإسلام، فإن المقصود هو الالتزام بالقوانين الروحية والمبادئ الأخلاقية التي تحول دون ارتكاب الآثام والسقوط في وحل الفساد. فيرفع الإسلام قيمة

---

(١) Ahmed Samatar, 129.

والخير هو القوانين الصومالية التقليدية التي قام عليها النظام الاجتماعي.

العدالة الاجتماعية، والمساواة، والقيم الديمقراطية، والحكم الرشيد. ويصر هذا المؤلف على العودة مرة أخرى للتشديد على أن الأيدولوجيات المتأصلة - الإسلام والعشيرة - تعرّضتا لهجومٍ أراد قمعهما، وتشويههما، ودفعهما إلى الراديكالية في نهاية السبعينات. ولهذا يخلص إلى أن «الإسلام كان المنظومة الوحيدة التي تحوي المكونات الأساسية التي من شأنها إقامة مجتمعٍ صوماليٍّ متكامل فيه جميع عناصره بانسجام. [الإسلام، والعشيرة، والدولة] وإقامة حكومةٍ مستقرةٍ قادرةٍ على تلبية الاحتياجات الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية التي كان البلاد في أمس الحاجة إليها.»<sup>(١)</sup> ويُشير في موضعٍ آخر: «ففي الحالة الصومالية، كانت سياسات الدولة غير الأخلاقية، بما في ذلك عدم إعطاء عامل الإسلام وزناً كافياً، هي ما أدّى في النهاية إلى انهيار مؤسسات الدولة.»<sup>(٢)</sup> ويكتب Mark Huband:

«نظر قادة الصومال الدينيون، على مدار الحرب الأهلية، بأن تطبيق الشريعة هو السبيل الوحيد لاستعادة النظام الاجتماعي، ورأوا بأن البنية السياسية القائمة على العشيرة، والتي قاست الاستعمار والدكتاتورية، قد فشلت في الوصول إلى حلٍّ سياسي على المستوى الوطني.»<sup>(٣)</sup>

ومن وجهة نظر الإسلام، فإن مفهوم الأخلاقية والفضيلة لا يقتصر على مساحة الفرد، بل يشمل كل شيءٍ يقود إلى رفاهية الفرد والمجتمع. فعلى مستوى البعد الاجتماعي، مثلاً، فإن انتهاك دستور الدولة القائم على مبادئ الإسلام، وأخذ السلطة بالقوة، والتطفل على خزائن الدولة، وكل ما كان ظلماً هي أمورٌ غير أخلاقية ومذمومة. وبالمقابل، فإن جميع

---

(١) Abdullahi, Tribalism, Nationalism and Islam, 122

(٢) Abdurahman M. Abdullahi, —Recovering the Somali State: The Islamic Factor,|| Somalia: Diaspora and State Reconstitution in the Horn of Africa, eds. A. Osman Farah, Mammo Muchie, and Joakim Gundel (London: Adonis & Abbey, 2007), 196-221.

(٣) Mark Huband, Warriors of the prophet: the struggle for Islam (Westview Press. 1998), 33.

عناصر الحكم الرشيد والإحسان الاجتماعي، وتأسيس مؤسسات تمثل درعاً واقياً للأمن ورفاهية الشعب هي أمورٌ يرى فيها الإسلام أسمى ما كان من قيم أخلاقية.

\*\*\*

## العوامل الانتقائية للانهييار

تقوم العوامل الانتقائية على أن متغيراً أو عاملاً واحداً ليس كافياً ليكون سبب الانهييار التام للدولة. أي أن اجتماع عددٍ من العوامل ساهمت في هلاك الدولة الصومالية هو ما أدّى إلى هذه الحتمية. وتضمّ قائمة أنصار هذا الرأي أسماءً مثل George Bradbury، و Kaly Kieth، و Ida Rousseau Mukende، وأحمد سمتر، وحسين آدم. فكان جواب Bradbury لما سُئِلَ لماذا انهارت الصومال بصورةٍ كاملةٍ مقارنةً بجيرانها:

«ليس هناك وجهةٌ كبيرةٌ في تقديم شروحاتٍ أحاديةٍ غير متعمّقةٍ للحرب وانهييار الدولة في الصومال. فالتركيز بصورةٍ أحاديةٍ على التناقضات بين نظام حكم كولونالي فرضته قوىٌ خارجية وبين نظامٍ سياسيٍّ متأصلٍ يُهمل أثر نظم القمع، والفساد، والعنف التي تجلّت في قيم المحاباة السياسية، والتي كانت العلامة الفارقة للحكم العسكري الذي دام ٢١ عاماً تحت إمرة محمد سياد بري (١٩٦٩ - ١٩٩١م)، ويهمل أيضاً أثر الحرب الباردة وسياسات ما بعد الحرب الباردة في الإقليم، وأثر التغييرات البنوية وسياسات البرلة الاقتصادية في الثمانينات، وطبيعة الحركات المسلّحة في الصومال.»<sup>(١)</sup>

ويصنّف George Kaly Kieth و Ida Rousseau Mukende الأسباب المعقّدة وراء الانهييار:

«كانت الحرب الأهلية الصومالية نتاج تعاضد عددٍ من العوامل البعيدة والقريبة. فكانت

---

(١) Stacy Feldman and Brian Slattery, —Living without a Government in Somalia: An Interview with Mark Bradbury Development Process in Somalia exist Not as a Result of Official Development Assistance, but in spite of it, Journal of International Affairs, 57, 2003

العوامل البعيدة هي تطور الدولة الصومالية، ودمجها بالنظام الرأسمالي العالمي، وفشل أول تجربة لبناء الدولة على يد النخب الصومالية الذين تولّوا زمام الحكم عندما كُفّل للصومال حق «استقلال العلم». أما العوامل القريبة فهي القمع، والاستغلال، والحرمان الاقتصادي، والتأزم الاجتماعي، والتلاعب بالهويات البدائية الذي قام به نظام الجنرال محمد سياد بري الديكتاتوري.<sup>(١)</sup>

ويتقدّد حسين آدم تحليل العامل الواحد، فيكتب:

«ولكن، لا يستطيع المرء أن يقدم شرحاً وافياً لمشاكل الاضطراب السياسي باستخدام منهجية الحتمية من منظور أنثروبولوجي... ومؤخراً قام بعض العلماء بالتحول إلى التحليل الطبقي في سياق المصطلحات العالمية للتنمية والنمو، ويبدو أن ذلك كان لاستياءهم من التركيز على النزعات البدائية، ولكنهم في النهاية كانوا ينزعون إلى السقوط في نسق تحليلي أحادي آخر.»<sup>(٢)</sup>

فيرى حسين آدم، إذًا، بأن الصومال انهارت بسبب «الحكم الشخصي، والحكم العسكري، والحكم العشائري، وتسميم العلاقات العشائرية، ورعب الدولة الحضرية، والحمولات النيوفاشية على الشمال، والمساعدات الدولية المنكمشة.»<sup>(٣)</sup> وينظم البروفسور أحمد سمتر أيضاً سرداً لأسباب الانهيار: «نظام ديكتاتوري خلق ثقافة حكم سيئة، وغياب قيادة وطنية نتيجة الحكم الديكتاتوري الذي طال أمده، ومستوى التعليم المنخفض والفقر

---

(١) George Kaly Kieth, and Ida Rousseau Mukenge, *Zones of Conflict in Africa: Theories and Cases* (Praeger, 2002), 124.

(٢) Hussein M. Adam, —Somalia: Militarism, Warlordism or Democracy?! Review of *African Political Economy*, 54 (1992): 11-26.

(٣) Hussein M. Adan, —Somalia: A Terrible Beauty Being Born?! In I. William Zartman (ed.), *Collapsed States: The Disintegration and Restoration of Legitimate Authority* (London: Lynne Rienne, 1995), 69-89.

الشعبي نتيجةً لبرامج تنموية فاشلة.<sup>(١)</sup> ونهايةً، يشدد David Rawson على العوامل الداخلية ومسؤولية الصومال نفسه عن انهيار الدولة مشيراً إلى الأسباب الثلاثة التالية: المعادلات الداخلية لتنافس النخب، وعسكرة مؤسسات الدولة، وطغيان النظام.<sup>(٢)</sup>

\*\*\*

## القاسم المشترك بين الآراء التي حلت انهيار دولة الصومال

يمكن تنظيم الآراء التي تعرّضت لها الصفحات السابقة على أساس عددٍ من المواضيع. ومن الجدير بالذكر بأن العلماء أقرّوا بوجود عوامل أخرى بالرغم من أن معظمهم ركّز على دراسة عامل واحد أو أكثر. وعلى سبيل التذكير، فيمكن تلخيص الأسباب الرئيسية وراء انهيار الدولة الصومالية وفقاً للآراء التي بيّنها هذا الفصل بنهاية الحرب الباردة وتراجع المساعدات الخارجية، والانقسامات الاستعمارية التي قاساها الشعب الصومالي، والوحشية الصومالية والحرب مع أثيوبيا، والبدائية والعشائرية السياسية الطاغية، والفساد الأخلاقي والانحلال الثقافي، وشحّ الموارد، وفشل قادة الصومال في إيلاء الأهمية للأهداف الرئيسية، وأخيراً العوامل الانتقائية. ويمكن القول بأن معظم العلماء يميلون لتناول الأسباب الثانوية وراء الانهيار، وللتركيز أيضاً على عاملٍ محدّد يحدّد هدف وظروف بحثهم وحقول تخصصهم. وبوضع جميع العوامل على خطّ مستمر واحد، فيمكننا تصنيفهم إلى ثلاث فئات، حيث تبرز كل فئة من هذه الفئات في مرحلة مختلفة من التاريخ الصومالي، بدءاً من الغزو الاستعماري حتى الاستقلال (١٨٨٨ - ١٩٦٠ م)، ومروراً بالفترة الممتدة من الاستقلال حتى الحرب مع أثيوبيا (١٩٦٠ - ١٩٧٨ م)، وانتهاءً بالفترة الثالثة بين الحرب مع أثيوبيا

---

(١) انظر مقابلة خالد ماو مع البروفيسور ساماتار في لندن في آخر أيام ٢٠٠٤. المقابلة منشورة على الموقع:

<http://www.kasmo.info/WareysiProfSamatar.php>

(تمّ الوصول في يناير ٢٠١٧).

(٢) David Rawson, —Dealing with Disintegration: US Assistance and Somali State' in The Somali Challenge: From Catastrophe to Renewal? Edited by Ahmed Samatar London: Lyne Rienner Publisher, 19994), 147, 150-178.

حتى انهيار الدولة (١٩٧٨ - ١٩٩١ م). وتشعب هذه الفئات الثلاث لتشكّل منظومةً أقرب إلى شبكة، وبعضهم يبرز بصورة تنازلية أو تصاعدية. ولهذا يجب أن ننظر إلى هذه الفئات الثلاث على أهم سلسلة من المراحل والبواعث المتشعبة التي تبين بكليتها كيف أخذت الدولة الصومالية من وقت استقلالها منحىً سلبيّ نحو الفشل. الفئة الأولى هي الأسباب الجذرية، وتشتمل على الانقسامات الاستعمارية التي جزأت الإقليم الصومالي إلى خمسة أجزاء، وأعطت أثيوبيا، على وجه الخصوص، جزءاً كبيراً من الإقليم، وهناك سبب آخر يتعلّق بالتفكيك الاجتماعي للمجتمع الصومالي وتحويله إلى دويلاتٍ صغيرةٍ تقوم على منطق العشائر، وافتقرت هذه الدويلات مؤسّسة قيادة وطنية موحّدة، على مدار تاريخها، فضلاً عن قيادة كان لهم الاجتماع عليها. ويمكن النظر إلى هذين العاملين بأنهما العاملان الأساسيان الموضوعيان اللذين أخذاً بيد الدولة إلى الانهيار بكونهما السبب وراء تشكيل دولةٍ ضعيفةٍ ومشوّهة. ولعل بإمكاننا إضافة التنمية الاقتصادية الضعيفة وغياب الموارد البشرية المدربة إلى العاملين المذكورين، فلم تستطع الموارد البشرية ردم الفجوة البيروقراطية وتولي أمور إدارة المؤسّسات برحيل القوى الاستعمارية. وتعود هذه الظروف إلى الفترة التاريخية التي سبقت حصول الصومال على الاستقلال في عام ١٩٦٠ م، وما تبع ذلك.

في المقابل، لنا أن ننظر إلى الأسباب العملية على أنها العوامل الذاتية التي رسّخت الصراع الصومالي الداخلي. وتتضمّن هذه المسبّبات عدداً واسعاً من العوامل منها سياسة الدولة على صعيد تحقيق الأهداف القومية المتمثلة بوحدة الإقليم الصومالي، وإفرازات الحرب الباردة في مسرح القرن الأفريقي والتي شجّعت العسكرية الإقليمية، ووجود صراعاتٍ غير محلولةٍ مع دول الجوار (أثيوبيا على وجه الخصوص)، والقدرات المنخفضة للقيادات، والتنمية الضعيفة على المستويات السوسيوسياسية والاقتصادية. كما يجب أيضاً عدم إهمال الدكتاتورية العسكرية وتطبيقاتها للخطاب الاشتراكي وانحلال القيم الاجتماعية والإسلامية، وهي عوامل ساهمت بصورة كبيرة. وأدّت هذه العوامل مجتمعةً إلى تحول الدولة الصومالية من دولةٍ ضعيفةٍ إلى دولةٍ فاشلة. وكان هذا هو الحال منذ استقلال الصومال على درجاتٍ

متراوحة إلى أن تكبّدت الصومال الهزيمة في حربها مع أثيوبيا (١٩٦٠ - ١٩٧٨ م). وهناك أخيراً الأسباب الظرفية، والتي كانت أسباباً مباشرةً للانهيّار، وتضمّ هذه الأسباب الحرب مع أثيوبيا وهزيمة الجيش الصومالي، ونهاية الحرب الباردة وقطع المعونات الخارجية، واستمرار الدكتاتورية العسكرية القائمة على العشائرية، وتشكل الفصائل المسلحة، وغياب رعاة دوليين. وبدأ كل ذلك بهزيمة الصومال في الحرب مع أثيوبيا، واستمر حتى الانهيّار الكامل للدولة الصومالية عام ١٩٩١ م. ويبيّن الجدول التالي عوامل انهيار الدولة الصومالية مقسّمة على ثلاث فئات والأطر الزمنية التي تطوّرت ضمنها كل من هذه الفئات.

عوامل انهيار الدولة	الفترات التاريخية وأسباب الاستعمار
الأسباب الجذرية (ثمانينات القرن التاسع عشر حتى ستينات القرن العشرين)	١. تجزئة الإقليم الصومالي على يد قوى الاستعمار إلى خمسة أجزاء ٢. التفكيك الاجتماعي للمجتمع الصومالي الذي تحوّل إلى عشائر ٣. التنمية الاقتصادية الضعيفة والافتقار إلى الموارد البشرية المدربة.
الأسباب العملية (١٩٦٠ - ١٩٧٨ م)	١. سياسة الوحدة (الصومال الكبير) ٢. الحرب الباردة وتناحر القوى العظمى في مسرح القرن الأفريقي ٣. الصراع مع الدول المجاورة وسياسات العسكرية ٤. التنمية الاقتصادية الضعيفة ٥. الظلم، والفساد، والانحلال الأخلاقي ٦. الدكتاتورية العسكرية والعشائرية السياسية
الأسباب الظرفية (١٩٧٨ - ١٩٩١ م)	١. الحرب مع أثيوبيا وهزيمة الصومال في تلك الحرب ٢. اضمحلال القومية لصالح الفصائلية ٣. نهاية الحرب الباردة وقطع المعونات الخارجية ٤. الحرب الأهلية والفصائل المسلحة التي دعمتها أثيوبيا

جدول رقم (١٣): العوامل التراكمية وراء انهيار الدولة الصومالية

## الخلاصة

يتَّبَع هذا الفصل الآراء التي تناولت انهيار دولة الصومال، وأسبابه الأصولية، والعملياتية، والظرفية. وتستعرض هذه الورقة مسار تشكل الدولة الصومالية من مرحلة اللادولة إلى مرحلة اللادولة، مع سردٍ مقتضب للتطور التاريخي خطوةً بخطوة. ومن ثم ينتقل الفصل لتناول نظريات قدرات الدولة والصراع، واضعاً الأطر النظرية لانهيار الدولة. ومن ثم يدرس الفصل عدداً من الآراء التي تبناها علماءٌ مختلفون. ويقوم المؤلف بعد ذلك بتقسيم هذه الآراء، بالاتساق مع أهداف هذا الفصل، إلى جذرية، وعملياتية، وظرفية على امتداد تاريخ الدولة. ويُظهر التحليل بأن الدولة الصومالية الحديثة كانت نتاج نظام حكمٍ قاصر أنتج نظاماً سياسياً، واقتصادياً، واجتماعياً قاصراً بدوره ولا يتناسب مع طبيعة المجتمع الصومالي. وفشل نظام الحكم في احتواء جميع عناصر الهوية الصومالية، وهي الإسلام وثقافة العشيرة، داخل نظام مهجّن قام على مساحاتٍ ومسؤولياتٍ ديمقراطية. فتركت قوى الاستعمار مجتمعاً صومالياً هَلَلٌ وعَبَّر عن اعتزازه بنفسه يوم الاستقلال في عام ١٩٦٠م، ولكن هذا المجتمع كان في نفس الوقت مجتمعاً ضعيفاً ودولةً هشةً للغاية ألَمَّت بها حمى قوميةٌ شديدة وغرقت في الصراعات مع جيرانها.

ولو كان للمرء أن يدرس الآراء المطروحة، فسيكون من الواضح أن انهيار الدولة الصومالية حصل ضمن سياق عملية البحث عن هوية الدولة النهائية كما أراد لها الآباء المؤسسون للقومية الصومالية أن تكون. وتَمَّ حشد المصادر الوطنية في سبيل إتمام هذه العملية مع السعي وراء الحصول على الدعم الدولي الذي وُضع بصورةٍ شبه كاملة في المصَبِّ القومي الذي هدف إلى إقامة الصومال الكبير. وقامت حكوماتٍ مدنية (١٩٦٠ - ١٩٦٩م)، سعياً لتحقيق هذا الهدف، بتبني استراتيجياتٍ معتدلة وُضعت لتحقيق الهدفين الصومالين القوميين: إضعاف العشائرية وتنفيذ مشروع الصومال الكبير، مقارنةً بالنظام العسكري الذي أخذ هذه الاستراتيجيات إلى مناحٍ راديكالية. وورّطت سياسات العسكرية الصومال في حربٍ



مدمّرة مع أثيوبيا عام ١٩٧٧ - ١٩٧٨ م.<sup>(١)</sup> وتكبّدت الصومال هزيمةً استراتيجيةً نكراء في الحرب، فضلاً عن الإهانات التي تجرّعتها جراء هزيمتها.

وكانت هزيمة الصومال في تلك الحرب البداية الفعلية لسقوط الفكرة التي تأسس عليها، وهي القومية الصومالية. لقد كان أثر تلك الحرب كارثياً، وأجّجت اقتتالاتٍ داخلية بين الحكومة والمعارضة الصومالية بدعمٍ من أثيوبيا. ويمكن القول، استراتيجياً، بأن أثيوبيا نجحت في تحويل حربها مع الصومال إلى حربٍ أهليةٍ صومالية كانت في النهاية سبب انهيار الدولة الصومالية. وخلاصة القول، تقع مسؤولية انهيار الدولة الصومالية بصورة رئيسية على أكتاف قيادات الصومال. فقد كانت أسباب انهيار الدولة نابعةً بصورة رئيسية من عوامل داخلية، مثل التناحر بين النخب على السلطة السياسية، والثقافة السياسية السلبية التي حملتها النخب، مثل الطغيان، والفساد، والعشائرية، واللهث وراء الدعم والحماية الأجنبية. وبالنظر إلى الدولة المنهارة، فيظهر بأن كلاً من النظام الحاكم وقادة المعارضة المسلحة فشلوا في الحيلولة دون انهيار الدولة. وكان هذا الانهيار بداية فصلٍ جديدٍ في التاريخ الصومالي، إذ كان انهيار دولة ما بعد الحقبة الاستعمارية وتلاشي الهوية التي شيّدتها تلك الدولة.

\*\*\*

---

(١) ساندت قوات كوبا، وألمانيا الشرقية، وجنوب اليمن، وروسيا القوات الأثيوبية في الحرب الصومالية - الأثيوبية عام ١٩٧٧ - ١٩٧٨ م، لتطرد القوات الصومالية المسلحة بعد أن استطاعت انتزاع أكثر من ٩٠٪ من الأراضي التي طالبت بها الصومال.

## المراجع المراجع الإنجليزية

Abdi, Sheikh Abdi. Divine Madness: Mohammed Abdulle Hassan (1856-1920). Zed Books, 1993.

Abdi Sheikh Abdi, "Ideology and Leadership in Somalia." The Journal of Modern African Studies. 19, 1, 1981.

Abdi, Sheikh-Abdi, Somali Nationalism: Its origin and Future. The Journal of Modern African Studies, Vol. 15, 7 (1977), 657-665.

Abd al-Qadir, Shiba ad-Din Ahmed bun. Futuh Al-Habasha: The Conquest of Abyssinia, translated by Paul Lester Stenhouse. No date.

Abdo Adou, Abdullah, - The Ethnic Factor in the National Politics of Djibouti. The Oromo Commentary, VOL. II, no.1, 1992.

Abdullahi, Abdurahman. —Recovering the Somali State: The Islamic Factor,|| Somalia: Diaspora and State Reconstitution in the Horn of Africa, eds. A. Osman Farah, Mammo Muchie, and Joakim Gundel. London: Adonis & Abbey, 2007), 196-221.

Abdullahi, Abdurahman. Tribalism, Nationalism and Islam: The Crisis of Political Loyalties in Somalia. MA thesis submitted to the Institute of the Islamic Studies, McGill University, 1992.

Abdullahi, Abdurahman. The Islamic Movement in Somalia: A Case Study of Islah Movement (1950-2000). Adonis & Abbey, 2015.

Abdullahi, Abdurahman. —Tribalism and Islam: The Basics of Somaliness.|| In Variations on the Theme of Somaliness, edited by Muddle Suzanne Lilius. Turku, Finland: Centre of Continuing Education, Abo University, 2001, 227-240.

Abdullahi, Abdurahman. *Recovering the Somali State: Islam, Islamism and Transitional Justice*. Adonis & Abbey, 2016.

Abdullahi, Abdurahman. —“Somalia: Historical Phases of the Islamic Movements.” *Somali Studies Journal*. Volume 1 (2016), 19-49.

Abdullahi, Abdurahman. —“Non-State Actors in the Failed State of Somalia: Survey of the Civil Society Organizations in Somalia during the Civil War.” *Darasaat Ifriqiyyah* 31 (2004): 57-87, 65.

Abdullahi, Abdurahman. —“Women, Islamists and the Military Regime in Somalia: The new family Law and its Implications.” in Markus Hoehne and Virginia Luling (ed.), *Milk and Peace, Drought and War: Somali Culture, Society and Politics*. London: Hurst & Company, 2010, 137-160.

Abdullahi, Abdurahman. —“Perspectives on the State Collapse in Somalia,” in *Somalia at the Crossroads: Challenges and Perspectives in Reconstituting a Failed State*, ed. Abdullahi A. Osman and Issaka K. Soure, London: Adonis & Abbey Publishers Ltd., 2007.

Abdurahman Abdullahi (Baadiyow) and Ibrahim Farah, *Reconciling the State and Society in Somalia*. Available from <https://www.scribd.com/document/15327358/Reconciling-the-State-and-Society-in-Somalia>.

Abdullahi, Mohamed. *State Collapse and Post-Conflict Development in Africa: The Case of Somalia (1960-2001)*. Indiana: Perdue University Press, 2006.

Abdullahi, Osman. —“The Role of Egypt, Ethiopia the Blue Nile in the Failure of the Somali Conflict Resolutions: A Zero-Sum Game.” paper presented at the annual meeting of the International Studies Association, Hilton Hawaiian Village, Honolulu, Hawaii, March, 2005.

Achebe, Chinua. *The Trouble with Nigeria*. Heinemann, 1984.

Adam, Hussein M. —“Somalia: A Terrible Beauty Being Born?” In I. William Zartman (ed.), *Collapsed States: The Disintegration and Restoration of Legitimate Authority*. London: Lynne Rienne, 1995.

Adam, Hussein M. —Somalia: Militarism, Warlordism or Democracy?|| Review of African Political Economy, 54 (1992): 11-26.

Adam, Hussein M. —Somalia: A Terrible Beauty Being Born?|| In I. William Zartman (ed.), Collapsed States: The Disintegration and Restoration of Legitimate Authority. London: Lynne Rienne, 1995.

Adamthwaite, Anthony. The Making of the Second World War. New York: Routledge, 1992.

Agarwal, Mamta. —Biography of Herodotus: The Father of History.|| Available from

<http://www.historydiscussion.net/biography/biography-of-herodotus-the-father-of-history/1389>.

Ahmed, Christine Choi. —Finely Etched Chattel: The Invention of Somali Women|| in The Invention of Somalia, edited by Jumale Ahmed. Lawrenceville: The Red Sea Press, 1995.

Ahmed, Christine Choi. —God, Anti-Colonialism and Drums: Sheikh Uways and the Uwaysiyya.|| Ufahamu: A Journal of African Studies, 17(2) 1989, 96-117.

Ahmed, Hussein. —The Historiography of Islam in Ethiopia,|| Journal of Islamic Studies, 3, 1992.

Ahmed, Zaid. —Muslim Philosophy of History||, in edited by Aviezer Tucker, A Companion to the Philosophy of History and Historiography. Published Online, 2009), 437-445. Available from

<http://onlinelibrary.wiley.com/book/10.1002/9781444304916>.

Ali, Abukar.—The Land of the Gods: A Brief Study of Somali Etymology and its Historio-linguistic Potential.|| Available from <http://sayidka.blogspot.co.ke/>.

Ali, Ismail Mohamed. Somalia Today: General Information. Ministry of Information and National Guidance, Somali Democratic Republic, 1970.

Ali, Mohamed Nuuh. “History in the Horn of Africa, 1000 BC. - 1500 AD: Aspects of Social and Economic Change Between the Rift Valley and the Indian

Ocean.” A PhD thesis submitted to the University of California, LA, 1975.

Anderson, Benedict. *Imagined Communities: Reflections on the Origins and Spread of Nationalism*. London: Veso, 1983.

Aram, Ben I. —Somalia’s Judeo-Christian Heritage: A Preliminary Survey. *Africa Journal of Evangelical Theology* 22.2 2003.

Atlantic Charter. Available from file:///C:/Users/Abdurahman/Downloads/Atlantic%20Charter.pdf.

Banitalebi, Masoumeh; Yusoff, Kamaruzaman; and Mohd Nor, Mohd Roslan. —The Impact of Islamic Civilization and Culture in Europe during the Crusades. *World Journal of Islamic History and Civilization*, 2 (3): 182-187, 2012.

Bakano, Otto. “Grotto galleries show early Somali life”, April 24, 2011. Bar-  
barosa, Duarte. *A Description of the Coasts of East Africa and*

*Malabar in the Beginning of Sixteenth Century*. London: the Hakaluyt Society, 2008.

Bassey, Magnus O. *Western Education and Political Domination in Africa: A Study in Critical and Dialogical Pedagogy*. Bergin & Garvey, 1999.

Bebbington, David. *Patterns in History: A Christian Perspective on Historical Thought*. England: Inter-Varsity Press, 1979.

Bradbury, Mark. *Becoming Somaliland*. Progresso, 2008.

Barnes, Cedric. —The Somali Youth League, Ethiopian Somalis and the Greater Somalia Idea, 1946-48. *Journal of Eastern African Studies* Vol. 1, No. 2, 2007, 277-291.

Beavor, Antoby. *The WW II*. Little, Brown and Company, 2014.

Bell, J. Bowyer. *The Horn of Africa: Strategic Magnet in the Seventies*. New York: Crane, Russak 1973.

Ben-Dror, Avishai. —The Egyptian Hikimdāriya of Harar and its Hinterland” — Historical Aspects, 1875-1887. *A PhD Thesis submitted to the School of History, Tel Aviv University*, 2008.

Bertin, G. Bertin. Christianity in Somalia. Muqdisho: Croce del Sud Cathedral. Manuscript, 1983.

Borgwardt, Elizabeth. A new Deal for the World. Harvard University Press, 2007. Borodulina, T. On Historical Materialism (Marx, Engels, Lenin). Progress Publishers in the Union of Soviet Socialist Republics, 1972.

Brandt A. —The Importance of Somalia for understanding African and World prehistory, Proceedings of the First International Congress of Somali Studies in 1992.

Brandt, A. “Early Holocene Mortuary Practices and Hunter-Gatherer Adaptations in Southern Somalia”. World Archaeology. 20, 1, 1988.

Briggs, Philip. Somaliland with Addis Ababa with East Ethiopia. Bradt Travel Guides, 2012.

Brons, Maria. “The Civil War in Somalia: Its Genesis and Dynamics” Current African Issues. 11, Uppsala, Nordiska Africainstitutet, 1991.

Brons, Maria. Society, Security Sovereignty and the state of Somalia: From Statelessness to statelessness. International books, 2001.

Brons, Maria. “The Civil War in Somalia: Its Genesis and Dynamics” Current African Issues. 11, Uppsala, Nordiska Africainstitutet, 1991.

Brown, D. J. Latham, “The Ethiopia-Somaliland Frontier Dispute”.

International and Comparative Law Quarterly, 5 (2): (1956), 245–264. Bunson, Margaret. The Encyclopedia of Ancient Egypt. Gramercy Books, 1991.

Burton, Richard F. First Footsteps in East Africa. Biblio Bazaar, 2009.

Caqli, Cabdirisac. Sheikh Madar: Asaasaha Hargeysa. Biographical Work on Sheikh Madar written in Somali Language, no date or publishing house).

Cassanelli, Lee and Abdulkadir, Farah Sheikh. —Somali Education in Transition. Bildhan, vol. 7, 2007, 91-125.

Cassanelli, Lee. The Shaping of Somali Society: Reconstructing the history of

the Pastoral People, 1600-1900. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1982.

Cerulli, E. Documenti Arabi per la Storia dell'Etiopia. Roma: Memoria della Accademia Nazionale dei Lincei, Vol. 4, No. 2, 1931.

Cerulli, Enrico. Somalia: scritti vari editi ed inediti. Vol.2. Roma: Istituto poligrafico dello Stato, 1957-1964.

Chittick H. —An archaeological reconnaissance of the southern Somali coast, Azania, 4.

CIA World fact book, Somalia economic Development, 1960-1969. Available from [http://www.photius.com/countries/somalia/economy/somalia\\_economy\\_economic\\_development~1607.html](http://www.photius.com/countries/somalia/economy/somalia_economy_economic_development~1607.html).

Chirumamilla, S. U.S intervention in the Horn: Revisiting Ethiopia Somalia dispute, 2011, 189. Available from [http://shodhganga.inflibnet.ac.in/bitstream/10603/1861/13/13\\_chapter6.pdf](http://shodhganga.inflibnet.ac.in/bitstream/10603/1861/13/13_chapter6.pdf)

Clark, Grahame. World Prehistory: A New Outline. Cambridge University Press, 1971.

Clarke, Walter S. and Gosende, Robert. —Somalia: Can a Collapsed State Reconstitute itself? In Robert I. Rotberg (ed.), State Failure and State Weakness in a Time of Terror. Washington: Brookings Institution Press, 2000, 129-158.

Colman, James. "Nationalism in Tropical Africa", In African Politics and Society, (ed.) Irving Markovitz. New York: The Free Press, 1970.

Compagnon, Daniel. "The Somali Opposition Fronts: some comments and questions", Horn of Africa, 1 & 2, 1990.

D, Nohlen; M, Krennerich; and B, Thibaut. Elections in Africa: A data handbook. Oxford University Press, 1999.

Dam, Mensel Longworth (translated and ed.). "The book of Duarte Barbosa: an account of the countries bordering on the Indian Ocean Asian Educational Services, 1989.

Del Boca, Angelo. *Italiani in Africa Orientale: La caduta dell'Impero*.

Roma-Bari: Laterza, 1986.

De laet, S.J. (ed.). *History of Humanity: Prehistory and the beginning of Civilization*, Vol.1, first edition. Routledge, 1994.

De Waal, Alex. *Class and Power in a Stateless Somalia A Discussion Paper*, August 1996, 1. Available from [http://justiceafrica.org/wp-content/uploads/2014/03/DeWaal\\_ClassandPowerinSomalia.pdf](http://justiceafrica.org/wp-content/uploads/2014/03/DeWaal_ClassandPowerinSomalia.pdf).

Elby, Omar. *Fifty Years, and Fifty Stories: the Mennonite Mission in Somalia, 1953-2003*. Herald Press, 2003.

Elper, Edward. —On Critique of the Somali Invention‖ in Ali Jumale (edt.), *The Invention of Somalia*. The Red Sea Press, 1995.

Eshetu, Salahadin. —King Nagash of Abyssinia.‖ Available from <http://dcbun.tripod.com/id17.html>.

Ervin Rosenthal, Ervin. *Political Thought in Medieval Islam*. Cambridge University Press, 1962.

EU Institute for Security Studies, *Understanding Africa Armies*, Report no. 27. Published by the EU Institute for Security Studies and printed in France, 2016, 25-31.

Fakhry, Majid. *A History of Islamic Philosophy* (New York: Colombia University Press, 1983).

Farah, Ibrahim. —Foreign Policy and Conflict in Somalia, 1960-1990.‖ PhD diss., University of Nairobi, 2009.

Finkelstein, Lawrence S. —Somaliland Under Italian Administration: A case Study of in United Feldman, Stacy, and Slattery, Brian. —Living without a Government in Somalia: An Interview with Mark Bradbury Development Process in Somalia exist Not as a Result of Official Development Assistance, but in spite of it‖, *Journal of International Affairs*, 57, 2003.

Fishel, John T. *Civil Military Operations in the New World*. Praeger, 1997.



Furay, Conal and Salevouris, Michael. *The Methods and Skills of History: A Practical Guide*. Harlan Davidson Incorporated, 1988.

Garner, Judith and Al-Bushra, Judy. *Somalia: The Untold Story, the War Though the Eyes of Somali Women*. London: Pluto Press, 2004.

Goldstone, Jack. *Revolutions: A Very Short Introduction*. Oxford University Press, 2014.

Graziosi, Paolo. —L'Eta della Pietra in Somalia: Risultati di una missione di ricerche paletnologiche nella Somalia italiana in 1935. Università degli studi di Firenze. Firenze: Sansoni, 1940.

Brereton, George Wynn and Huntingford, The *Periplus of the Erythraean Sea*. Ashgate Publishing, 1980).

Gutherz, X., Cros, J.-P., & Lesur, J. The discovery of new rock paintings in the Horn of Africa: The rock shelters of Las Geel, Republic of Somaliland. *Journal of African Archaeology*, 1(2), 2003, 227-236.

Haji, Aweys Osman and Haji, Abdiwahid Osman. *Clan, sub-clan and regional representation 1960-1990: Statistical Data and findings*. Washington D.C., 1998.

Healy, Sally. —Reflections on the Somali state: What Went Wrong and why it Might not Matter. In *Milk and Peace, Drought and War: Somali Culture, Society and Politics* edited by Markus Hoehne and Virginia Luling. London: Hurst & Company, 2010. Hegel, G. W. F. and Leo Rauch, Leo. *Introduction to The Philosophy of History: With Selections from The Philosophy of Right*. Hackett Publishing, 1988.

Henze, Paul B. *Layers of Time: History of Ethiopia*. London: Hurst & Company, 2000.

Hersi, Ali Abdirahman. *The Arab Factor in Somali History: The Origins and Development of Arab Enterprises and Cultural Influence in the Somali Peninsula*. Los Angeles: University of California, 1977.

Hess, Robert. *Italian colonialism*. University of Chicago Press, 1966. Hobesbawn, Eric. *Nations and Nationalism since 1780: Programme,*

Myth, Reality second Edition. Cambridge: Cambridge University Press, 1992.

Hodd, Michael. East African Handbook: Trade & Travel Publications.

Passport Books, 1994.

Hrušková, Alena. Comparison of US Foreign Aid Towards Somalia During and After the Cold War. Available from <http://www.unob.cz>

/eam/Documents/Archiv/EaM\_1\_2014/Hruskova.pdf.

Huband, Mark. Warriors of the prophet: the struggle for Islam. Westview Press. 1998.

Huntingford, The Periplus of the Erythraean Sea. Ashgate Publishing, 1980.

Ibn-Khaldun, The Muqaddimah: An Introduction to History. Princeton University Press, 1980.

Ibn Khaldun. An Arab Philosophy of History: Selections from the Prolegomena of Ibn Khaldun of Tunis (1332-1406). Darwin Press, 1987. Idowu, Woo. Citizenship, alienation and conflict in Nigeria, Africa Development, Vol. 24, No. 1/2, 1999, 31-55.

Ilmi, Ahmed Ali. —The History of Social Movements in Somalia through the Eyes of Our Elders within a Diasporic Context. A PhD thesis submitted to Graduate Department of Humanities, Social Sciences and Social Justice Education Ontario Institute for Studies in Education, 2014.

Ingiriis, Mohamed Haji. „Sisters; was this what we struggled for?\": The Gendered Rivalry in Power and Politics. Journal of International Women's Studies Vol. 16, No. 2 January 2015.

Ingiriis, Mohamed Haji. The Suicidal State in Somalia: The Rise and Fall of the Siad Barre Regime. University Press of America, 2016.

International Institute of Islamic Thought. The Essence of Islamic Civilization: Volume 21 of occasional papers. International Institute of Islamic Thought, 2013.

Isse, Aw Jama'a Omar. Taariikhdiidaraawiishta iyo Sayid Maxamed Cab-

dulle Xasan, (1895–1921). Wasaaradda Hiddaha iyo Tacliinta Sare, edited by Akadeemiyaha Dhaqanka, Mogadishu, 1976.

Isse-Salwe, Abdisalam M. The Collapse of the Somali State: The Impact of Colonial. Haan Publishing; 2nd edition (January 1, 1996).

Jackson, R.H. & Rosberg, C.G. ‘Sovereignty and Underdevelopment: Juridical Statehood in the African Crisis’. The Journal of Modern African Studies, vol. 24 (1), 1986, 1-31.

Jackson, Peter. “Travels of Ibn Battuta”, Journal of the Royal Asiatic Society, 264.

Jackson, Ashley. The British Empire and the WW II. London: Habledon Continuum, 2006.

Jama’a, Ahmed duale. The Origins and Development of Mogadishu AD 1000 to 1850: A Study of urban growth along the Banadir coast of southern Somalia. Repro HSC, Uppsala 1996.

Jama’a, Mohamed. An Introduction to Somali History from 5000 years B.C Down to the Present Times, 1962.

Jardine, Douglas. The Mad Mullah of Somaliland. London: 8vo., 1923.

Jean Strouse, Newsweek, Volume 69, Issues 10-17. Newsweek: 1967.

Jonsson, Sune. —An Archeological site file in Somalia.¶ Proceedings of the Second International Congress of Somali Studies, University of Hamburg, August 1-6, 1983.

Kapteijns, Lidwien, and Maryan Omar Ali. Women’s voices in a man’s world: women and the pastoral tradition in Northern Somali Orature, c.1899-1980. Portsmouth, NH: Heinemann, 1999.

Kapteijns, Lidwien. —Women and Crisis of Communal Identity: The Cultural Construction of Gender in Somali History,¶ in The Somali Challenge: From Catastrophe to Renewal? ed. Ahmed Samatar. Colorado: Lynne Rienner Publishers, 1994.

Kaptein, Lidwien. —Ethiopia in the Horn of Africa, in *The History of Islam in Africa* edited by Levtzion, Nehemia and Pouwels, Randall L. Athens, Ohio: Ohio University Press, 2000.

Kaptein, Lidwien. —The Disintegration of Somalia: A Historiographical Essay. *Bildhaan: An International Journal of Somali Studies*, Vol. 1, 2008.

Karp, Mark. *Economics of Trusteeship in Somalia*. New York University Press, 1960.

Klay, George and Jr Kieh, —Theories of Conflict and Conflict Resolution, in George Klay Kieh Jr and Mukenge, Ida Rousseau (eds). *Zones of Conflict in Africa: Theories and Cases*. Westport, Conn: Praeger, 2002.

Kaly, Kieth George and Mukenge, Ida Rousseau. *Zones of Conflict in Africa: Theories and Cases*. Praeger, 2002.

Keesing's Record of World Events (formerly Keesing's Contemporary Archives), Volume 13, November, 1967 Kenya, Somalia, Ethiopia, Kenyan, Somali, Ethiopian, Page 22386.

Kelly, S. *Cold War in The Desert: Britain, the United States and Italian Colonies*. Macmillan Press Ltd, 2000.

Kohn, Hans. *The Idea of Nationalism: A Study in its Origins and Background*. New York: the Macmillan Company, 1956.

Krais, Jakob. —Shakib Arslan's Libyan Dilemma: Pro-Fascism through Anti-Colonialism in La Nation Arabe? *Orient-Institut Studies* 1 (2012).

Laitin, David D and Samatar, Said S. *Somalia: Nation in Search of a State*. Westview Press: 1987.

Laitin, David. The war in the Ogaden: implications for Siyaad's role in Somali history. *Journal of Modern African Studies* 17(1), 1979, 95- 115.

Laitin, David D. *Politics, Language, and Thought: The Somali Experience*. University of Chicago Press: 1977.

Le Bon, Gustave. *The world of Islamic civilization*. Tudor Publication Co., 1974.

Lefebvre, Jeffery. —The US Military in Somalia: A hidden Agenda?|| Middle Eastern Policy, 1:2, 1993.

Lefebvre, Jeffery. Arms for the Horn: US Security Policy in Ethiopia and Somalia 1953-1991. Pittsburgh: University of Pittsburgh Press, 1991.

Levtzion, Nahemia and Pouwels, Randall. The History of Islam in Africa. Ohio University Press, 2000.

Lewis, —The Ogaden and the Fragility of Somali segmentary Nationalism”, Horn of Africa, 1&2, 1990.

Lewis, I.M. A Modern History of Somalia: Nation and State in the Horn of Africa. London: Longmans, 1980.

Lewis, I. M. —The Somali Conquest of the Horn of Africa,|| Journal of African History 5, no.1 (1964): 213-229.

Lewis, I. M. Saints and Somalis: Popular Islam in a Clan-Based Society. Red Sea Press, 1998.

Lewis (ed.), I.M. Islam in tropical Africa (London, Oxford University Press, 1966.

Lewis, I.M. A Modern History of the Somali: Nation and State in the Horn of Africa. Ohio University Press, 2003.

Lewis, I.M. Saints and Somalis: Popular Islam in a Clan-Based Society. Sea Press, 1998.

Lewis, Herbert. —The Origins of Galla and Somali.|| The Journal of African History, vol.7. No.1 1966.

Lewis, I.M. Blood and Bone: The Call of Kinship in Somali Society (Lawrenceville, Nj: Red Sea Pres, 1994), 233.

Lings, Martin. Muhammad: His Life based on the Earliest Sources. Inner Traditions, 2006.

Lockyer, Adam. Opposing Foreign Intervention’s Impact on the Course of Civil Wars: The Ethiopian-Ogaden Civil War 1976-1980. A paper presented to

the Australian Political Science Association Conference, September, 2006.

Luling, Virginia. “Come back Somalia? Questioning a Collapsed State” *Third World Quarterly*, 18:2 (1997), 287-302.

Luling, Virginia. *The Somali Sultanate: Geledi city-state over 150 years*. Transaction Publishers, 1990.

Lyons, Terrence. —Crises on Multiple Levels: Somalia and the Horn of Africa in Ahmed Samatar (ed.), *The Somali Challenge: From Catastrophe to Renewal?* Lynne Rienner Publishers, 1994.

Lyons, Terrence and Samatar, Ahmed. *Somalia: State Collapse, Multilateral intervention, and Strategies for Political Reconstruction*. Washington: The Brookings Institution Occasional Paper, 1995.

Mansur, Abdalla Omar. —Contrary to a Nation: The Cancer of the Somali State, in Jumale (ed.), *The Invention of Somalia*. Lawrenceville: The Red Sea Press, 1995, 106-116.

Manning, Patrick. —African and World Historiography. *The Journal of African History* / Volume 54 / Issue 03 / November 2013, 319 – 330.

Marion, Francesco. *Military Operations in the Italian East Africa, 1935- 1941: Conquest and Defeat*. MA thesis submitted to Marine Corps University Quantico VA school of Advanced War-fighting, 2009.

Martin, Bradford G. —Shaykh Zayla‘i and the nineteenth-century Somali Qadiriya, in: Said S. Samatar (ed.), *In the Shadows of Conquest. Islam in Colonial Northeast Africa*. Trenton, NJ: The Red Sea Press, 1992.

Martin, Bradford G. —Shaykh Uways bin Muhammad al-Barawi, a Traditional Somali Sufi, in: G. M. Smith and Carl Ernst (eds.), *Manifestations of Sainthood in Islam*. Istanbul, 1993, 225-37.

Maxamad, Maxamad Ibrahim—Liiq-liiqato. *Taariikhda Somaaliya: Dalkii Filka Weynaa ee Punt*. Mogadishu: 2000.

Mayell, Hillary. —Oldest Human Fossils Identified. National Geographic news, February 16, 2005.

McGowan; Pat and Johnson, Thomas H. —African Military Coups d'état and Underdevelopment: A Quantitative Historical Analysis. The Journal of Modern African Studies, Vol. 22, No. 4. (Dec., 1984), 633-666.

McNeill, William H. Mythistory, or Truth, Myth, History and Historians. Available from <https://www2.southeastern.edu/Academics/Faculty/jbell/mcneill.pdf>.

Mehran, Kamrava, Understanding Comparative Politics: A Framework for Analysis. Routledge, 1996.

Menkhaus, Ken. —US Foreign Assistance Somalia: Phoenix from the Ashes? Middle Eastern Policy, 1:5, 1997.

Menkhaus, Ken and Prendergast, John. —Governance and Economic Survival in Post-intervention Somalia in CSIS Africa Note, No.172 (May 1995).

Mesfin, Berouk, Situation Report, Institute for Security Studies, 2011. Available from

<http://dspace.africaportal.org/jspui/bitstream/123456789/32288/1/15Apr11Djibouti.pdf?1>

Metaferia, Getachew. Ethiopia and United States, History, Diplomacy and Analysis. Algora Publishing, 2009.

Metz, Helen Chapin (ed.). *Somalia: A Country Study*. Washington: GPO for the Library of Congress, 1992.

Migdal, Joel. Strong Societies and Weak States: State-Society Relations and State Capabilities in the Third World. Princeton University Press, 1988.

Mire, Sada. —Mapping the Archaeology of Somaliland: Religion, Art, Script, Time, Urbanism, Trade, and Empire (2015) 32:111–136.

Millman, Brock. British Somaliland: An Administrative History, 1920- 1960. Routledge, 2014.

Mitchell, W. Journal of the Royal United Service Institution. Whitehall Yard, Volume 57, Issue 2, 997.

Mohamed, Hamdi. Gender and the Politics of Nation Building: (Re)Constructing Somali Women's History. Lambert Academic Publishing, 2014.

Mohamud, Mohamed Sharif. \_Abdirizaq Haji Hussein, Rais Wasara al- Somali (1964-1967), 2009. Available from <http://arabic.alshahid.net/columnists/6110>.

Moḥamud, Moḥamed Sharif. —al-Ra'is Ādan Abdulle Osman Awal Raīs li al Ja mhūriyah al-Somāliyah, 2009, available from See <http://arabic.alshahid.net/columnists/1458>.

M-Shidad, Said. —The Ancient Kingdom of Punt and its Factor in Egyptian History, 2014.

Mukhtar, Ismael. —Milestones in the History of Islam in Eritrea. A paper delivered at the Eritrean Muslim Council's 6th annual convention held in Washington D.C. in July 2008.

Mukhtar, Mohamed. —Islam in Somali History.: Fact and fictions” in the edited book by Ali Jumale titled The Invention of Somalia. Lawrenceville: The Red Sea Press, 1995.

Mukhtar, Mohamed. Historical Dictionary of Somalia, New Edition. The scarecrow Press, 2003.

Mukhtar, Mohamed Haji. —Ajuran Sultanate. The Encyclopedia of Empire, Available from <http://onlinelibrary.wiley.com/doi/10.1002/9781118455074.wbeoe146/abstract>.

Nakayama, Shigeru. —The Chinese —Cyclic View of History versus Japanese —Progress. In Mittelstrass, Jurgen; Peter McLaughlin, Peter; Burgen, Arnold (ed.). *The Idea of Progress*. Berlin: Walter de Gruyter & Co., 1977, 65-76.

Nicole, David. The Italian Invasion of Abyssinia 1935–1936. Westminster, Maryland: Osprey, 1997.



Nkaisserry, Joseph K. —The Ogaden War: An Analysis of its Cause and its Impact on Regional Peace on the Horn of Africa. A thesis submitted to U.S. Army War College, Carlisle Barracks, Pennsylvania, 1997.

Njoku, Raphael C. The History of Somalia. Santa Barbara, CA: Greenwood, 2013.

Noor, Abdirahman Ahmed. —Arabic Language and Script in Somalia: History, attitudes and prospects. PhD diss., Georgetown University, 1999.

Ogot, Bathwel A. —African Historiography: From Colonial Historiography to UNESCO's General History of Africa.

Okoth, Assa. A History of Africa: African nationalism and the de-colonisation process. East African Publishers, 2006.

Oliver, Roland Anthony. History of East Africa, Volume 2. Clarendon Press, 1976.

Osterhammel, Jurgen. Colonialism: A Theoretical Overview. M. Wiener, 1997.

Otunnu, Ogenga. —Factors Affecting the Treatment of Kenyan-Somalis and Somali Refugees in Kenya: A Historical Overview. Available from [ile:///C:/Users/Abdurahman/Downloads/21678-22090-1- PB.pdf](file:///C:/Users/Abdurahman/Downloads/21678-22090-1-PB.pdf).

Omar, Mohamed Osman. The Road to Zero: Somalia's Self destruction. HAAN Associates, 1992.

Omar, Mohamed Osman. The Scramble in the Horn of Africa: History of Somalia (1827-1977). Mogadishu: Somali Publications, 2001.

Omar, Mohamed Osman. Somalia: Past and Present. Publications Pvt. Ltd, 2006.

Owens, Travis J. Beleaguered Muslim Fortress and Ethiopian Imperial Expansion from the 13th to the 16th century. A MA Thesis in Security Studies submitted to Naval Postgraduate school, 2008.

Pankhurst, Sylvia. Ex-Italian Somaliland. London: Watts, 1951.

Parker, Charles H. & Bentley, Jerry H. (ed.). *Between the Middle Ages and modernity: Individual and community in the early Modern World*. Rowman & Littlefield Publishers Inc., 2007.

Pastaloza, Luigi. *The Somali Revolution*. Bari: Edition Afrique Asie Amerique Latine, 1973.

Patman, Robert. *The Soviet Union in the Horn of Africa: The Diplomacy of Intervention and Disengagement*. Cambridge: Cambridge University Press, 1990.

Qasim, Maryan Arif. *Clan versus Nation*. Sharjah: UAE, 2002.

Rawson, David. —Dealing with Disintegration: US Assistance and Somali State' in *The Somali Challenge: From Catastrophe to Renewal?* Edited by Ahmed Samatar. London: Lynne Rienner Publisher, 1999, 147-178.

Reese, Scott S. —Patricians of the Banadir: Islamic Learning, Commerce and Somali Urban Identity in the 19th century. A PhD Dissertation submitted to the University of Pennsylvania, 1996.

Roberts, Alice. *The Incredible Human Journey*. Bloomsbury Paperbacks, 2010.

Rotberg, Robert I. *State Failure and State Weakness in a Time of Terror*.

The World Peace Foundation: Brookings Institution Press, 2003.

Rotberg, Robert I. *Nation-state failure: A recurrence Phenomenon?* ([www.cia.gov/nic/PDF\\_GIF\\_2020\\_Support/2003\\_11\\_06\\_papers/panel2\\_nov6.pdf](http://www.cia.gov/nic/PDF_GIF_2020_Support/2003_11_06_papers/panel2_nov6.pdf)), 3-5

Rotberg, Robert I. —The Failure and Collapse of Nation-States: Breakdown, Prevention, and Repair, in Robert I. Rotberg (ed.), *Why States Fail: Causes and Consequences*. Princeton, 2004, 1-45.

Saeed, Abdallah. *Islamic Thought: An Introduction*. London: Routledge, 2006.

Sadler, Jr., Rodney "Put". In Katharine Sakenfeld. *The New Interpreter's Dictionary of the Bible*. Nashville: Abingdon Press, 2009.

Samatar, Abdi. *The State and Rural Transformation in Northern Somalia, 1884-1986*. University of Wisconsin Press, 1989.

Samatar, Ahmed. *Socialist Somalia: Rhetoric and Reality*. London: Zed Books, 1988.

Samatar, Ahmed. —The Curse of Allah: Civic Disembowelment and the Collapse of the State in Somalia in Ahmed Samatar (ed), *The Somali Challenge: From Catastrophe to Renewal?* Lynne Rienner, 1994.

Samatar, Ahmed (ed.). *The Somali Challenge: From Catastrophe to Renewal?* (Lynne Rienner Publishers, 1994).

Samatar, Abdi Ismail. *Africa's First Democrats: Somalia's Aden A. Osman and Abdirizak H. Hussen*. Indiana University Press, 2016.

Samatar, Abdi I. —Destruction of State and Society in Somalia: Beyond the Tribal Convention, *The Journal of the Modern African Studies* 30 (1992): 625- 641.

Samatar, Ahmed. —The Curse of Allah: Civic Disembowelment and the collapse of the State in Somalia in in Ahmed Samatar (ed.), *The Somali Challenge: From Catastrophe to Renewal?* Lynne Rienner Publishers, 1994, 117.

Samatar, Said. *Oral Poetry and Somali Nationalism: The Case of Sayid Mohamed Abdulle Hassan*. Cambridge: Cambridge University Press, 1982.

Samatar, Said. —Sheikh Uways Muhammad of Baraawe, 1847-1909. Mystic and Reformer in East Africa, in: Said S. Samatar (ed.). *In the Shadows of Conquest. Islam in Colonial Northeast Africa*. Trenton, NJ: The Red Sea Press, 1992, 48-74.

Samatar, Said. —Unhappy masses and the challenge of political Islam in the Horn of Africa. Available from [http://www.ethiomeia.com/newpress/political\\_islam.html](http://www.ethiomeia.com/newpress/political_islam.html).

Samatar, Abdi Ismail. *The state and rural transformation in Northern Somalia, 1884–1986*. Madison: University of Wisconsin Press, 1989.

Savory, Roger. *Introduction to Islamic Civilization*. Cambridge University Press, 1976.

- Schoff, Wilfred H. *The Periplus of the Erythraean Sea*. London, 1912.
- Schraeder, Peter. —From Irredentism to Secession: Decline of Pan-Somali Nationalism, In *After Independence: Making and Protecting the Nation in Postcolonial and Post-Communist States* edited by Lowell W. Barrington. The University of Michigan Press, 2006, 124-25.
- Sharma, S. *Politics of Tribalism in Africa*. Delhi: Kay Printers, 1973.
- Sharma, Tej Ram. *Historiography: A History of Historical Writing*. Concept Publishing Company, 2005.
- Shelley, Fred M. *Nation Shapes: The Story behind the World's Borders*. ABC-CLIO., 2013.
- Shiin, David and Ofcansky, Thomass. *Historical dictionary of Ethiopia*. The Scarecrow Press, 2004.
- Shillington, Kevin (ed.), *Encyclopedia of African History*. Fitzory Dearborn Tylor and Farancis Group, 2005.
- Shillington, Kevin. *Encyclopedia of African history*. CRC Press: 2005.
- Strandes, Justus. *The Portuguese period in East Africa*. Kenya Literature Bureau, 1989.
- St John, Ronald Bruce. *Libya and the United States, Two Centuries of Strife*. University of Pennsylvania Press, 2002.
- Sutherland, Jonathan and Canwell, Diane. *Vichy Air Force at War: The French Air Force that Fought the Allies in World*. Pen and Sword Aviation, 2011.
- Szanajda, Andrew. *Making Sense in History: Historical Writing in Practice*. Bitngduck Press LLC, 2007.
- Terdman, Moshe. *Somalia at War – Between Radical Islam and Tribal Politics*, The S. Daniel Abraham Centerfor International and Regional Studies, Tel Aviv University, Research Paper No. 2, 2008, 27.
- The Organization of African Unity, —Resolutions adopted by the first ordinary session of the assembly of the heads of the state and government,” Cairo, UAR, from 17 to 21 July, 1964.

The World Bank, “Conflict in Somalia: Drivers and dynamics”, January, 2005, 15. Available from [http://siteresources.worldbank.org/ INTSOMALIA/Resources/conflictinsomalia.pdf](http://siteresources.worldbank.org/INTSOMALIA/Resources/conflictinsomalia.pdf).

Galaydh, Ali Kkalif. “Notes on the State of the Somali State.” *Horn of Africa* 13: 1 & 2, 1990.

Thompson, Vincent Bakpetu. *Conflict in the Horn of Africa: The Kenya-Somalia Border Problem 1941–2014*. UPA, 2015.

Touval, Saadia. *Somali Nationalism: International Politics and the Drive for Unity in the Horn of Africa*. Cambridge: Cambridge University Press, 1963.

Touval, Saadia —The organization of African Unity and Borders, *International Organization* 21, no. 1 (1967): 102-127.

Tracy Kup erus, *Frameworks of State Society Relations*, available from [http://www.acdis.uiuc.edu/Research/S&Ps/1994Su/S&P\\_VIII4/state\\_society\\_relations.html](http://www.acdis.uiuc.edu/Research/S&Ps/1994Su/S&P_VIII4/state_society_relations.html).

Trimingham, J. Spencer. —The Expansion of Islam, *In Islam in Africa*, edited by James Kritzeck, and William H. Lewis. New York: Van Nostrand-Reinhold Company, 1969.

Tripodi, Poalo. *The Colonial Legacy in Somalia: Rome and Mogadishu: from Colonial Administration to Operation Restore Hope*. Macmillan Press Limited, 1999.

UNDP-Somalia, *Somalia’s Missing Million; The Somali Diaspora and Its Role in Development*. UNDP-Somalia, 2009.

Van De Mierop, Marc. *A History of Ancient Egypt*. Wily-Blackwell, 2010.

Velho, Joao de Sa Alvaro. *A Journal of the First Voyage of Vasco Da Gama, 1497-1499*. Hakluyt Society, 1898.

Walker, R. *When we ruled: The ancient and medieval history of Black civilisations*. London, U.K: Every Generation Media, 2006.

Wanambisi, Tom. “The Somali Dispute: Kenya Beware”. *Marine Corps Command and Staff College*, 1984.

Warmington, Eric Herbert. *The Commerce Between the Roman Empire and India*. The University Press, 1928.

Watterson, Barbara. *The Egyptians*. Wiley-BlackWell, 1997.

Wells, H.G. *The World Set Free: A Story of Mankind*. Macmillan and Co. Ltd, 1914.

Welsh, Sidney. *Portuguese rule and Spanish crown in South Africa, 1581-1640*. Junta, 1950.

Wilson, John. *The Culture of Ancient Egypt*. The University of Chicago Press, 1956. Whiteway, R.S. *The Portuguese Expedition to Abyssinia in 1441-1543*, 1902. Nendeln, Liechtenstein: Kraus Reprint, 1967.

Wolf, Eric and Eriksen, Thomas. *Europe and the People without History*. Berkeley: University of California Press, 2010.

Woodward, Peter. *The Horn of Africa: Politics and International Relations*. London: I.B. Tauris & Co. Ltd., 2003.

Yohannes, Okbazghi. *The United States and the Horn of Africa: An Analytical Study of Pattern and Process*. Westview Press, 1997.

Yunus, Muhammad Ahdul-Mun'im. *Al-Somal: Wadanan wa Sha'ban*. Al-Qahira: Dar al-Nahda al-'Arahiyyah, 1962.

Zeno, Muhammad Bin Jamil. *The Pillars of Islam & Iman*. Darussalam, 1966.

## المراجع العربية

ابن بطوطة، رحلة ابن بطوطة تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار. بيروت: دار إحياء العلوم، ١٩٨٧.

ابن كثير، البداية والنهاية، الجزء الثاني.

أبو بكر، علي شيخ أحمد. جذور المأساة الراهنة. بيروت: دار ابن حزم، ١٩٩٢.

الجابري، محمد عابد. فكر ابن خلدون: العصبية والدولة. دار النشر المغربية، لا يوجد تاريخ.

حسن، إبراهيم حسن. انتشار الإسلام والعروبة في ما يلي الصحراء الكبرى، شرق القارة الأفريقية وغربها. القاهرة: مطبعة لجنة البيان العربي، ١٩٥٧.

مكي، حسن. السياسات الثقافية في الصومال الكبير (١٩٨٦-١٨٨٧). المركز الإسلامي للبحوث والنشر، ١٩٩٠.

النجار، عبد الرحمن. الإسلام في الصومال. القاهرة: مطبعة الأهرام التجارية، ١٩٩٥.

\*\*\*

## قراءات إضافية

### مواضيع الفصل الأول

Ahmed, Zaid. —Muslim Philosophy of History, in edited by Aviezer Tucker, A Companion to the Philosophy of History and Historiography. Published Online, 2009), 437- 445.

Bebbington, David. Patterns in History: A Christian Perspective on Historical Thought. England: Inter-Varsity Press, 1979.

Hegel, G. W. F. and Rauch, Leo. Introduction to The Philosophy of History: With Selections from The Philosophy of Right. Hackett Publishing, 1988.

Sharma, Tej Ram. Historiography: A History of Historical Writing. Concept Publishing Company, 2005.

Szanajda, Andrew. Making Sense in History: Historical Writing in Practice. Bitngduck Press LLC, 2007.

### مواضيع الفصل الثاني

Ahmed, Hussein. —The Historiography of Islam in Ethiopia. Journal of Islamic Studies, 3 (1992).

A.S. Brandt. —The Importance of Somalia for understanding African and World prehistory, Proceedings of the First International Congress of Somali Studies in 1992.

Brereton, George Wynn and Huntingford. The Periplus of the Erythraean Sea. Ashgate Publishing, 1980.

Cassaneli, Lee. The Shaping of Somali Society: Reconstructing the history of the Pastoral People, 1600-1900. Philadelphia: University of Pennsylvania Press, 1982.

Hersi, Ali Abdirahman. The Arab Factor in Somali History: The Origins and Development of Arab Enterprises and Cultural Influence in the Somali Peninsula. Los Angeles: University of California, 1977.



Lewis, Herbert. —The Origins of Galla and Somali.‖ The Journal of African History, vol.7, No.1 (1966), 27-46.

Mire, Sadia. —Mapping the Archaeology of Somaliland: Religion, Art, Script, Time, Urbanism, Trade, and Empire‖, 2015.

Mukhtar, Mohamed. “Islam in Somali History: Fact and fictions” in The Invention of Somalia, edited by Ali Jumale Ahmed. Lawrenceville: The Red Sea Press, 1995.

N. Chittick H. —An archaeological reconnaissance of the southern Somali coast‖, Azania, 4.

### مواضيع الفصل الثالث

Abdullahi, Abdurahman (Baadiyow). The Islamic Movement in Somalia: A Study of Islah Movement (1950-2000). London: Adonis & Abbey Publishers, 2015.

Hess, Robert. Italian colonialism. University of Chicago Press, 1966. Lewis, I.M. A Modern History of the Somali: Nation and State in the Horn of Africa. Ohio University Press, 2003.

Martin, Bradford G. —Shaykh Zayla‘i and the nineteenth-century Somali Qadiriya‖, in: Said S. Samatar (ed.), In the Shadows of Conquest. Islam in Colonial Northeast Africa. Trenton, NJ: The Red Sea Press, 1992.

Martin, Bradford G. Martin, —Shaykh Uways bin Muhammad al-Barawi, a Traditional Somali Sufi‖, in: G. M. Smith and Carl Ernst (eds.), Manifestations of Sainthood in Islam. Istanbul, 1993.

Rees, Scott Steven. Patricians of the Banadir: Islamic Learning, Commerce and Somali Urban Identity in the Nineteenth Century. A PhD thesis submitted to the University of Pennsylvania, 1996.

Samatar, Said. 1992. —Sheikh Uways Muhammad of Baraawe, 1847-1909. Mystic and Reformer in East Africa‖, in: Said S. Samatar (ed.), In the Shadows of

Conquest. Islam in Colonial Northeast Africa (Trenton, NJ: The Red Sea Press, 1992).

Tripodi, Poalo. The Colonial Legacy in Somalia: Rome and Mogadishu: from Colonial Administration to Operation Restore Hope. Macmillan Press Limited, 1999.

## مواضيع الفصل الرابع

Abdi, Sheikh Abdi. Divine Madness: Mohammed Abdulle Hassan (1856-1920. Zed Books, 1993.

Barnes, Cedric. —The Somali Youth League, Ethiopian Somalis and the Greater Somalia Idea, 1946-48. Journal of Eastern African Studies Vol. 1, No. 2, 277-291, 2007.

Hobbesbawn, Eric. Nations and Nationalism since 1780: Programme, Myth, Reality second Edition. Cambridge: Cambridge University Press, 1992.

Kohn, Hans. The Idea of Nationalism: A Study in its Origins and Background. New York: the Macmillan Company, 1956.

Laitin, David and Samatar, Said. Somalia: Nation in Search of a State. Boulder: Westview, 1987.

Lewis, I. M. A Modern History of Somalia: Nation and State in the Horn of Africa. London: Longmans, 1980.

Touval, Saadia. Somali Nationalism: International Politics and the Drive for Unity in the Horn of Africa. Harvard: Harvard University Press, 1963.

## مواضيع الفصل الخامس

Kaly Kieth, George and Mukenge, Ida Rousseau. Zones of Conflict in Africa: Theories and Cases. Praeger, 2002.

Ibn-Khaldun, The Muqaddimah: An Introduction to History. Princeton University Press, 1980

Migdal, Joel. Strong Societies and weak states: State –society relations and

State capabilities in the Third World. Princeton: Princeton University Press, 1988.

Rotberg, Robert I. State Failure and State Weakness in a time of Terror.

The World Peace Foundation: Brooking Institution Press, 2003.

Samatar, Ahmed (ed). The Somali Challenge: From Catastrophe to Renewal?  
Lynne Rienner Publishers, 1994.

Yohannes, Okbazghi. The United State and the Horn of Africa: An analytical  
Study of Pattern and Process. Westview Press, 1997.

Zartman, William(ed.). Collapsed States: The Disintegration and  
Restoration of Legitimate Authority. Boulder: Lynne Rienner, 1995.

## المصطلحات

ما يلي بعض من أهم الأسماء والهيئات والمصطلحات الواردة في هذا الكتاب  
ومُسمَّياتها بالإنجليزية.

Abdi Kusow	أبدي كوسو
Somali National Union (SNU)	الاتحاد الصومالي الوطني
Soviet Union (USSR)	الاتحاد السوفيتي
Officials' Union	اتحاد الضباط
Trusteeship Agreement for the Somalia	اتفاقية الوصاية من أجل الصومال
British Military Administration (BMA)	الإدارة البريطانية العسكرية
tol	الارتباط بالقبيلة
Somaliland	أرض الصومال
Puntland	أرض بونت
Ajuran Imamate	سلطنة أجوران
Emperor Menelik II	الإمبراطور مينيليك الثاني
Emperor Hele Selassie	الإمبراطور هيلي سيلاسي
Enrico Cerulli	إنريكو كيرولي

Ogaden	أوجادين
I.M. Lewis	إيون ميردين ليويس
Travis Owens	ترافيس أوينز
Freedom of the World Report	تقرير حرية العالم
Somali National University	الجامعة الصومالية الوطنية
Perugia University, Italy	جامعة بيروجيا في إيطاليا
Kentucky University	جامعة كنتاكي
Somali Salvation Front (SSF)	جبهة الخلاص الصومالي
Somali Democratic Salvation Front (SDSF)	جبهة الخلاص الصومالي الديمقراطية
Somali Democratic Action Front (SO-DAF)	الجبهة الصومالية الديمقراطية للتغيير
National United Front (NUF)	الجبهة الوطنية الموحدة
Somali Islamic Association	الجمعية الإسلامية الصومالية
Jamiyat al - Kheyriyah al - Wadaniyah (Patriotic Beneficiary Union)	الجمعية الخيرية الوطنية
Somali Old Boys Association (SOBA)	جمعية أولاد الكبار
Hajji Farah Omar	حاج فارح أومار
Abyssinia	الحبشة
Darawish Movement	حركة الدراويش
Somali National Movement (SNM)	الحركة الصومالية القومية
Somali Patriotic Movement (SPM)	الحركة الصومالية الوطنية

Northern Frontier Liberation Movement (NFDLM)	حركة تحرير المقاطعة الحدودية الشمالية
Somali Socialist Revolutionary Party (SSRP)	الحزب الاشتراكي الثوري في الصومال
Liberal Somali Youth Party (PLGS)	حزب الشباب الصومالي الليبرالي
Hisbia Digil and Mirfle (HDM/HDMS)	حزب دجل ومرفله
Hassan Mahddala	حسن مهدي
Transitional National Government (TNG)	الحكومة الانتقالية الوطنية في الصومال
Somali National Society (SNS)	الرابطة الصومالية القومية
Lass Geel cave paintings	رسومات لاس غيل الكهفية
Ambassador Salah Mohamed	السفير صالح محمد
Muzzaffar Dynasty	سلالة مظفر
Warsangali Sultanate	سلطنة وارسنجلي
Siad/Siyad Barre	سياد بري
Sheikh Ahmed Gabyow	شيخ أحمد جيبو
Danakil Desert	صحراء دناكل
Italian Somaliland	الصومال الإيطالي
British Somaliland	الصومال البريطاني
French Somaliland	الصومال الفرنسية
Greater Somalia	الصومال الكبير
Abdurahman Abdullahi (Baadiyow)	عبد الرحمن عبد الله (باديو)

Abdi Samatar	عبدى سمتر
Somali Youth League (SYL)	عصبة الشباب الصومالي
Great Somali League (GSL)	عصبة الصومال الكبير
Somali National League (SNL)	العصبة الصومالية القومية
Ali Jumale	علي جمعالي
xeer	القانون التقليدي الصومالي
Clannism/Tribalism	القبلية/ العشائرية
Horn of Africa	قرن أفريقيا
Suez Canal	قناة السويس
Nationalism	القومية
Catherine Besteman	كاثرين بيستيمان
Native Betterment Committee (NBC)	لجنة التحسين المحلي
Lidwien Kapteijns	ليدوين كابتيجينز
Maurizio Talmone	ماوريزيو تالمون
Revolutionary Council (RC)	المجلس الثوري في الصومال
UN Trusteeship Council	مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة
Northern Frontier District (N.F.D.)	المقاطعة الشمالية الحدودية (أو إنفدي)
Mohamed Farah Aidid	محمد فارح عيديد
Mohamed Mukhtar	محمد مختار
Indian Ocean	المحيط الهندي

Ethiopian Highlands	المرتفعات الأثيوبية
Institute for Somali Studies (ISOS)	معهد الدراسات الصومالية
Mogadishu	مقديشو
Organization of the African Unity (OAU)	منظمة الوحدة الأفريقية
Mahatama Gandhi	مهاتما غاندي
Italian UN Trust Administration for Somalia (AFIS)	مهمة الأمم المتحدة لإيطاليا في الصومال
United Somali Congress (USC)	المؤتمر الصومالي الموحد
National Reconciliation Conference	مؤتمر المصالحة الوطنية
Transparency International	مؤسسة الشفافية الدولية
UNDP Human Development Index	مؤشر التنمية البشرية الذي وضعه برنامج التطوير التابع للأمم المتحدة
Corruption Perception	مؤشر مدركات الفساد
Atlantic Charter	الميثاق الأطلسي
Somali Youth Club (SYC)	نادي الشباب الصومالي
Class Conflict Theory	نظرية صراع الطبقات
Great Pyramid	الهرم الكبير

\*\*\*